جامعة الجزائر

الدولة الحمادية

تاريخها وحضارتها

رشيد بورويبة
استاذ بجامعة الجزائر



ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر

1977 م — 1397 هـ

مقدّمة

بمناسبة الذكرى العشرين لانطلاق ثورتنا الخالدة ظهر لنا من المفيد أن نخصص كتابا لدولة تعتبر من أعظم وأمجد الدول التي تعاقبت على أرض وطننا ، ألا وهي الدولة الحمادية التي تولت الأمر من سنة 1018/408 الى سنة 1142/547 . فقسمنا كتابنا الى قسمين اولهما يتعلق بتاريخ بني حماد والثاني بحضارتهم .

ان القسم الاول يحتوي على أربعة فصول .

فتحدثنا في الفصل الاول عن حماد بن بلقين مؤسس الدولة وعن الظروف التي سمحت له أن يؤسس دولة مستقلة .

وفي الفصل الثاني ذكرنا أهم الاحداث التي وقعت في عهد خلفاء حماد الثلاثة الاولين : القائد ومحسن وبلقين بن محمد .

وخصصنا الفصل الثالث لعهدي الناصر والمنصور اللذين أبلغا الدولة الحمادية أوجها .

أما الفصل الرابع والاخير فذكرنا فيه فترة الانحطاط لملوك بني حماد التي تبدأ في عهد محسن والعزيز وتنتهي في أيام يحي بن العزيز الذي لم يستطع أن يقاوم جيش عبد المؤمن الخليفة الموحدي .

وينقسم القسم الثاني من جهته الى خمسة فصول .

في الفصل الاول درسنا الحياة السياسية والنظم الحمادية فتحدثنا فيه عن تطور حدود المملكة الحمادية وعلاقاتها مع الزيريين وزناتة

وبني هلال والمرابطين والفاطميين والعباسيين والصقليين والايطاليين •
ثم أفدنا قراءنا بالمعلومات التي حصلنا عليها حول الادارة والجيش والاسطول •

وخصصنا الفصل الثاني للحياة الاقتصادية ودرسنا على التوالي : الفلاحة ، الغابات ، تربية الحيوانات ، صيد السمك ، الصناعة والتجارة •

في الفصل الثالث اهتممنا بالحياة الاجتماعية والدينية فتحدثنا عن المدن وسكان المغرب الاوسط في العهد الحمادي وعن مأكولاتهم وملابسهم وسكناهم ودياناتهم ومذاهبهم •

ويحتوي الفصل الرابع على الحياة الثقافية ، فذكرنا فيه أشهر الشعراء والنقاد والكتاب والفلاسفة ورجال الدين والنحاة واللغويين وغيرهم من العلماء الذين عاصروا العهد الحمادي •

أما الفصل الاخير فخصصناه للفنون • فنشرنا فيه نتائج الحفريات التي أجريناها مدة سبع سنين بقلعة بني حماد بالاضافة الى اكتشافات القائد دي بيلي وأستاذنا لوسيان قولفين •

فدرسنا فيه المباني العسكرية والمساجد والقصور والمباني المدنية الاخرى • ثم تحدثنا عن الخزف الحمادي وزخارفه المختلفة ، وعن القبور والاعمدة والتيجان والاحواض الى أن وصلنا الى الحديث عن النقش على الحجر والجص والبرنز وعن القطع الزجاجية • وأنهينا هذا الفصل بذكر النقود والحلي التي عثر عليها الاثريون •

وأضفنا الى كتابنا تعاليق وخرائط وصور ورسوم وفهارس وقائمة أهم المراجع باللغة العربية واللغات الاجنبية لنسهل عمل الطلبة والباحثين •

القسم الأول

تاريخ الدولة الحمادية

الفصل الأول

حماد وبداية الدولة الحمادية

1 — نسب حماد :

كان حماد من قبيلة صنهاجة التي كانت ، على قول ابن خلدون « من أوفر قبائل البربر حتى لقد زعم كثير من الناس أنهم الثلث من أمم البربر » [1] . وتنقسم هذه القبيلة الى بطون عديدة بلغ عددها سبعين بطنا أهمها تلكاتة بطن الزيريين والحماديين ولمتونة ومسوفة بطنا المرابطين .

وعند نسابة البربر صنهاجة من بطون البرانس من ولد برنس ابن برّ بينما المؤرخون العرب مثل الطبري والكلبي يذكرون أنهم وكتامة جميع من حمير مؤسس الدولة الحميرية في اليمن .

وقال النويري أن أول شخص من قبيلة صنهاجة جاء الى المغرب هو المثنى بن المسور وأن أشهر أعضاء هذه القبيلة بعده هم : مناد بن منقوش وزيري بن مناد وبلقين بن زيري .

---

(1) ابن خلدون ، كتاب العبر ، ص 309 .

آ) المثنى بن المسور :

قال النويري [1] عن ابن شداد ، أن المثنى بن المسور كان يعيش في اليمن وأنه غادره عند فتحه من طرف الحبشة ورحل الى الشحر ، بساحل حضرموت ، حيث اتصل بكاهن أوصاه بالسفر الى المغرب وأسرّ اليه أن أبناءه يؤسسون بهذه البلاد دولة تحكم مدة طويلة •

فسمع المثنى بن المسور كلام الناصح ورحل الى المغرب وأسرّ الى ابنائه ما كان كهنه له الكاهن •

ب) مناد بن منقوش :

ثم حدثنا النويري عن مناد بن منقوش وقال ان في الزمان الذي ولد فيه مناد بن منقوش كان الصنهاجيون ما زالوا يأملون أن قبيلتهم تتولى الامر في المغرب يوما من الايام • فكبر مناد وكانت له قوة عجيبة وكان كثير المال والولد ويحسن الضيافة للمسافرين • فبنى مسجدا كان الغرباء يأوون اليه وكلما رأى مسافرا ضيفه ثم عند ذهابه زوده بأسباب العيش والملابس •

فرأى يوما من الايام غريبا في المسجد • فسأله عن اسمه وبلاده • فأجابه أنه مغربي وأنه عند رجوعه من الحج سقط بين أيدي قطاع الطريق • فسرقوا له كل ما كان يكسبه • وعند وصوله الى افريقية سمع الناس يتحدثون عن مناد بن منقوش وكرمه • فجاء اليه ليطلب منه الاعانة •

فضيفه مناد وأطعمه وبعدما انتهى الضيف من الاكل أخذ يتأمل عظم كتف الكبش الذي كان مناد ذبحه على شرفه وينظر الى مناد متعجبا • فقال له مناد : لماذا تنظر الي • فقال : هل لك زوجه حامل ؟

---

(1) النويري ، نهاية الارب ، ترجمة ده سلان ، ابن خلدون ، تاريخ البربر ، ج2 ، ص 483—493 •

فقال : نعم • فقال : هل لك أبناء معها • فقال : لا ، ولكني عندي أبناء مع زوجاتي الاخرى • فقال : قدمهم لي • فقدمهم له • فتأمل كل واحد منهم ثم قال : اعتن بزوجتك الحامل كل الاعتناء لأنها تلد لك ابنا يملك المغرب وابناءه بعده • فقال مناد : بالله أخبرتني بأمر كنا ننتظره بفارغ الصبر لاننا كنا ما زلنا نأمل أن أحدنا يصبح ملك المغرب ولكننا كنا نجهل من أي أسرة يكون •

بجانب النويري هناك مؤرخون آخرون يحدثوننا عن مناد بن منقوش ، منهم ابن الاثير والبكري وابن خلدون •

قال ابن الاثير وهو يتكلم عن زيري بن مناد : « كان أبوه مناد كبيرا في قومه ، كثير المال والولد ، حسن الضيافة لمن يمر به »[1] •

وعلى قول البكري[2] « كان مناد صاحب القلعة المعروفة بالمنادية » التي تقع بين فاس ومكناسة •

وأما ابن خلدون[3] ، فلاحظ أن كبير تلكاتة في عهد الاغالبة هو مناد بن منقوش بن صنهاج الاصغر ثم أفادنا بنسب صنهاج عن ابن النحوي • فقال : « وهو صناك بن واسقاف بن جبريل بن يزيد ابن واسلي بن سمليل بن جعفر بن الياس بن عثمان بن سكاد بن مليكان بن كرت بن صنهاج الاكبر » • وذكر أخيرا أن بعض المؤرخين يقولون أن : « مناد بن منقوش ملك جانبا من افريقية والمغرب الاوسط مقيما لدعوة بني العباس وراجعا الى أمر الاغالبة » •

ج) زيري بن مناد :

فقال النويري عنه : كان زيري بن مناد أجمل أبناء مناد الذين

---

(1) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج 7 ، ص 47 .
(2) البكري ، كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص 137
(3) ابن خلدون ، عبر ، ج 6 ، ص 212 .

كانوا مشهورين بجمالهم حتى ضرب المثل بهم • وكان طويل القامة قوي البنية حتى كان يظهر أنه في عمره عشرون سنة وهو طفل في العاشرة من سنه • وكان أصحابه يطيعونه ويسمونه السلطان • وكثيرا ما كانوا يلعبون لعب الحرب • فيصطفون على صفين ويركبون عصيهم كأنها فرسان • وبعد المعركة كان زيري يذهب بهم الى داره ويطعمهم وأثناء الغداء كان يقف وراءهم ولا يأكل شيئا •

وعندما أصبح رجلا جمع زيري جيشا وغزا بـه بلاد زناتة فغارت منه بطون صنهاجة الاخرى لانها كانت تأمل أن ملك المغرب يكون منها ولما يئست من ذلك اجتمعت لقتاله وبعد حرب طويلة انتصر زيري على أعدائه •

ثم غزا بلاد زناتة مرة أخرى وهجم على قلعة مغيلة التي تقع بين فاس ومكناس لان زناتة كانوا حرضوا بطون صنهاجة عليـه • فتغلب عليهم وانتشرت سمعته في المغرب كله •

فأسس حينئذ مدينة أشير سنة 324/935 • فتقع أشير على حوالي 150 كلم جنوبي ـ جنوبي شرقي الجزائر العاصمة في جبل تيطري على حوالي 12 كم من عين بوسيف الحالية • فأعانه الخليفة الفاطمي القائم في تشييدها وبعث له مهندسا ماهـرا ما كان يوجد مثله في افريقية وعمالا ومواد البناء وبالاخص الحديد •

فلم ينس زيري خير القائم من حيث أنـه شارك في قمع ثورة أبي يزيد وفي فتح مدينة فاس •

كان أبو يزيد مخلد بن كداد ، المكنى بصاحب الحمار ، من قبيلة بني افرن وهي من أعظم قبائل زناتة • فثار على الخليفة الفاطمي القائم سـنة 332/942 • ففتح باجة وتونس والقيروان وسوسة وحاصر المهدية • فطلب القائم المساعدة من زيري بن مناد • فبعث

له زيري مئتي فارس وخمسمئة عبد ومئة حمل من القمح هذا مما اضطر ابا يزيد الى رفع الحصار عن المهدية سنة 945/334 • وكذلك عندما حاصر المنصور ابا يزيد في قصر كيانة في المكان الذي تتأسس فيه قلعة بني حماد ، سار زيري في جيش عظيم وساهم في محاربة ابي يزيد وقتله سنة 946/336 .

وفي عهد الخليفة الفاطمي المعز بن المنصور شارك زيري بن مناد في غزو المغرب الاقصى تحت قيادة جوهر الكاتب قائد الجيش الفاطمي لمحاربة القبائل التي كانت خلعت طاعة الفاطميين وخضعت للخليفة الاموي الاندلسي • وزيري بن مناد هو الذي فتح مدينة فاس بفضل شجاعته وجسارته كما ذكره ابن الاثير في السطور التالية : « عاد جوهر الكاتب الى فاس • فقاتلها مدة طويلة • فقام زيري بن مناد • فاختار من قومه رجالا لهم شجاعة وأمرهم أن يأخذوا السلالم وقصدوا البلاد • فصعدوا الى السور الادنى في السلالم وناس فاس آمنون • فلما صعدوا على السور قتلوا من عليه ونزلوا الى السور الثاني وفتحوا الابواب وأشعلوا المشاعل وضربوا الطبول وكانت الامارة بين زيري وجوهر • فلما سمعها جوهر ركب في العساكر فدخل فاسا »[1] •

وبعد فتح مدينة فاس أضاف الخليفة الفاطمي المعز مدينة تاهرت الى المدن التي كانت تحت أمر سلطان زيري بن مناد • ومن جهته أذن زيري لابنه بلقين بتأسيس ثلاث مدن في المغرب الاوسط : الجزائر ومليانة والمدية وأمره بقتال قبيلة مغراوة من حلفاء الامويين ، التي كانت غزت جزءا كبيرا من المغرب الاوسط ، تحت قيادة محمد ابن الخير •

فجمع بلقين بن زيري جيشا عظيما وبفضل أخبار بلغته من

(1) ابن الاثير ، كامل ، ج 7 ص 354 •

طرف أحد اتباع محمد بن الخير ، هجم بلقين فجأة على أعدائه بناحية تلمسان وانتصر على مغراوة انتصارا تاما وأسـر عددا كبيرا منهم وقتل سبعة عشر من قادتهم وحاصر محمد بن الخير حصارا شديدا حتى يئس هذا الاخير مـن النجاة وانتحر يـوم 15 ربيع الثاني15/360 فبراير 971 .

وبعد هذا الانتصار الباهر عظم أمر زيري بن مناد في المغرب الاوسط هذا مما أوقد نار التحاسد والغيرة في قلب جعفر بن علي ابن حمدون .

كان علي بن حمدون حليفا للفاطميين قبل أن يتولوا الامر في المغرب . فعينه الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي واليـا على المسيلة وبسكرة . وعند نشوب ثورة أبي يزيـد على القائم جمع علي بن حمدون جيشا وسار لقتال الثائر ولكن ابن صاحب الحمار هجم عليه ليلا . فسقط علي بن حمدون من فرسه ومات . فخلفه ابنه جعفر . فأصبحت المسيلة في عهده ملتقى العلماء والشعراء .

فكان جعفر بن علي يكره زيري بن مناد وابنه بلقين ولم يعنهما في محاربتهما لزناتة بل لم يأخـذ أي تدبير لازالـة دسائس اتباع الامويين بالمسيلة . فحاول الخليفة الفاطمي المعز أن يصلح بينهما . فاستدعاهما فكانت المقابلة شديدة وانتهت بدون نتيجة . وبعد مدة قليلة استدعى المعز جعفرا فلم يلب دعوته . فأرسل له المعز رسولا . فخاف جعفر وغادر عاصمته مع أخيه يحي وحاشيته وعبيده وأمواله قبل وصول الرسول وانضم الى صفوف زناتة الذين سروا به وعينوه قائد جيشهم . وعندما سمع زيري بن مناد بخيانة جعفر بن علي بن حمدون جمع جيشا وحاربه ولكن جعفرا انتصر عليه وقتله .

د) بلقين بن زيري :

بعد موت زيري بن مناد خلفه ابنه بلقين على رأس صنهاجة .

وكان بلقين بمدينة أشير عندما سمع بقتل أبيه • فجمع جيشا عظيما ليأخذ بثأر أبيه • فأمده الخليفة الفاطمي المعز بالاموال والعساكر وأذن له بأن يحتفظ بالنواحي التي يفتحها • فخرج بلقين من أشير وبعدما استولى على المغرب الاوسط كله واطرد زناتة منه واتبعهم الى المغرب الاقصى ووصل الى سجلماسة حيث ألقى القبض على أميرهم الخير ابن محمد وقتله •

وبعدما أخذ بثأر أبيــه رجع بلقين الى المغرب الاوسط ومنع البربر من انتاج الخيل وركوبه وطارد زناتة من المغرب الاوسط فساروا الى ما وراء وادي ملوية • فزاد الخليفة الفاطمي المعز في اقطاع بلقين المسيلة وأعمالها التي كانت تحت أمر جعفر بن علي بن حمدون • وعندما فتح الجيش الفاطمي مصر عين المعز بلقين كخليفة على افريقية والمغرب • فيما يخص تولية بلقين نجد روايات أساطيرية في « رحلة » التجاني و « كتاب البيان » لابن عذاري وكتابين للمقريزي « اتعاز الحنفاء » و « الخطط » فقال التجاني عن ابن بسام « لما تغلب بني عبيد الناجمون بافريقية على مصــر فخلص لهم صميمها ، وتم لهم ملكها ونعيمها ، وأراد معد بن اسماعيل بن محمد بن عبيد الله الملقب بالمعز لدين الله اقتعاد صهوتها ، واثبات قدمه على ذروتها ، دعا زيري ابن مناد وهو يومئذ من صنهاجة بمكان السنام من الغارب ، وبمنزلة الوجدان من نفس الطالب ، وكان له عشر من الولد أساد شرى وأقمار سرى ، فقال ادع لي بنيك ، فقــد علمت رأيي فيهم وفيك ، وكان أصغرهم سنا ، وأهونهم عليه شأنا ، يوسف بن زيري فدعا ولده ما عداه ، والمعز ما يريد سواه ، وكانت عند المعز ــ زعموا ــ اثارة من الحدثان قد علم بها مصائر أحواله ، وأهل الغناء من أعيان رجاله ، وكانت عنده لخليفته على افريقية اذا صار اليه ملك مصر علامة يأنس بها أنس الكبير بذكر شبابه ، ويعرفها عرفان العاشق بديار أحبابه ،

فنظر في وجوه بني زيري فأنكرها ، حين تفقد تلك العلامة فلم يرها ، فقال لزيري هل غادرت من بنيك أحدا ، فلست أرى لمن هاهنا منهم أيدا ولا يدا ، فقال له الا غلام وطفق يصغر شأنه والمقدار قد عناه واعانه ، ويطوي أخباره ، والاختيار يذير عليـــه مداره ، فقال له المعز لا أراك حتى أراه ، فلست إريد سواه ، فلما رآه عرفه ، وفوض اليه من حينه واستخلفه ، فاستولى من وقته على الامور »[1].

ورواية ابن عذاري تشابه رواية التجاني[2] .

أما المقريزي فقال : « ولما عزم المعز على السير الى مصر أجال فكره فيمن يخلفه في بلاد المغرب فوقع اختياره على جعفر بن علي الامير فاستدعاه وأسرّ اليه أنـــه يريد استخلافه بالمغرب فقال : تترك معي أحد أولادك أو أخوتك يجلس في القصر وأنا أدبر ولا تسألني عن شيء من الاموال لان ما أجبيه يكون بازاء ما أنفقه من الاموال واذا أردت أمرا فعلته من غير أن أنتظر ورود أمرك فيـــه لبعد ما بين مصر والمغرب ويكون تقليد القضاء والخراج وغيره الي فغضب المعز وقال يا جعفر عزلتني من ملكي وأردت أن تجعل لي فيه شريكا في أمري واستبددت بالاعمال والاموال دوني قم فقد أخطأت وما أصبت رشدك . فخرج عنه ثم انه استدعى يوسف بن زيري الصنهاجي وقال له تأهب لخلافة المغرب فأكبر ذلك وقال يا مولانا أنت وآباؤك الائمة من ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صفا لكم المغرب فكيف يصفو لي وأنا صنهاجي بربري قتلتني يا مولانا بغير سيف ولا رمح فما زال به المعز حتى أجاب بشريطة أن المعز يولي القضاء والخراج لمن يراه ويختاره ويجعل الخَبَر لمن يثق به ويجعله قائما بـــين أيدي هؤلاء فمن استعصى عليهم يأمره به حتى يعمل به ما يجب ويكون

---

(1) التجاني ، رحلة ، ص 16–17 .
(2) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار المغرب، ج1 ، ص424 .

الامر لهم ويصير كالخادم بين أولئك فأحب المعز ما قال وشكره •
فلما انصرف قال ابو طالب بن القائم بأمر الله للمعز يا مولانا وتثق
بهذا القول من يوسف وأنـه يقوم بوفاه ما ذكر فقال المعز يا عمنا
كم بين قول يوسف وقول جعفر فاعلم ياعم أن الامر الذي طلبه جعفر ابتداء
هو أخير ما يصير اليه أمر يوسف واذا تطاولت المدة سينفرد بالامر
ولكن هذا أولا أحسن وأجود عند ذوي العقل وهو نهاية مايفعله »[1] •

وبعد الروايات الاساطيرية فلنرجع الى التاريخ وتتحدث عن الحفلة
الرسمية التي وقعت بمناسبة تولية بلقين بن زيري كخليفة الفاطميين
على افريقية والمغرب •

فوقعت هذه الحفلة بسردانية ، قرية تقع جنوبي القيروان ، في
أواخر شهر ذي الحجة 361/اكتوبر 971 • فقدم المعز خلعة الخلافة
لبلقين وأهدى له أكسية فاخرة وأحصنة عليها العد د النفيسة وأمّره
في الجيش وعلى قول ابن خلدون[2] « سماه يوسف بدلا من بلقين
وكناه أبا الفتوح ولقبه سيف الدولة » •

وأخبرنا ابن الاثير[3] بأن المعز ولى بلقين على افريقية والمغرب
ما عدا صقلية وطرابلس واجدابية وسرت وانه ولى « على جبايـة
افريقية زيادة الله بن القديم وعلى الخراج عبـد الجبار الخراساني
وحسين بن خلف المرصدي وأمرهم بالانقياد ليوسف بن زيري » •

فأقام المعز أربعة أشهر بسردانية ثم غادرها صحبة بلقين • فوصل
الى سفاقص • فودع بلقين بنواحي هـذه المدينة ، علـى قول ابن

---

(1) المقريزي ، الخطط المقريزية ، ج1 ، ص 157–158 •
(2) ابن خلدون ، عبر ، ج 6 ، ص 317 •
(3) ابن الاثير ، كامل ، ج 7 ، ص 45 •

خلدون[1] ، أو في مكان « من عمل قابس » حسب ابن ابي دينار[2] •
فواصل المعز رحلته الى مصر وقيل انه ، عند ذهابه ، أوصى بلقين بثلاث : « أن لا يرفع السيف عن البربر ولا يرفع الجباية عن أهل البادية ولا يولي أحدا من أهل بيته وعهد اليه أن يفتح أمره بغزو المغرب لحسم دائه وقطع علائق الاموية منه »[3] •

فرجع بلقين الى القيروان • فنزل قصر المعز بالمنصورية حيث أقام أربعة أشهر عين أثناءها الولاة وجباة الاموال •

فتولى بلقين الامر بافريقية والمغرب من سنة 361/972 الى سنة 373/984 • وأثناء ولايته وقعت أحداث عديدة أهمها : قتل زيادة الله ابن القديم ووفاة الخليفة الفاطمي المعز وغزو بلقين للمغرب الاقصى •

بعد توليته قام بلقين بغزو المغرب الاوسط لقمع ثورة أهل تاهرت وتلمسان • وأثناء غيابه توفي عامل القيروان والمنصورية سنة 363/974 • فكتب عبد الله بن القديم الذي كان قد ولاه المعز على الجباية لبلقين وطلب منه أن يعين عاملا يساعده في تسيير الامور • فولى بلقين عبد الله بن الكاتب التميمي الذي كان كاتب بديوان الانشاء • فرفض عبد الله في أول الامر وما قبل الا بعد ما استدعاه بلقين وهدده بالقتل • ثم بعد مدة وقع صراع شديد بين العامل الجديد والمسؤول على الجباية انتهى بقتل زيادة الله بن القديم • ومما يجدر ذكره هو أن بلقين لم يتدخل في الامر خوفا من الخليفة الفاطمي ولكنه أعان عبد الله سرا وهكذا تخلص من أحد الموظفين الذين كانوا عينوا من طرف المعز •

فوقعت وفاة المعز في شهر ربيع الثاني من سنة 365/نوفمبر 974 •

---

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج 6 ، ص 318 .
(2) ابن أبي دينار ، المؤنس في أخبار افريقية وتونس ، ص 65 .
(3) انظر ابن خلدون ، عبر ، ج 6 ، ص 318 .

فخلفه ابنه العزيز بالله فبعث بلقين هدايا للخليفة الجديد ومن جهته بعث العزيز للامير الزيري دنانير مضروبة باسمه وابقاه على ولايـ افريقية والمغرب وادخل في اقطاعه طرابلس واجدابية وسرت •

أما غزو بلقين للمغرب الاقصى فبدأ على قول ابن عذاري[1] يوم الاربعاء لخمس بقين من شعبان 27/368 مارس 974 • فسار بلقين في جيش يحتوي على ستة آلاف فارس • ففتح مدينة فاس بدون صعوبة وأقام بها مدة أمر أثناءها بصنع منبر لجامع الاندلس ما زال صدره موجودا الى أيامنا هذه • ثم توجه نحو سجلماسة لمحاربة زناتة • فقتل ابن خزر أمير مغراوة واستولى على سجلماسة وبلاد الهبط كلها وأطرد منها عمال الامويين ثم رحل الى سبتة في طلب من لجأ اليها مـن زناتـة •

فعند وصولهم الى سبتة ، طلبت زناتة مساعدة المنصور بن أبي عامر ، حاجب الخليفة الاموي الحكم • فبعث لهم مئة حمل من المال وجيشا عظيما تحت قيادة جعفر بن علي بن حمدون والـي المسيلة سـابقا •

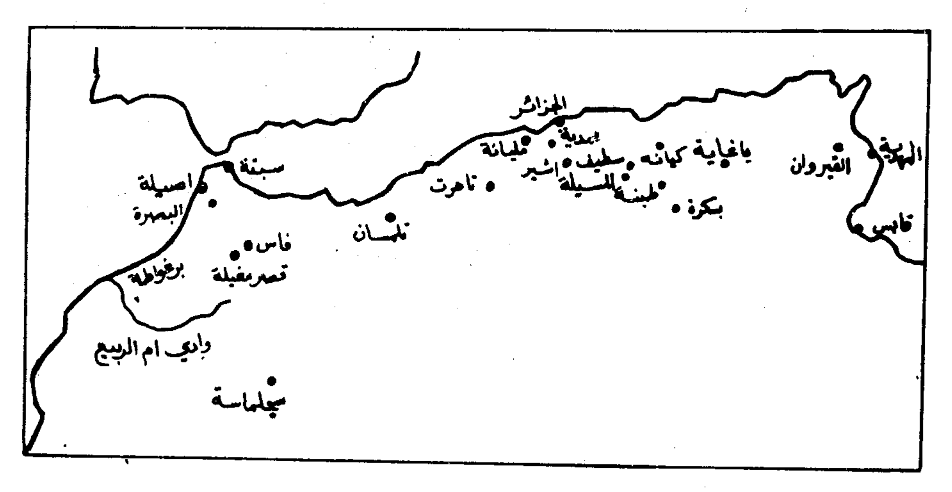
أما بلقين فما وصل الى الجبل المطل على سبتة الا بصعوبة كبيرة لانه وجد في طريقه غابات مشتبكة الاشجار • ولما رأى معسكر زناتة والمراكب المشحونة بالعدد تعبر بوغاز جبل طارق بدون انقطاع استيقن أنه لا يستطيع فتح المدينة وقال : « هذه أفعى فغرت الينا فاها »[2] وانصرف متوجها نحو البصرة ففتحها ونهبها ثم نحو أصيلة وفعل بها مثل ما كان فعل بالبصرة وحارب قبيلة برغواطة وتغلب عليها وقصد مدينة سجلماسة التي كانت سقطت من جديد بين أيدي زناتة • وبعد

---

(1) ابن عذارى ، بيان ، ج 1 ، ص 330 •

(2) انظر ابن خلدون ، عبر ، ج 6 ، ص 319 •

فتحها سار بلقين نحو الشمال • فاعتل في الطريق بالقولنج [1] وقيل ببثرة [2] ومات بعدما أوصى بتولية ابنه المنصور •



شكل 1 المغرب في عهد بلقين بن زيري

2 ـ حماد قبل تأسيس الدولة الحمادية :

آ) حماد في عهـد المنصور :

بعد وفاة بلقين بن زيري خلفه ابنه المنصور كخليفة للفاطميين على افريقية والمغـرب • فيذكر ابـن خلدون في « تاريخ الدولـة الحمادية » [3] ان المنصور « عقد لاخيه حماد عـلى أشير والمسيلة وكان يتداولها مع أخيه يطوفت وعمه ابي البهار » • وأما في « تاريخ

---

(1) انظر ابن عذاري ، بيان ، ج 1 ، ص 341 وابـن الاثير ، كامل ، ج 7 ، ص 121 •

(2) انظر ابن الاثير ، كامل ، ج 7 ، ص 121 •

(3) ابن خلدون ، عبر ، ج 6 ، ص 349 •

الدولة الزيرية »[1] فقال ابن خلدون ان حوالي سنة 377/987ـ988 « عقد لاخيه حماد على اشير » •

ب) حماد في عهد باديس بن المنصور :

بعد وفاة المنصور سنة 386/996 خلفه ابنه باديس على العرش الزيري • فأخبرنا ابن عذارى[2] ان في شهر صفر 387/فبراير ـ مارس 997 « عقد باديس ولاية اشير لحماد ابن ابي الفتوح يوسف ابن زيري بن مناد، فخرج عاملا عليها، واعطاه خيلا كثيرة وكسى جليلة » • ولم ينكر حماد خير باديس واصبح من حلفائه المخلصين وشارك في قتال زيري بن عطية وقمع ثورة أعمام أبي باديس وقتال المعز بن زيري ابن عطية •

ـ محاربة زيري بن عطية :

كان زيري بن عطية واليا على مدينة فاس • ثم انه « نكث على ابن ابي عامر بعد الحب الشديد والوفاء الاكيد ، وطعن على ابن ابي عامر سلبه لملك هشام »[3] • فحاربه ابن ابي عامر واطرده من المغرب الاقصى • فحاول زيري بن عطية ان يستولي على المغرب الاوسط •وفي اوائل سنة 389/998 ، زحف في جيش عظيم على تاهرت التي كانت تحت أمرة يطوفت عم باديس • « فنزل عليها وحاصرها »[4] • فكتب يطوفت الى باديس يستمده • فبعث اليه محمد ابن ابي العرب في جيش عظيم • فوصل ابن ابي العرب الى أشير حيث اتصل بحماد • وبعد ايام قليلة ، خرج حماد مع ابن ابي

---

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج 6 ، ص 321 .

(2) ابن عذاري ، بيان ج1 ، ص 356 انظر ايضا ابن الاثير ، كامل ، ج7 ، ص 182 ، الذي نذكر ان تولية حماد على أشير وقعت سنة 386 .

(3) ابن عذاري ، بيان ، ج1 ص 362 .

(4) نفس المرجع ، ج1 ،ص 358 .

العرب في عسكره • فوصلا الى تاهرت حيث اجتمعا بيطوفت • فهجمت الجيوش الثلاثة على زيري بن عطية • فوقعت معركة شديدة على مرحلتين من تاهرت • فانتصر زيري بن عطية لأن ، على قول ابن عذاري[1] ، حمادا كان أساء عشرة عسكره « فلما حمي الوطيس واشتد الباس ولوا منهزمين فاتبعهم جميع العساكر الافريقية » •

وهكذا انهزم حماد في محاربة زيري بن عطية • فيكون أحسن حظ في قمع ثورة أعمام ابي باديس •

— قمع ثورة اعمام ابي باديس :

كان باديس بمدينة المسيلة صحبة عم أبيه ابي البهار بن زيري عندما أتاه خبر ثورة اعمام ابيه على يطوفت عامل اشير • فخاف ابو البهار ان باديس يتهمه بالاتفاق مع أخوته الثوار : ماكسن وزاوي وجلالة ومغنين وعزم • فاتصل بهم • واما يطوفت فبعدما اطرد من اشير وصل الى المسيلة وأخبر باديس بثورة أعمام أبيه ونهب اشير • فكان باديس يحارب الزناتي فلفول بن سعيد بافريقية • فأمر حمادا بقمع ثورة أعمام أبيه • فوقعت حرب شديدة بين حماد وماكسن وفي آخر الأمر انتصر حماد وقتل ماكسن وثلاثة من أولاده : محسن وباديس وحباسة • ولجأ زاوي الى جبل شنوة ثم رحل الى الأندلس وطلب أبو البهار الامان من باديس • فأمنه • فنجهل مصير جلالة ومغنين• أما عزم فنعرف أنه توفي بالقيروان سنة 1010/401 — 1011 .

هكذا قام حماد بمهمته بصورة مرضية وارجع السلم بالمغرب الاوسط • فعظم شأنه خصوصا بعد موت زيري بن عطية • فكان هذا الاخير مرض أثناء حصاره لمدينة أشير • فرفع الحصار ومات وهو في طريقه الى فاس •

---

(1) ابن عذاري ، بيان ، ج1 ، ص358 .

فاستدعى باديس حمادا الى افريقية حيث أنه كان لا يحتاج اليه في المغرب الاوسط • فلبى حماد دعوته •

— محاربة المعز بن زيري بن عطية :

أتى المعز بن زيري بن عطية الذي كاز خلف أباه علـى رأس زناتة خبر سير حماد الى افريقية • فاغتنم هذه الفرصة ليهجم على المغرب الاوسط • فأمر باديس حمادا بقتاله واوعده بأنه في المستقبل ، لا يستدعيه الى القيروان وولاه على اشير والمغرب الاوسط وعلى جميع المدن التي يفتحها • وهكذا ، في سنة 1004/395 — 1005 ، قام حماد بقتال المعز بن زيري بن عطية • فليس لنا أخبار مفصلة عن هذا الحدث الهام ولكننا نعرف أن حمادا اطرد خصمه من المغرب الاوسط واضطره الى الرجوع الى المغرب الاقصى • فاصطلح المعز ابن زيري بن عطية مع المظفر عبد الملك بن ابي عامر الذي كان خلف أباه على الحجابة • فولاه المظفر على المغرب الاقصى ما عدا سجلماسة بشرط أن يدفع له غرامة سنوية ويبعث له ابنيه معنصر وحمامة •

وبعد انتصاره على المعز بن زيري بن عطية تولى حماد عـلى المغرب الاوسط • وفي سنة 1007/398 — 1008 ، أذن لـه باديس بتأسيس قلعة بني حماد التي سميت أيضا قلعـة حماد وقلعـة ابي طويل • فتقع هذه المدينة على 36 كم شمالي شرقي المسيلة في جبل عجيسة المعروف في أيامنا هذه بجبل المعاضض وحسب ابن خلدون ، نقل حماد الى القلعة « أهل المسيلة وأهل حمزة » (البويرة الحالية) وخربها ونقل اليها جراوة من المغرب وأنزلهم بها و « تم بناؤها وتمصيرها على رأس المائة الرابعة[1] » • فاستقر حماد في هذه المدينة المنيعة التي كانت تسمح له بمراقبة القبائل الزناتية بسهولة ولكنه كان ، من حين الى آخر ، يزور اشير •

---

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 350 •

فأصبح حماد صاحب مدينتين حصينتين في المغرب الاوسط •
فعظم شأنه هذا ما أوقد نار التحاسد والغيرة في نفس أعدائه الذين أخذوا يطعنون فيه ويحرضون باديس عليـــه •

فكتب باديس الى حماد وطلب منه أن يتخلى عن ثلاثة أعمال من شرق المغرب الاوســط : قسنطينة وتيجس ، على نحو 40 كم جنوبي — شرقي قسنطينة ، وقصر الافريقي ، على حوالي 50 كم شرقي تيجس ، لفائدة هاشم بن جعفر ، خليفة عزيز الدولة المنصور بن باديس الامير الزيري •

فاستدعى باديس هاشم بن جعفر واهدى له خلعة واطبال ورايات وأمره بأن يتولى الأمر في الاعمال الثلاثة • ومن حيث أن الامـــير الزيري كان يريد أن هذه العملية تتم بدون سفك الدماء ، اصحب هاشما بابراهيم أخي حماد وسلم لهـــذا الاخير الرسالة التي كان كتبها لحمـــاد •

فخرج هاشم وابراهيم يوم 18 شوال 11/405 افريل 1015 •
فأخذ ابراهيم معه اربعمئة ألف دينار وناسه وعبيده بدون أن يتعرض له باديس • فتحذر هاشم من ابراهيم • فزعم أن له اشغالا بمدينة باجة وتركه بعدما أوعده بأن يلحقه عن قريب • فكتب ابراهيم الى أخيه حماد ليخبره بما وقع • فسار اليه حماد في ثلاثين ألف فارس وعندما اجتمع الاخوان تشاورا واتفقا على أنهما يثوران على باديس •

وهكذا شبت حرب بين حماد وابراهيم من جهة وباديس الامير الزيري من جهة أخرى • وكانت المراحل الرئيسية لهذه الحرب : خلع حماد للخليفة الفاطمي وخضوعه للعباسيين ، فتح مدينة باجة من طرف حماد ، قتل الشيعيين بتونس ، وفاة المنصور بن باديس ، وصول حماد الى اشير ثم الى تاهرت ، هجوم كرامة على قلعة بني حماد ، معركة وادي شلف ، وصول حماد الى قلعة مغيلة ثم الى قلعة بني

حماد ، نهب مدينة دكامة من قبل حماد ، حصار قلعة بني حماد من طرف باديس ووفاة باديس •

ـــ خلع حماد للخليفة الفاطمي وخضوعه للعباسيين :

ان حمادا بعدما ثار على الامير الزيري باديس خلع الخليفة الفاطمي وخضع للخليفة العباسي وحارب الشيعيين وقرر أن المذهب السني أصبح المذهب الديني الرسمي •

ـــ فتح مدينة باجة من طرف حماد :

ان يوم 11 ذي الحجة 2/405 يونيو 1015 سار باديس في جيش عظيم لمحاربة حماد وأمر هاشم بالتحصن في مدينة شقبنارية (الكاف الحالية) جنوبي غربي باجة فامتثل هاشم أمره ولكن حمادا وابراهيم حاصراه في شقبنارية • فاضطر هاشم الى السير الى باجة • فلما سمع حماد بقرب الجيش الزيري كتب رسالة الى باديس ذكر فيها انه في طاعته وانه حضّر هدايا بوده أن يهديها لابنه المنصور منها ألف دينار ولكن في نفس الوقت كان حماد وابراهيم يواصلان الحرب • ففتح حماد باجة ونهبها وأحرقها وقتل عددا كبيرا من سكانها بعدما كان أوعدهم بالامن •

ـــ قتل الشيعيين بتونس :

وبعد فتح باجة حرض حماد سكان تونس على الشرقيين أي مناصري الفاطميين والشيعيين • وكان التونسيون في أغلبيتهم على المذهب السني • وكان شيخهم ، محرز بن خلف ، عظيم الشان في افريقية • فحدا بهم الى قتل الشيعيين • فقتلوا منهم عددا كبيرا وذلك في سنة 1015/406 [1] •

ان هذه الاحداث أقلقت باديس لانه خاف أن تفسد العلاقات

---

(1) انظر ادريس ، مناقب ابن اسحاق الجبنياني ومناقب محرز ابن خلف ، ص 290 •

الزيرية — الفاطمية . فبعث يعلى بن فَرح الى تونس ليعاقب المجرمين عقابا شديدا . وعندما سمع سكان تونس بمجيء يعلى بن فرح ، فكروا في الفرار . فبقي محرز بن خلف في بيته وكتب الى باديس ليعاتبه . فعفا باديس عن التونسيين وقيل أنــه أمر بقلع ضروس وزيره لانــه كان قد طعن في محرز بن خلف وانه بعث رسالة الشيخ الى زوجته لتأخذها كحرز .

— وفاة المنصور بن باديس :

بعدما رجع الهدوء الى تونس ، استطاع باديس ان يواصل الحرب ضد حماد . فكان بتامديت على مرحلة منه عندما « وردت عليه الاخبار بوفاة ولده المنصور عزيز الدولة ، وذلك أنــه كان حين حركته الى المهدية عرضت له حمى وظهر بــه جدري . فأقام سبعة عشــر يوما وتوفي »[1] .

فبلغ خبر وفاة المنصور حمادا وابراهيم . فبعثا رسالة الى باديس وقالا له : « ان ولدك ، الذي طلبت له ما طلبت ، قد توفي »[2] .

أما باديس ، نصير الدولة ، فكان من صبره « وحسن عزائه ما كثر التعجب به . وجلس مجلسا عاما للعزاء ، فكان لا يرى من أحد جزعا الا هونه عليه وسلاه عنه ، فزاد ذلك سرورا لاوليائه وكمدا لحسدته واعدائه »[3] .

— وصول حماد الى اشير ثم الى تاهرت :

رحل باديس من تامديت ومر بدكامة حيث خضع له عدد كبير من أحلاف حماد بينما كان هذا الاخير سائرا الى اشير ليتحصن بها ولكن والي المدينة ، خلف الحميري ، رفض ان يفتح له أبواب المدينة

(1) انظر ابن عذارى ، بيان ، ج1 ، ص 378 .
(2) نفس المرجع ، ص 379 .
(3) نفس المرجــع .

وخضع لباديس • فاضطر حماد الى مواصلة السير الى أن وصل الى تاهرت •

— هجوم كرامة أخي باديس على قلعة بني حماد :

أثناء اقامة باديس بالمسيلة ، قام كرامة ، أخو باديس ، بهجوم على قلعة بني حماد وخرب جزءا منها • فخرج منها عـدد كبير من سكانها وطلبوا الامان من باديس • فأمنهم • فغضب عليهم ابراهيم أخو حماد الذي كان بقلعة بني حماد وقتل نساءهم وأولادهم •

— معركة وادي شـلف :

واصل باديس سيره • فعبر نهر شلف ونزل بضفة من ضفتي نهر واسل ، رافد نهر شلف بينما كان حماد على الضفة الاخرى •

وفي صباح الغد ، عبر باديس النهر في جيشه وهجم فجأة على حماد • فكانت المعركة شديدة وانتهت بانتصار باديس • فانهزم حماد بعدما قتل نساءه لئلا يصبحن بين يدي العدو وهرب في خمسمئة من فرسانه وترك في ساحة القتال غنائم كثيرة منها عشرة آلاف درقة • وكان سـبب نجاته اشتغال عساكر باديس برفـع الغنائم والاموال والاثقال • وذكر ابن خلدون[1] ان انتصار الجيش الزيري يرجع الى بني توجين « فسوغ لهم باديس ما غنموه » • وذكر ابن عذارى ان الناس أخذوا « من الاموال والغنائم ما لا يحصى عددا وكثرة ووجد رقعتان فيهما : ان الذي عند القائد فلان صندوق فيه خمسون ألف دينار وسبعمئة ، ومن الورق ألف ألف وخمسمئة ألف درهم ، ومن الامتعة خمسون صندوقا ، غير ما كان في بيت حماد وخزائنه »[2] • واضاف ابن عذاري ، عن ابي اسحاق الرقيق ، انه « وجد رجل بين

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج7 ، ص 319 •
(2) ابن عذاري ، بيان ، ج1 ، ص 380 •

يديه بغل يسوقه • ففتشه بعض الوصفان بين أيدينا ، فوجد في حشو بردعته وصوفها ثمانية آلاف دينار ، ومثل هذا ما لا يحصى كثرة » •

وواصل ابن عذارى حديثه عن معركة وادي شلف بذكر قصيدة الرقيق التاليـة :

« لم أنس يوما بشلف راع منظره ... وقد تضايق فيـه ملتقـى الحدق
والخيـل تعبر بالهامات خائضـة ... من سافح الدم مجرى قانىء الفلق
والبيض في ظلمات النقـع بارقـة ... مثل النجوم تهاوت في دجى الغسق
وقد بـدا معلماً باديس مشـتهرا ... كالشمس في الجو لا يخفى عن الحدق
وان راحتـه لوفـاض نائلهـا ... وباسها في الورى اشفوا على الغرق
تجلو عمامتـه الحمـراء غرتـه ... كانـه قمـر في حمـرة الشفق
لو صور الموت شخصا ثم قيل له : ... ابو مناد تبدا ، مات من فرق »[1]

واتم صاحب « البيان » روايته لمعركة وادي شلف بذكر ما وقع لبكار بن جلالة الوتلكاتي وكان قد أخذه باديس أسيرا • كان بكار طعن في الامير الزيري • فأمر باديس بحلق لحيته ثم بجدع أنفه وأذنه ثم بقطع يديه هذا ما دفع بكار الى الانتحار • فضرب ضربة عظيمة بجبهته في عمود • فخر الى الارض ميتا •

ـــ وصول حماد الى قلعة مغيلة ثم الى قلعة بني حماد :

بعد معركة وادي شلف توجه حماد نحو قلعة مغيلة التي تقع شمالي تاهرت على 25 كم من الشط • فوصل اليها يوم 2 جمادى الاولـى 18/406 اكتوبر 1015 ثم سار الى قلعة بني حماد بعد خمسة أيـام[2] •

ـــ نهب مدينة دكامة من طرف حماد :

عند وصوله الى قلعته تحصن حماد فيها مـع أخيه ابراهيم •

---

(1) ابن عذارى ، بيان ، ج1 ، ص 380—381

(2) نفس المرجـع ، ص 382—385 •

« فأقاما بها ثلاثة أيام حتى استراحا وأراحا دوابهما ومن كان معهما . فعرفه أخوه ابراهيم بحاجته الى الازدياد من الطعام والملح »[1] .

فخرج حماد مع أخيه ابراهيم وعساكره الى مدينة دكامة ، على مرحلتين من المسيلة . وذكر ابن عذارى ان حمادا قد كان نقم على أهل المدينة في الوقت الذي كان باديس في أثره . « فتصايح أهل الموضع بساقته . فاعترضهم بالسيف وقتل منهم ثلاثمئة رجل »[2] . فجاء أحد فقهاء المدينة اسمه أحمد بن ابي توبة الى حماد وقال له : « يا حماد اذا لقيت الجموع هربت منهـا وان قاومت الجيوش فررت عنها . انما قدرتك وسلطانك على أسير يكون بين يديك لا نصير له عليك . فلما سمع كلامه أمر فضربت عنقه » .

وعلى قول ابن عذاري ، أراد رجل صالح آخر أن يدافع على أهل دكامة . فقال للقائد الحمادي : « يا حماد اتق الله ، فاني حججت حجتين . فقال له حماد : أنا أزيدك عليهما الشهادة وأمر به فضربت عنقه » .

وذكر صاحب « البيان » أخيرا أن جماعة من التجار المسـافرين كانوا موجودين بدكامة وقت غزو حماد للمدينة . فقالوا له : « نحن قوم غرباء ، لا ندري ما جنى أهل هـذه المدينة عليك . فقال لهم اجتمعوا واعرفكم . فاجتمعوا ودخل معهم غيرهم ممن طمع في الخلاص معهم . فلما وصلوا اليه أمر بهم فضربت رقابهم أجمعين » .

وبعد ذلك أخذ حماد كل ما كان بدكامة من طعام وملح وعاد به الى قلعته .

ـــ حصار قلعة بني حماد من طرف باديس :

بعد انتصاره على حماد في معركة وادي شلف ، سار باديس الى

---

(1) ابن عذاري ، بيان ، ج1 ، ص 381 .
(2) نفس المرجع ، ص 384 .

المسيلة حيث وصل يوم 28 جمادى الاولى 13/406 نوفمبر 1015 •
فارسل له ابراهيم رسولا ليقدم لـه اعتذار حماد ويذكره بما قام
حماد من حروب في سبيل الدولة الزيرية ومثله بالحجاج بن يوسف •
فأجاب باديس حمادا وبلغته رسائل أخرى منه ومن أخيـه ابراهيم
يطلبان فيها الامـن ولكن بقيت الامور عـلى حالها ولم يتصالح
الخصمان • فحاصر باديس قلعة بني حماذ ووزع المال على عساكره
وأعطى كل واحد منهم خمسمئة دينار وألف دينار وألفي دينار هذا
ما أدى عدد كبير مـن جنود حماد الى التجند في صفوف الجيش
الزيري •

ـــ وفاة باديس :

فذكر ابن عذاري[1] ان يوم 29 ذي القعدة 9/406 ماي 1016 •
وكان اذ ذاك حصار القلعة في شهره السادس ، أمـر باديس بتمييز
الجيش • « فبرز كل قائد في عسكره وجلس في قبته وأمر أيوب بن
يطوفت بالطواف على العساكر وحسابهم ، وانتظره حتى فرغ من
حسابها وعدها ، فجاءه فعرفه بما سره وأبهجه وانصرف الى قصره ثم
ركب عشية هذا اليوم، وهو قد تناهى اقبالا ، واستوى حسنا وجمالا •
فلعبوا بين يديه ، فكلما هز رمحا كسره وأخذ غيره • ثم عاد الى
قصره ، افسح ما كان أملا وأشد سرورا وجذلا ، فطعم وشرب مـع
خاصته وقرابته ، فعاينوا من طربه ما لم يعهدوا منه » • فنام وفي
نصف الليل توفي • فخرج خادمه في الوقت الى حبيب بن ابي سعيد
وباديس بن حمامـة وايوب بن يطوفت ، وهم أكبر قـواد الجيش
الزيري ، وأعلمهم بوفاة باديس •

فذكر ابن الاثير[2] انه كان بين حبيب بن ابي سعيد وباديس

---

(1) ابن عذاري ، بيان ، ج1 ، ص 384 •
(2) ابن الاثير ، كامل ، ج7 ، ص 277 •

أبن حمامة عداوة « فخرج حبيب مسرعا الى باديس ، وخرج باديس اليه أيضا • فالتقيا في الطريق • فقال كل واحد منهما لصاحبه : قد عرفت الذي بيننا والاولى أن نتفق على اصلاح هذا الخلل فاذا انقضى رجعنا الى المنافسة » • فاجتمعا مع أيوب واتفقا على تولية كرامة ، أخي باديس ، ظاهرا لان العدو قريب والمعز بن باديس بعيد • واذا وصلوا الى موضع الامن ولوا المعز • فاستدعوا كرامة وبايعوه واتفقوا على أن يكتموا خبر وفاة باديس ويقولون للناس ان باديس شرب دواء • ولكن في الصباح خرج من المسيلة خبر موت باديس وأغلق سكانها أبوابها وصعدوا على أسوارها • فعند ذلك أعلن حبيب بن ابي سعيد وباديس بن حمامة وايوب بن يطوفت بمبايعة كرامة • فلما رأى ذلك عبيد باديس ومن معهم أنكروه • فقال لهم القادة الثلاثة : اننا قدمنا كرامة ليحوط الرجال ويحفظ الاموال حتى يدفع بذلك الى مستحقه المعز ابن مولانا نصير الدولة • ثم اتفق الجميع على خروج كرامة الى اشير ليحشد قبائل صنهاجة وتلكاتة ويعود بهم الى المسيلة •

ثم في يوم عيد الاضحى رفع الجيش الزيري الحصار ورحل الى افريقية • فقدموا التابوت أمام البنود والطبول • فذكر ابن عذارى[1] ان حمادا أشرف على العساكر « وهي تمرّ كالسيل بين يدي التابوت ، فقال لاخيه وخاصته : مثل هؤلاء يخدم الملوك • وصلت أنا الى افريقية في ثلاثين ألف فارس ، ما منهم الا من أحسنت اليه وأنعمت عليه ، فعدت الى القلعة وما بقي معي الا أقل من ستمائة ، وأنا بين اظهرهم ارجي ، وهذا ميت أطاعوه كما كان حيا » •

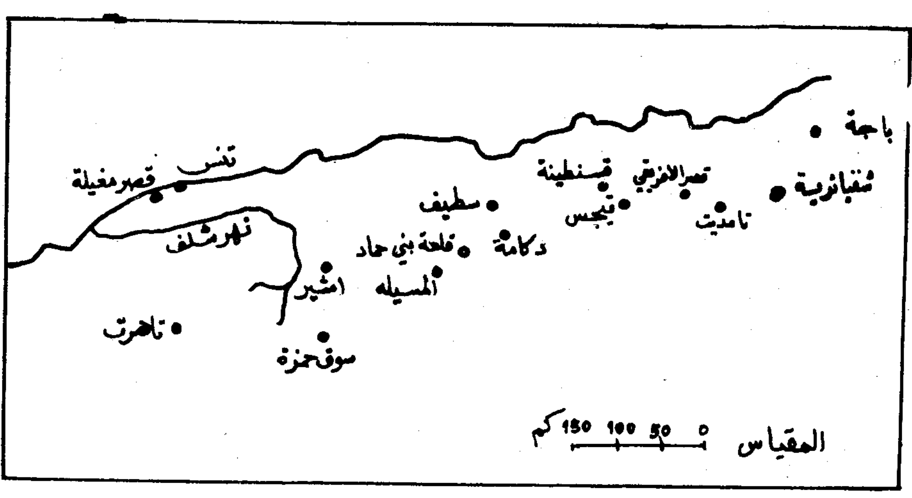
وبعد ذلك سار حماد الى اشير في ألف وخمسمائة جندي • فلاقاه

(1) ابن عذاري ، بيان ، ج1 ، ص386—387 •

كرامة في سبع آلاف عسكري • فاقتتلوا قتالا شديدا ولكن ، على قول ابن الاثير [1] ، رجع بعض أصحاب كرامة الى بيت المال « فانتهبوه وهربوا » • فانهزم كرامة واضطر الى الرجوع الى مدينة اشير • فحاصر حماد اشير واستدعى كرامة • فلبى دعوته • فأعطاه حماد مالا وأذن له في المسير الى افريقية •

فوصل كرامة الى افريقية يوم الاربعاء 19 محرم 26/407 يونيو 1016 • فاستقبله المعز استقبالا حارا وأكرمه •

اما حماد فدخل اشير وقتل عددا كبيرا من أحلاف الزيريين ولكنه لم يستطع أن يلقي القبض على العساكر الذين كانوا انتهبوا بيت مال كرامة •



شكل 2 الحرب بين باديس وحماد

---

(1) ابن الاثير ، كامل ، ج7 ، ص 277 •

3 ـ حماد في عهد المعز بن باديس :

ان الاحداث الهامة لهذه الفترة هي : تولية المعز وقتل الشيعيين بافريقية والحرب الحمادية ــ الزيرية والاتفاق الحمادي ــ الزيري •

آ ◆ تولية المعــز :

رأينا فيما سبق أن بعد وفاة باديس ، بايع الجيش الزيري كرامة أخا حماد • أما بالمهدية فكان المعز بن باديس مع عمته أم ملال عند ورود خبر وفاة أبيــه • فذكــر ابن عذاري [1] ان والي القيروان « المنصور بن رشيق وقاضي القيروان والمنصورية وشيوخها ومن كان بها من الصنهاجيين » خرجوا الى أم ملال وعزوها في أخيها • وأما المعز الذي كان اذ ذاك طفل في عمره أقل من تســعة سنين ، فخرج بالبنود والطبول • « فنزل اليه الناس يهنونه جميعا ، وبايعوه وهنوه وعزوه وابتهلوا بالدعاء اليــه » • ثم عاد الى قصره ، ودخل الناس يهنؤون عمته أم ملال بولاية ابن أخيها • ثم انصرف أهل القيروان والمنصورية وبقي المعز بالمهدية • وكان كــل يوم يركب ويسير الى قبة السلام[2] فيطعم الناس بين يديه ويرجع الى قصره •

فوصل الجيش الزيري الى المهدية لثمان بقين من ذي الحجة ، حسب ابن عذارى [3]، يوم 8 محرم 407/11 يونيو 1016 ، على قول ابن عذارى [4]، أو أول محرم كما ذكره ابن ابي دينار [5]• فوقعت حفلة كبيرة بهذه المناسبة • فوقف القائد الزيري حبيب بن ابي سعيد بجانب المعز وقدم له قواد الجيش وأكابر الدولة • فتعرف المعز أحوالهم

---

(1) ابن عذاري ، بيان ، ج1 ، ص 386 •
(2) قبة السلام : اسم قصر يقع على حوالي 4 كلم غربي المهدية وكان يسمى ايضا برج العريف فلم يبق منه آثار •
(3) ابن عذارى ، بيان ، ج1 ، ص 387 •
(4) ابن الاثير ، كامل ، ج7 ، ص 278 •
(5) إبن ابي دينار ، مؤنس ، ص 82 •

وأحسن اليهـم • ثم نزل الناس الى المعـز فوجا فوجا حتى كمل سلامهم •

وبعد ثلاثة أسابيع غادر المعز المهدية وسار الى المنصورية حيث استقبل استقبالا حارا من طرف أهـل المدينة وذلك يوم الجمعة 15 محرم 407/24 يونيو 1016 • وفي الغد زار القيروان حيث وقع حدث هام الا وهو قتل الشيعيين •

ب) قتل الشيعيين :

على قول ابن الاثير [1] ، كان سبب قتل الشيعيين بافريقية هو ان المعز بن باديس ، أثناء زيارته للقيروان اجتاز بجماعة • فسأل عنهم فقيل هؤلاء رافضة يسبون أبا بكر وعمر • فقال : رضي الله عن أبي بكر وعمر • فانصرفت العامة الى درب المعلى من القيروان وهـو تجتمع فيـه الشيعة وقتلوهم ونهبوا ديارهم وأحرقوها • وذكر ابن عذاري [2] ان المعز « ربي في حجر وزيره ابي الحسن بن ابي الرجال ، وكان وعرا زاهدا ، وكانت افريقية كلها والقيروان على مذهب الشيعة وعلى خلاف السنة والجماعة ، ومن وقت تملك عبيد الله المهدي لها • فحرض ابن ابي الرجال المعز بن باديس ، وادبه ، ودله على مذهب مالك وعلى السنة والجماعة ، والشيعة لا يعلمون ذلك ، ولا أهـل القيروان • فخرج المعز في بعض الاعياد الى المصلى في زينته وحشوده وهو غلام • فكبا بـه فرسه ، فقال عند ذلك : ابو بكر وعمر • فسمعته الشيعة التي كانت في عسكره ، فبادروا اليه ليقتلوه ، فجاء عبيده ورجاله ومن يكتم السنة من أهل القيروان ووضع السيف في الشيعة ، فقتل منهم ما ينيف على الثلاثة آلاف » •

---

(1) ابن الاثير ، كامل ، ج7 .
(2) ابن عذاري ، بيان ، ج1 ، ص 395 •

وقال ابن خلدون[1] من جهته : « كان المعز منحرفا عن مذاهب الرافضة ومنتحلا السنة ، فأعلن بمذهبه لاول ولايته ولعن الرافضة ، ثم صار الى قتل من وجد منهم ، وكبا به فرسه ذات يوم ، فنادى مستغيثا باسم ابي بكر وعمر ، فسمعته العامة ، فثاروا لحينهم بالشيعة وقتلوهم ابرح قتال » ،

هذا ما جاء عن قتل الشيعيين بالقيروان ، فذكر المؤرخون ان هذا القتل وقع أيضا بالمهدية وسائر مدن افريقية ،

ومن الجدير بالذكر هو ان ، على قول ابن الاثير[2] ، الخليفة الفاطمي الحاكم لم يعاتب المعز على قتل الشيعة بل بعث له بمناسبة توليته الخلع ولقبه شرف الدولة ،

ج) الحرب الزيرية ـ الحمادية :

بعد رجوع الهدوء الى افريقية ، سار المعز الى حماد لثمان بقين من صفر 408/18 يوليو 1017 ، قد رأينا أن حمادا كان فتح اشير ، فنضيف الى ذلك أنه بعد انصراف الجيش الزيري احتل المسيلة وحاصر باغاية ، ولكنه لما قاربه المعز رفع الحصار ، وذكر النويري[3] ان ابراهيم أخا حماد وصل الى باب باغاية واستدعى أيوب بن يطوفت والي المدينة ليتحدث معه ، فلبى دعوته ، فقال له : نحن كلنا تحت طاعة أميرنا المعز بن باديس ونريد أن نتصالح بواسطتك ، ان حمادا يسلم عليك ويطلب منك أن تبعث له رسولا أمينا ، فدعا أيوب أخاه حمامة وغلامه يسورين وحبوس بن القاسم بن حمامة وبعثهم الى حماد ، وعند وصولهم ، أمر حماد بقتل يسورين وتقييد الآخرين ،

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 325 ،
(2) ابن الاثير ، كامل ، ج7 ، ص 278 ،
(3) النويري ، نهاية العرب ، ج2 ، ص 137 ،

فلما ورد هذا الخبر الى المعـز هجم على حماد وعلى قول ابن الاثير[1] « فما كان الا سـاعة حتى انهزم حماد وأصحابه ووضـع أصحاب المعز بهم السيف وغنموا ما لهم من عدد ومال وغير ذلك » . وأضاف صاحب « الكامل » ان المعز نادى « من اتي براس فله أربعة دنانير . فاتي بشيء كبير » . وأثناء المعركة أسر ابراهيم أخو حماد . وأما حماد فنجا ولكنه اصابته جراح وتفرق عنه أصحابه . وعنـد وصوله الى قلعته أرسل رسولا الى المعز . فقال هذا الاخير للمعز : ان حمادا يعتذر ويقرّ بالخطيئة ويسأل العفو . فأجابه المعز : ان كان حماد على ما قلته فليرسل لي ابنه القائد . « فعاد جواب حماد انه اذا وصله كتاب أخيه ابراهيم بالعلامات التي بينهم أنه قد أخذ له عهد المعز بعث ولده القائد . فحضر ابراهيم وأخذ العهود على المعز وأرسل اليه يعرفه ذلك ويشـكر المعز على ذلك اليه » .

ثم رجع المعز الى المنصورية يوم 30 جمادى الاولى 408/24 أكتوبر 1017 . فأطلق ابراهيم وأهدى له خلعا ومالا ودواب . فلما وردت هذه الاخبار على حماد ، بعث ابنه القائد . فوصل هذا الاخير يوم 15 شعبان 408/5 يناير 1018 . فأحسن المعز ضيافته . وعلى قول ابن ابي دينـار[2] أجري على القائد « في اقامتـه كـل يوم ثلاثة آلاف درهم وخمسة وعشرين قفيزا شعيرا لدوابه ودواب أصحابه وخلع على أصحابه مائة خلعة واعطاه ثلاثين فرسا بسروج الذهب ومن الثياب المثقلات ما لا يدخل تحت حصر » .

د) الاتفاق الحمادي ـ الزيري :

وبعد المفاوضات التي جرت بين المعز وحماد استقل هذا الاخير

---

(1) نفس المرجع ، ابن الاثير ، كامل ، ج7 ، ص 278 .
(2) ابن ابي دينار ، مؤنس ، ص 82 .

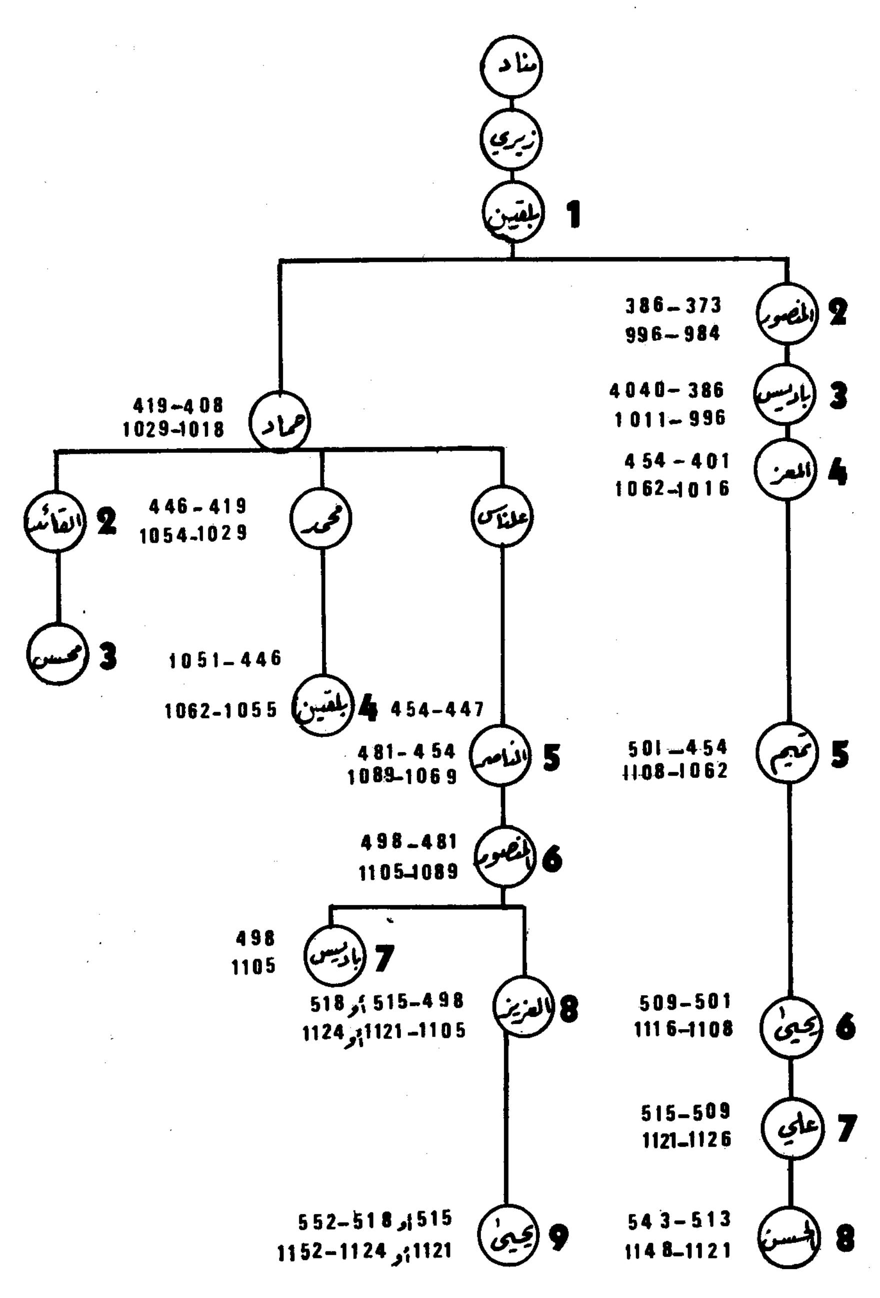
« بعمل المسيلة وطبنة والزاب واشير وتاهرت وما يفتح مـن بلاد المغرب وعقد المعز للقائد بن حماد على طبنة ومرسى الدجاج وبلاد زواوة ومقرة ودكامة وبلزمة وسوق حمزة »[1].

وهكذا حسب الاتفاق الحمادي — الزيري أصبح حماد أميرا مستقلا على المغرب الاوسط. ولكن يظهر انه تخلى عن الاعمال الثلاثة : قسنطينة وتجيس وقصر الافريقي سبب الحرب التي شبت بينه وبين باديس من حيث ان هذه العمالات لم تذكر من بين المدن التي عقد عليها المعز لحماد ولابنه القائد .

وهكذا ابتداء من سنة 1018/408 تفرعت صنهاجة الى دولتين : الدولة الزيرية التي حكمت في افريقية والدولة الحمادية التي تولت الامر في المغرب الاوسط .

فيجد قرّاؤنا في الجدول التالي أسماء الامراء الزيريين عـلى اليمين والامراء الحماديين على اليسار .

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 324 .



جدول أمراء الدولتين الزيرية والحمادية

4 ـ حماد امير مستقل للمغرب الاوسط :

آ) طبيعة حماد :

كان حماد شجاعا ، صارما عالما في الفقه والجدل ، تقيا يصوم ثلاثة أشهر في السنة ولا يشرب الخمر • فكان كريما مع حلفائه وأقسى من الحجر مع أعدائه وامتاز بحيلته • فذكر البكري [1] انه كان يقول : « ما تداهى أحد قط علي ولا خدعني الا امرأة وكعاء من البربر » ثم أضاف الى ذلك قائلا : « ان صاحبا كان لي بالقيروان نشأ معي نشأة واحدة لم يفرق بيننا مكتب ولا مشهد وكنت قد خلطته بنفسي وجعلته محل انسي فلم يزل على ذلك حتى صرت الى ما أنا فيه ففقدته فجعلت افتقده فلا أقدر عليه ولا أجد سببا للوصول اليه فلما ان عتبت على اهل باغاية وشننت عليها الغارات لم انشب صبيحة ذلك اليوم ان سمعت مناديا ينادي يالله يا للامير فقلت ما بالك ومن انت فقال أنا فلان بن فلان فاذا به صاحبي المطلوب قد حبسه عني نسكه وغلب على هواه ورع يملكه فاظهرت البشر بمكانه والجذل بشانه ولو شفع في جميع اهل باغاية لشفعته فجعلت الطفه واونسه وهو كالولهان فسألته عن أمره فقال انه فقد بنته فيمن فقد من النساء فقلت له والله لو خرجت الي بالامس لحقنت دماء أهل بلدك لحرمتك عندي فقال القدر غالب والمحروم خايب قال حماد ثم أمرت القواد فاحضروا جميعاً ما كان في جيوشهم من النساء فعرف فيهن بنته قال فأمرت بسترها وحملها مع أبيها فرفعت صوتها قائلة لا والله يا حماد لا رجعت مع أبي ولا رجعت مع الذي غصبني قلت فما تريدين ويلك قالت اني لا اصلح الا للملوك فلا حاجة لي في السوقة فلما سمع ذلك أبوها سكن ما كان في نفسه لها وظن أنها قد فتنت وفسدت عليه

---

(1) البكري ، كتاب المغرب ، ص 187–188 • انظر أيضا كتاب الاستبصار ص 57–58 •

قال حماد فقلت لها ومن أين لا تصلح الا للملوك قالت لان عندي علما أشارك فيه ولا يدعيه غيري قلت ألا أريتينا شيئا من ذلك فقالت نعم تأمر بقتل انسان وتحضر أمضى سيف أتكلم عليه بكلمات تمنع من تأثيره وتعود بيدي حامله اكل من قائمه قال حماد الذي يجرب هذا فيه لمغرور قالت اويتّهم أحد أنه يريد قتل نفسه قال لا قالت فاني أريد أن يجرب ذلك في فتكلمت علـى سيف اختاروه ومدت عنقها فضربها السياف ضربة أبان رأسها فاستيقظت من غفلتي وعلمت أنها تداهت علي وكرهت العيش بعد الذي جرى لها وعليها » .

وكان حماد يعيش معيشة بسيطة ويحكم بنفسه بين رعيته . فقال البكري [1] في هذا الصدد : « ذكروا أن رجلا شيخا خرج مـع امرأته وكانت شابة يريد قلعة حماد فصحبه في بعض الطريق فتى شاب كلف بتلك المرأة وكلفت به فتواطيا على أن يدعي كل واحد منهما زوجية الآخر ويسقطا الشيخ فلما وصلا الى القلعة شكا ذلك الشيخ ما دهمه من أمرهما ووصف له حاله معهما فوقف حماد الشاب والمرأة فتقارا على نكاحهما وانكرا ما يدعيه الشيخ فجعل حماد يباحث الشيخ هل صحبهم في طريقهم أحد أو هل له شبهة فقال ما صحبنا في طريقنا غير هذا الكلب فاندلى لكلب كان معه فأمر الشيخ بربط الكلب الى تمرة او وتد كان هناك ثم أمر المرأة بحله فذهبت اليه فارسلته ثم أمرها بربطته والكلب لا ينكر شيئا من ذلك ثم قال للشاب قم فارسل الكلب ثم اربطه فلما هم بذلك نبحه الكلب وانكره فقال للمرأة هذا زوجك الشيخ وهذا الفاسق يخلفك عليـه وأمر بضرب عنق الفتى » .

ب) رجوع القائد بن حماد الى القلعة :

بعد الاتفاق الحمادي — الزيري ، رجع القائد بن حماد الى

---

(1) البكري المغرب ، ص 184 . انظر أيضا كتاب الاستبصار ص 56–57 .

القلعة وذلك في 4 رمضان 24/408 يناير 1018 • فبقي تحت طاعة أبيه وكان من حين الى آخر يزور المعز بن باديس •

ج) زواج عبد الله بن حماد بأم العلو أخت المعز :

في رجب 415/سبتمبر — اكتوبر 1024 زوج المعز أخته أم العلو بعبد الله بن حماد • وبهذه المناسبة أقيمت حفلة رائعة يحدثنا عنها ابن عذاري[1] • فقال :

« فلما كان يوم الاربعاء غرة شعبان المكرم زين الايوان المعظم للسيدة الجليلة أم العلو ودخل الناس خاصة وعامة • فنظروا من صنوف الجوهر والاسلاف والامتعة النفيسة واواني الذهب والفضة ما لم يعمل مثله ولا سمع لاحد من الملوك قبله » •

ثم أفادنا صاحب « البيان » بما جاء في كتاب ابي اسحاق الرقيق في هذا الشان • فقال :

« فبهر عيون الخلق حالما عاينوه ، وابهتهم عظيم ما شاهدوه ، وحمل جميع ذلك الى الموضع الذي ضربت فيه الابنية والقباب والاخبية ، وحمل المهر في عشرة احمال على عشرة ابغل على كل حمل جارية حسناء ، وجملته مائة الف دينار عينا •

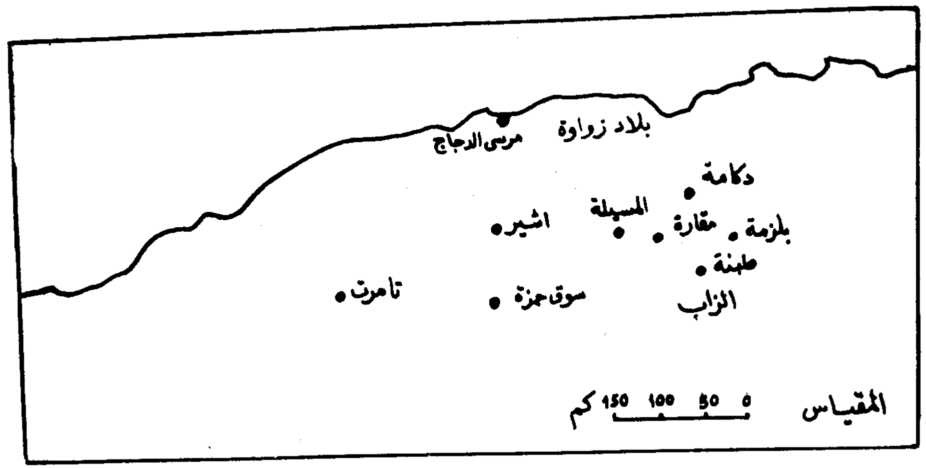
وذكر بعض حذاق التجار انه قوم ما هو لها فكان زائد على ألف ألف دينار ، وهذا ما لم ير قط لامرأة قبلها بافريقية • وزفت العروس يوم الخميس ، ومضى بين يديها عبيد أخيها شرف الدولة وأبيها نصير الدولة ، وجدها عدّة العزيز بالله ، ووجوه رجال الدولة ، فكان يوما سارت الركبان بمحاسن آثاره وامتلأ البلدان بعجائب أخباره » •

---

(1) ابن عذاري ، بيان ، ج1 ، ص 393—394 .

د) وفـاة حمـاد :

واربعة سنين بعد زواج ابنه عبد الله باخت الامير الزيري المعز توفي حماد مؤسس الدولة الحمادية بتازمرت [1] في ناحية قلعـة بني حماد على اثر مرض اصابه وهو في نزهة .



شكل 3 المدن والمناطق التي عقدها المعز على حماد وابنه القائد

(1) تازمرت : يمكن أن تكون تازمالت الحالية على قول الاستاذ ادريس ،
La Berbérie Orientale sous les Zirides, t. I, p. 157.

الفصل الثاني

الدولة الحمادية في عهد القائد ومحسن وبلقين

ا ــ عهد القائد بن حماد :

بعد وفاة حماد خلفه ابنه القائد بدون صعوبة وبقي على رأس الدولة الحمادية خمسة وعشرين عاما •

ان أهم الاحداث السياسية التي وقعت في عهد القائد بن حماد هو انقطاع العلاقات الزيرية ــ الفاطمية • ولذلك قسمنا دراستنا لعهد الامير الحمادي الثاني الى ثلاثة أقسام : القائد قبل انقطاع العلاقات الزيرية ــ الفاطمية ، انقطاع العلاقات الفاطمية ــ الزيرية ، وموقف القائد أمام انقطاع العلاقات الزيرية ــ الفاطمية •

آ) القائد قبل انقطاع العلاقات الفاطمية ــ الزيرية

ذكر المؤرخون ان القائد كان رجلا صارما ، قاسيا أكثر من أبيه من حيث أنه أمر بقتل ابنه زيري بدون ان نعرف لأي سبب •

وبعد توليته عين أخاه يوسف عاملا على المغرب وأخاه وقلان عاملا على سوق حمزة ثم قام بغزو زناتة[1] • فحارب والي فاس حمامة

---

(1) انظر ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 352 •

ابن المعز بن زيري بن عطية ولكن الجيشين لم يلتقيا للسبب التالي : ان القائد ، الذي كان أكرم من أبيه ، دفع أموالا كثيرة لعساكر عدوه ليخونوه . فورد هذا الخبر على والي فاس . فخشا الهزيمة وخضع للقائد وذلك في سنة 430/1038—1039 .

وفي سنة 432/1040—1041 حارب القائد الامير الزيري المعز . فسار اليه هذا الاخير وحاصر قلعة بني حماد سنتين . فطلب القائد العفو من المعز بن باديس . فعفا عنه ورجع الى افريقية[1] .

وعلى قول ابن شرف[2]، مؤرخ الدولة الزيرية ، بعث القائد بن حماد ابا القاسم بن ابي مالك ، الذي كان يسكن قرب القلعة ، الى المعز بن باديس وذلك في سنة 438/1046—1047 . فاعجب المعز بفصاحته ومهارته . ومن الجدير بالذكر هو أن أبا القاسم كان يوفر حاجاته بنفسه .

ب) انقطاع العلاقات الفاطمية — الزيرية :

1) اسبابه :

من أسباب انقطاع العلاقات الفاطمية — الزيرية نذكر : ضعف الفاطميين ، كره أهل افريقية للمذهب الشيعي وتمسكهم بالمذهب السني ورداءة العلاقات بين المعز والوزير الفاطمي اليازوري .

— ضعف الفاطميين :

كان الفاطميون فقدوا الشام وعرفت بلادهم صراعاً عنيفاً بين الجنود الاتراك والمغاربة والعبيد . ومن جهة أخرى كانت الدعاية العباسية تهجم عليهم وتعلن انهم ليسوا من ذرية علي بن ابي طالب .

---

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 352 . انظر ايضا ابن عذاري ، بيان ، ج1 ، ص 397 . وابن الاثير ، كامل ، ج8 ، ص 22 .

(2) أنظر ادريس ، نفس المرجع ، ج1 ، ص 158 .

وبالعكس كانت الدولة الزيرية بلغت أوجهـا خصوصا بعـد انتصار المعز على القائد بن حماد وزناتة • فكان الامير الزيري يعيش في وسط الترف والرفاهية ويجمع في قصـره علماء وأدباء العـالم الاسلامي كله ولذلك ليس عجيبا ان رأيناه يريد أن يتحرر من السلطة الفاطمية •

— كره أهل افريقية للمذهب الشيعي وتمسكه بالمذهب السني :

كان سكان افريقية ، في أغلبيتهم ، متمسكين بالمذهب السني وذلك مع ان المذهب الرسمي كان المذهب الشيعي • وكان الشيوخ السنيون يطلبون من المعز ، بدون انقطاع ، أن يخلع السلطة الفاطمية • ومن بين هؤلاء الشيوخ اثنان لعبا دورا هاما في تغيير العلاقات الزيرية — الفاطمية ألا وهما : أبو بكر بن عبد الرحمن وأبو عمران الفاسي •

فذكر الاستاذ ادريس[1] في هذا الصدد ان يوما من الايام بعث المعز رسولا للشيخين يطلب منهما : « هل تجوز الصلاة بثياب مطروز عليها أسماء الخلفاء الفاطميين ؟ » فأجاب أبو بكر بن عبد الرحمن للرسول : « هذا سؤال طرحه أحمق وسخيف جاهل » • وأجاب أبو عمران الفاسي من جهته : « يجب على من ولاه الله الامر أن يزيل هذا الشيء » • فغضب المعز على الشيخين واستدعاهما وقال للاول : « لماذا أجبت أن السؤال مطروح من قبل أحمق ؟ » فقال أبو بكر ابن عبد الرحمن : « لأن السكة مضروبة في اسم الفاطميين وبنودهم ما زالت ترفرف فوق رؤوسنا » • فقال المعز : « ما غيرت السـكة والبنود من أجل الحجاج والمسافرين • ألم أمر بقتل الشيعيين ؟ ألم أفعل كذا وكذا ؟ » فقال أبو بكر : « فعلت ولم يبق لك الا أن تسمح لي بالكلام » • فقال المعز : « لا » • فتدخل اذ ذاك أبو عمران الفاسي في المناقشة • ومع العداوة التي كانت بينه وبين أبي بكر بن

(1) انظر ادريس ، نفس المرجع ، ج1 ، ص 177—178 •

عبد الرحمن ، قال للمعز : « لماذا لم تأمر بازالة هذا الشيء ؟ » فلم يجد المعز ما يجيبه .

ان هذه الحكاية تبين لنا ان الشيخين كانا لا يخافان من أميرهما ويعاتبانه كلما سلك مسلكا يشكل خطرا على المذهب السني . فكان الشيخان يستطيعان أن يأخذا هذا الموقف الصارم لأنهما كانا متأكدين بمساعدة سكان القيروان في أغلبيتهم . فكان القرويون يحترمونهما احتراما عظيما حتى أنه ، على قول الاستاذ ادريس[1]، أثناء جنازة أبي بكر بن عبد الرحمن تنافس القرويون في حمل النعش تنافسا شديدا وكسروه عدة مرات واضطر المعز الى أن يأمر بقطع يد الذين يرفضون أن يتخلوا عن النعش ليزيل هذا التنافس المفرط . وفي الايام التي ولت الجنازة بقي سكان القيروان يسيرون الى المقبرة أفواجا أفواجا ، نهارا وليلا حتى تدخل المعز مرة أخرى وأمر بازالة هذا الأمر .

وهناك دليل آخر على تمسك أهل القيروان بالمذهب السني أفادنا به ابن عذاري[2]. فقال : « لما رحل بنو عبيد الى مصر لم تزل ملوك صنهاجة يخطبون لهم بافريقية ويذكرون اسماءهم على المنابر . وتمادى الامر على ذلك حتى قطع أهل القيروان صلاة الجمعة فرارا من دعوتهم ، وتبديعا لاقامتها باسمائهم ، فكان بعضهم اذا بلغ الى المسجد قال سرا : اللهم اشهد اللهم اشهد. ثم ينصرف يصلي ظهرا اربعا ، الى أن تناهى الحال حتى لم يحضر الجمعة من أهل القيروان أحد، فتعطلت الجمعة دهرا الى أن رأى المعز بن باديس قطع دعوتهم ، فكان بالقيروان لذلك سرور عظيم » .

---

(1) انظر ادريس ، نفس المرجع ، ج1 ، ص 178 .
(2) ابن عذاري ، بيان ، ج1 ، ص 400 .

— رداءة العلاقات بين المعز بن باديس والوزير الفاطمي اليازوري :

ذكر محمد بن علي بن يوسف بن جلب المعروف بابن ميسر[1] وابن الاثير[2] وابن الصيرفي[3] ان سبب عصيان المعز بن باديس على الخليفة الفاطمي المستنصر هو تقصيره في المكاتبة للوزير اليازوري • فكان اليازوري من أسرة فقيرة وكان المعز لا يخاطبه كما كان يخاطب من قبله من الوزراء • كان يخاطبهم بعبد الخليفة فخاطب اليازوري بصنيعته•

2) تاريخــه :

اختلف المؤرخــون في تاريخ انقطاع العلاقــات الزيــرية — الفاطمية الــى أن هــذا التاريــخ أصبح يتراوح بــين 433/1041 و 433/1054 • ولكــن من حيث أنــه وجدت دنانــير زيرية سنية مضروبة في سنة 441/1049—1050 ، نستطيع أن نقول أن انقطاع العلاقات الزيرية — الفاطمية كان قد تم في هذه السنة الاخيرة[4] •

3) مراحلــه :

قبل أن يقطع علاقاته مع الخليفة الفاطمي المستنصر ، بعث المعز ابن باديس رسل الى كل من الامبراطور البيزنطي والخليفة العباسي والخليفة الاموي بالاندلس ليطلب مساعدتهم أو على الاقل انحيازهم • ثم أراد المعز أن ينشىء خلافة زيرية ولكن تعارض له الشيوخ السنيون منهم أبو عمران الفاسي الذي قال له : « لا تستطيع آن تكون خليفة لأنك لست من قريش » • أمام هذا الموقف الصارم اضطر الامــير

---

(1) ابن ميسر ، أخبار مصر ، ج2 ، ص 6 •

(2) ابن آلاثير ، كامل ، ج8 ، ص 35 •

(3) ابن الصيرفي ، الاشارة الى من نال الوزارة ، Bulletin de l'Institut français d'Archéologie Orientale, XXV, 1924, pp. 40 - 41.

(4) انظر ادريس ، نفس المرجع ، ج1 ، ص 190 •

الزيري الى اختيار خليفة يخضع لـه • فاختار الخليفة العباسي لأنه كان على المذهب السني وعدو الفاطميين • وهكذا خضع المعز للخليفة العباسي القائم بأمر الله • فبعث له هذا الاخير التقليد والخلع • فقرىء التقليد في جامع القيروان وحينا حرقت البنود الفاطمية وعوضتها البنود العباسية ولعن الفاطميون لاول مرة في خطبة عيد الفطر لسنة 440/9 مارس 1049 حسب ابن ناجي[1] أو في خطبة عيد الاضحى على قول ابن عذاري[2] • فقال صاحب « البيان » في هـذا الشـأن : « ولما كان عيد الاضحى أمر الخطيب أن يسب بني عبيد فقال : اللهم والعن الفسقة الكبار المارقين الفجار ، أعداء الدين ، وأنصار الشيطان ، المخالفين لأمرك والناقضين لعهدك ، المتبعين غير سبيلك والمبدلين لكتابك • اللهم والعنهم لعنا وبيلا ، واخزهم خزيا عريضا طويلا • اللهم وان سيدنا أبا تميم المعز ابن باديس بن المنصور القائم لدينك ، والناصر لسنة نبيك ، والرافع للواء أوليائك ، يقول مصدقا لكتابك وتابعا لأمرك ، مدافعا لمن غير الدين وسلك غير سبيل الراشدين المؤمنين : يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون • وهكذا ذكر باسقاط قل وآخرها • قال : وأمر الأمير أبو تميم المعز بن باديس للخطيب أن يسبهم على منبر القيروان بأشنع من هذا السب • فلما كان لجمعة أخرى أبلغ في ذلك بما فيه شفاء لنفوس المؤمنين » •

وعلى قول ابن خلدون[3] ، أمر المعز باحراق بنود الفاطميين ومحو أسمائهم من الطرز والسكة •

وذكر ابن عذاري[4] ان تبديل السكة وقع سنة 441/ 1146—1147

(1) ابن ناجي ، معالم الايمان في معرفة اهـل القيروان ، ج3 ، ص 243—245 •

(2) ابن عذاري ، بيان ، ج1 ، ص 401 .

(3) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 325 .

(4) ابن عذاري ، بيان ، ج1 ، ص 402—405 .

والدعاء للعباسيين وصبغ الثياب سنة 443/1149—1150 • فقال :
« وفي جمادى الثانية أمر المعز بن باديس باحضار جماعة من الصباغين ، وأخرج لهم ثيابا بيضا من فندق الكتان ، وأمرهم أن يصبغوها سودا ، فصبغوها بأحلك السواد ، ثم جمع الفقهاء والقضاة الى قصره ، وخطيبي القيروان وجميع المؤذنين ، وكساهم ذلك السواد » •

4) **عاقبتـــه :**

في أول الأمر ، بعـــث الخليفة الفاطمي المستنصر رســـالة للمعز يعاتبه فيها قائلا : « هل اقتفيت آثار آبائك في الطاعة والولاة » • فأجابه المعز : « ان آبائي وأجدادي كانوا ملوك المغرب قبل أن تملكه أسلافك ولهم عليهم من الخدم أعظم من التقديم ولو أخروهم لتقدموا بأسيافهم »[1] • فعند ذلك ، بعث المستنصر بني هلال وبني سليم الى افريقية •

من هم بنو هلال وبنو سليم ؟ كيف تنظم غزو افريقية ؟ وكيف كانت مراحله الرئيسية ؟ تلك هي الاسئلة التي نحاول أن نجيب عنها فيما يلي :

ـــ من هم بنو هلال وبنو سليم ؟

على قول ابن خلدون[2] كان بنو هلال وبنو سليم قبيلتين بدويتين تجولان في صحراء الحجاز : بنو سليم بنواحي المدينة وبنو هلال قرب الطائف « وربما كانوا يطوفون رحلة الصيف والشتاء أطراف العراق والشام ، يغيرون على الضواحي ويفسدون السابلة ويقطعون عـــلى الرفاق وربما أغار بنو سليم عـــلى الحاج أيام الموسم بمكة وأيام الزيارة بالمدينة » •

---

(1) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج4 ، ص 321 •
(2) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 27 •

ثم اتصل بنو هلال وبنو سليم بالقرامطة « وصاروا جنـدا لهم بالبحرين وعمان » • ولما تغلب الفاطميون على مصر وقعت حرب بينهم وبين القرامطة • فانتصر الفاطميون واضطر القرامطة الى الرجوع الى البحرين • أما أحلافهم من بني هلال وبني سليم فانقلهم الفاطميون الى ناحية الصعيد « وفي العدوة الشرقية من بحر النيل • فأقاموا هناك وكان لهم اضرار بالبلاد »[1] •

ـــ تنظيم الغـزو :

قد رأينا أن الوزير الفاطمي اليازوري كان يكره المعز • فاقترح على الخليفة المستنصر بعث بني هلال وبني سليم الى افريقية ليتخلص منهم ويعاقب المعز عقابا شديدا • فوافقه الخليفة • فاتصل اليازوري بأمراء بني هلال وبني سليم • فأهدى لهم هدايا فاخرة وأعطى كل عسكري بعيرا ودينارا وقيل فرواً وديناراً وقال لهم : « قد اعطيتكم المغرب وملك المعز بن بلقين الصنهاجي العبد الابق فلا تفتقرون » • وفي نفس الوقت كتب الى المعز قائلا : « أما بعد فقد أنفذنا اليكم خيولا فحولا ، وأرسلنا عليها رجالا كهولا ليقضي الله أمـرا كان مفعولا »[2] •

فاجاز بنو هلال وبنو سليم النيل وتوجهوا نحو برقة و « نزلوا بها وافتتحوا أمصارها واستباحوها وكتبوا لاخوانهم بشرقي النيل يرغبونهم في البـلاد ، فاجازوا اليهم بعـد أن أعطـوا لكل راس دينارين »[3] • ثم تقارع بنو هلال وبنو سليم على البلاد • فحصل لسليم الشرق ولهلال الغرب •

---

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 28 .
(2) نفس المرجـع ، ص 31 .
(3) نفس المرجـع .

ومن بطون بني هلال الذين توجهوا نحو افريقية نذكر الاثبج ورياح وزغبة وجشم وعدي وربيعة .

ووجد الاستاذ عبد المنعم ماجد في مخطوط اسماعيلي اكتشف في الهند[1] أن الخليفه الفاطمي عين الأمير أمين الدولة ومكينها حسن ابن علي بن ملهم على راس قبيلتين هلاليتين ألا وهما : قبيلة رياح وقبيلة زغبة .

ــ مراحــل الغــزو :

توجه بنو هلال نحو افريقية ودخلوها ، على قول ابن خلدون [2]، « كالجراد المنتشر » . فلما ورد هذا الخبر على المعز استدعى أمير بني رياح مونس بن يحيى المردسي وزوجه ببنته واقترح عليه تجنيد بني رياح في صفوف الجيش الزيري . فتردد مونس . فالح عليه المعز . فقبل واستدعى بني رياح . فساروا اليــه ولكنهم « أظهروا الفساد ونادوا بشعار الخليفة المستنصر »[3]. فغضب المعز على مونس وألقى القبض على أخيه وقيل على أزواجه وأولاده . فعندما سمع مونس بذلك أخذ يفسد وينهب أكثر من جنوده .

فأراد بنو هلال أن يفتحوا القيروان في الحين . فبين لهم مونس أن الامر مستحيل ، وعلى قول ابن الاثير[4]، أخذ مونس « بساطا فبسطه ثم قال لهم من يدخل الى وسط البساط من غــير أن يمشي عليه . قالوا لا نقدر علــى ذلك . قال هكذا القيروان خذوا شيئا فشيئا حتى لا يبقى الا القيروان فخذوها حينئذ . فقالوا أنت شيخ العرب وأميرهم وأنت المقدم علينا ولسنا نقطع أمرا دونك »[5] .

---

(1) عبد المنعم ماجد، سجلات مستنصرية، عدد5 ص 42—45 .
(2) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 31 .
(3) نفس المرجع ، ص 32 .
(4) ابن الاثير ، كامل ، ج8 ، ص 55 .
(5) نفس المرجــع .

ومن جهته جمع المعز جيشا عظيما وسار الى قتال بني هلال • وأول معركة وقعت بينه وبينهم هي معركة حيدران •

فاختلف المؤرخون في موقع حيدران • ان ابن خلدون[1] ذكر ان هذا المكان يقع بنواحي قابس وقال ابن الاثير[2] انه على ثلاث مراحل من القيروان وذكر حسن حسني عبد الوهاب انه قرية ودران الحالية[3] •

ويوم حيدران كان الزيريون ، على قول ابن الاثير ،[4] « ثلاثين ألف فارس ومثلها رجالة ••• وكانت عدة العرب ثلاثة آلاف فارس » • فهجم الزيريون على أعدائهم يوم عيد الاضحى 13/443 افريل 1052 ، وقت الصلاة ولكن بني هلال ركبوا حصنهم فورا وهزموهم • وفي الغد ، فاجأ بنو هلال الزيريين في معسكرهم • فلما رأوا « عساكر صنهاجة والعبيد مع المعز هالهم ذلك وعظم عليهم • فقال لهم مونس بن يحيى ما هذا يوم فرار ، فقالوا أين نطعن هؤلاء وقد لبسوا الكذاغندات والمغافر ؟ قال في أعينهم • فسمي ذلك اليوم يوم العين »[5] •

فشجع خطاب مونس بني هلال • فهجموا على أعدائهم • وكان الجيش الزيري يشتمل على صنهاجة وعبيد وزناتة وبقايا عرب الفتح ومن حيث أن صنهاجة كانوا يكرهون العبيد فاتفقوا « على الهزيمة وترك المعز مع العبيد حتى يرى فعلهم ويقتل أكثرهم ، فعند ذلك يرجعون على العرب »[6] • هذا ما ذكره ابن الاثير • أما ابن

---

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 32 •
(2) ابن الاثير ، كامل ، ج8 ، ص 55 •
(3) حسن حسني عبد الوهاب ، خلاصة ، ص112 ، تعليق2 •
(4) ابن الاثير ، كامل ، ج8 ، ص 55 •
(5) نفس المرجع •
(6) نفس المرجع •

خلدون[1] فقال : « لما تزاحف الفريقان انخذل بقية عرب الفتح وتحيزو الى الهلاليين للعصبية القديمة » وخانت زناتة وصنهاجة المعز ؟ وهكذا عندما هجم بنو هلال على الزيريين ما وجدوا أمامهم الا المعز وعبيده ، فوقعت معركة شديدة ، فقاتل عبيد المعز بشجاعة عظيمة ولكنهم مع ذلك انهزموا وقتل منهم خلق كثير ، وأرادت صنهاجة الرجوع على العرب ولكنها لم تتمكن من ذلك وانهزمت هي الاخرى ، فأخذت بنو هلال الخيل والخيام وما فيها من مال وغيره ، وبمناسبة انتصار بني هلال على الزيريين نظمت قصيدة جاء فيها[2] :

لقد زار وهنا من أميم خيال	وايدي المطايا بالزميل عجال
وان ابن باديس لافضل مالك	لعمري ولكن ما لديه رجال
ثلاثون الفا منهم قد هزمتهم	ثلاثة آلاف وذاك ضلال

تلك هي نتائج المعركة التي وقعت بين الزيريين وبني هلال في عهد القائد بن حماد ، فلنرى الآن كيف كان موقف الامير الحمادي الثاني أمام انقطاع العلاقات الزيرية — الفاطمية ،

ج) القائد بن حماد وانقطاع العلاقات الزيرية ـــ الحمادية :

لم يقدم لنا المؤرخون الا أخبار قليلة عن الحوادث التي وقعت في المغرب الاوسط عند هجوم بني هلال على افريقية ،

ذكر ابن خلدون في تاريخ القبائل العربية[3] ان المعز « بعث بالصريخ الى ابن عمه صاحب القلعة القائد بن حماد ، فكتّبه كتيبة من ألف فارس سرحهم اليه » ، وأما في تاريخ الدولة الحمادية[4] فقال :

---

(1) ابن خلدون ، عبر ، ص 32 ،
(2) نفس المرجع ، ص 33 ،
(3) نفس المرجع ، ص 32 ،
(4) نفس المرجع ، ص 252 ،

« وراجع القائد طاعة العبيديين لما نقم عليه المعز ولقبوه شرف الدولة » •

ان صحت الروايتان نرى أن القائد أعان المعز في أول الأمر ثم بعد معركة حيدران خضع للسلطة الفاطمية • ولكن رواية ابن خلدون الثانية تخالف رواية ابن الخطيب الاندلسي الذي قال في كتاب أعمال الاعلام[1] ان القائد بن حماد خلع السلطة الفاطمية وخضع للعباسيين وذلك الى أن توفي •

ومن جهة أخرى نرى أن في سنة 446/1054—1055 عندما خضع المعز من جديد للفاطميين ، لجأ ممثل الخليفة العباسي الى قلعة بني حماد • وذلك يدل على أن الأمير الحمادي كان آنذاك يخضع للعباسيين •

نحن اذاً أمام روايتان متناقضتان لا تسمح لنا أن نعرف بالضبط كيف كان موقف الحماديين عند انقطاع العلاقات الزيرية — الفاطمية •

د) وفاة القائد بن حماد :

مات القائد بن حماد بعد ثلاثة سنين من معركة حيدران في شهر رجب 446/أكتوبر 1054 • حسب ابن الاثير[2] • أما ابن عذارى[3] فذكر ان القائد توفى سنة 441/1049 • فقال : « في هذه السنة 441 وردت الاخبار بالقيروان بموت القائد بن حماد بقلعته •

---

(1) ابن الخطيب ، كتاب أعمال الاعلام ، الاصالة ، عدد خاص ببجاية عبر العصور ، ص 90 .
(2) حسب ابن الاثير ، كامل ، ج8 ، ص 68 .
(3) ابن عذارى ، بيان ، ج1 ، ص 403 .

قال ابن شرف في قصيدته :

لا جنود الا جنود السعود   مغنيات عن عدة وعديد

2 ـ عهد محسن بن القائد :

قبل مماته كان القائد عين ابنه محسنا ليخلفه على رأس الدولة الحمادية ، على قول ابن الاثير[1] أوصاه « بالاحسان الى عمومته » فكان عهد محسن الذي لم يدم الا تسعة أشهر كثير الاضطراب وذلك لان الامير الحمادي الثالث خالف ما كان أمره به أبوه وعزل جميع أعمامه ، فثار عليه عمه يوسف عامل المغرب في عهد القائد الذي كان قد أسس قلعة اسمها الطيارة في جبل منيع وجمع جمعا عظيما وهجم على أشير وعلى قول البكري[2] « استباح أموالها وفضح حرمها » . فسار محسن اليه وفي طريقه وجد أعمامه مديني ووقلان عامل حمزة ومناد وتميما . فقتلهم ثم كتب الى يوسف واستدعاه . فلم يلب يوسف دعوته ، حينئذ استدعى محسن ابن عمه بلقين بن محمد الذي كان عاملا على افريون حسب ابن الاثير[3] أو اكربون حسب ابن الخطيب[4] . فذكر ابن خلدون[5] في هذا الصدد : أن محسنا بعث بلقين بن محمد في طلب يوسف « وأصحبه من العرب خليفة بن مقن وعطية الشريف وأمرهما بقتل بلقين في طريقهما فأخبرا بلقين بذلك وتعاهدوا جميعا على قتل محسن وأنذر بهم ففر الى القلعة وأدركوه . فقتله بلقين » .

---

(1) ابن الاثير ، كامل ، ج8 ، ص 68 .
(2) البكري ، كتاب المغرب ، ص 60 .
(3) ابن الاثير ، كامل ، ج8 ، ص 68 .
(4) ابن الخطيب ، كتاب أعمال الاعلام ، الاصالة ، عدد خاص ببجاية عبر العصور ، ص 90 .
(5) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 352—353 .

أما ابن الاثير[1] فذكر ان محسنا كتب الى بلقين « يستدعيه فسار اليه فلما قرب منه أمر محسنا رجالا من العرب أن يقتلوه فلما خرجوا قال لهم أميرهم خليفة بن مقن أن بلقين لم يزل محسنا الينا فكيف نقتله فأعلموه ما أمرهم به محسن فخاف فقال له خليفة لا تخف وان كنت تريد قتل محسن فأنا أقتله لك • فاستعد بلقين لقتاله وسار اليه فلما علم محسن بذلك وكان قد فرق القلعة عاد هاربا اليها فأدركه بلقين فقتله » •

3 ـــ عهد بلقين بن محمد :

ولي بلقين الأمر في رجب 447/يونيو 1055 • فكان على قول ابن خلدون[2]« قرما حازما سافكا للدماء وقتل وزير محسن » • فكان قبل كل شيء جنديا قضى حياته كلها في الحروب كما نلاحظه عبر حكاية رواها ابن بسام[3]• فقال صاحب « الذخيرة » أن بلقين ، بعد رجوعه من غزو شاق ، أمر قيمة جواريه باستدعاء الجواري ومن بينهن بنت عمه التي كانت رائعة الجمال • ولكن خطر بباله مشروع • فأخذ يمشي فيالقاعة طولا وعرضا ولا يهتم بما كان يجري حوله• فقالت القيمة ما زلت أراه ، في يده كوب وبجانبه بنت عمه • فاعتذر وقربها اليه وبعدما لاطفها نهض فورا • فوضع الكوب في طاق وأغلقه ثم أمر بالركوب • فغزا المغرب الاقصى وبعد رجوعه جلس في نفس القاعة وأمر باحضار الكوب وبنت عمه •

هذا في ما يخص طبيعة بلقين بن محمد • أما في ما يتعلق بتاريخ الدولة الحمادية في عهده فنذكر أن المغرب الاوسط شاهد الاحداث

---

(1) ابن الاثير ، كامل ، ج8 ، ص 68 •
(2) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 353 •
(3) ابن بسام ، الذخيرة ، في كتاب اعمال الاعلام ، الاصالة ، عدد خاص ببجاية عبور العصور ، ص 91 •

التالية : دخول بني هلال في المغرب الاوسط ، وصول ممثل الخليفة العباسي الى القلعة ، محاربة زناتة ، ثورة أهل بسكرة ، غزو المغرب الاقصى وقتل بلقين ٠

آ) دخول بني هلال في المغرب الاوسط :

قد رأينا أن بني هلال كانوا تغلبوا على الجيش الزيري في معركة حيدران ٠ فحاول المعز بعد ذلك أن يصطلح معهم ٠ فزوج ثلاثا من بناته بأمرائهم وخضع من جديد للخليفة الفاطمي ولكن مع ذلك تغيرت حالة المملكة الزيرية يوما بعد يوم وبعد ثلاث سنين من حروب مستمرة اضطر المعز الى مغادرة القيروان والسير الى المهدية ٠ ففتح بنو هلال القيروان في أول رمضان 449/أول نوفمبر 1057 وغنموا غنائم كثيرة ٠ فلجأ عدد كبير من القرويين الى قلعة بني حماد ٠ أما بنو هلال فواصلوا سيرهم نحو المغرب الاوسط ٠ فذكر ابن خلدون في هذا الصدد[1] ان بني حماد ، عندما زحف بنو هلال الى المغرب الاوسط ، دافعوا « عن حوزته وأوعزوا الى زناتة بمدافعتهم أيضا » ولكن لا يعطينا صاحب « كتاب العبر » أي تفصيل عن الحرب التي شبت بين بني حماد والهلاليين بينما يفيدنا بمعلومات عديدة عن الحرب التي وقعت بين بني هلال وزناتة ٠ فكانت هذه الحروب شديدة لأن زناتة المغرب الاوسط خافوا أن يقع لهم مثلما وقع لاخوانهم بافريقية الذين كانوا طردوا من أراضيهم بعد الزحف الهلالي ٠ فنظموا صفوفهم لمحاربة بني هلال ٠ فقال ابن خلدون في هذا الشأن : « فاجتمع لذلك بنو يعلى ملوك تلمسان من مغراوة وجمعوا من كان اليهم من بني واسين هؤلاء من بني مرين وعبد الواد وتوجين وبني راشد ٠ وعقدوا على حرب الهلاليين لوزيرهم ابي سعدى خليفة اليفرني ، وكان له

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج7 ، ص 128 ٠

مقامات في حروبهم ودفاعهم عن ضواحي الزاب والمغرب الاوسط ، الى أن هلك في بعض أيامهم »[1]. حينئذ انتصر بنو هلال على زناتة انتصارا تاما وأزاحوهم عن « الزاب وما يليه من بلاد افريقية»[2] . فسارت زناتة الى الصحراء من ناحية « مصاب وبني راشد الى ملوية وفيكيك ثم الى سجلماسة »[3]. فاستقر بنو هلال في الزاب حيث وقع اتفاق بينهم وبين بني حماد . فحافظ الحماديون على المدن وتركوا الارياف لبني هلال .

ب) وصول ممثل العباسيين الى قلعة بني حماد :

كما أشرنا اليه فيما سبق عندما خضع المعز بن باديس من جديد للفاطميين اضطر ممثل الخليفة العباسي أبو الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي الدريمي الى مغادرة القيروان وعلى قول ابن بسام[4] لجأ الى سوسة . فلم يحسن اليه أهلها . فسار الى قلعة بني حماد وشارك في عدة غزوات بجانب بلقين بن محمد الامير الحمادي .

ج) محاربة زناتة :

في سنة 450/1058 – 1059 ، حارب بلقين زناتة بمساعدة قبيلتين هلاليتين الا وهما : قبيلة الاثبج وقبيلة عَدي . فانتصر بلقين على اعدائه بدون أن نعرف بالضبط أين وقعت المعركة .

ان هذا الغزو يبين لنا ذكاء بلقين بن محمد الذي استعمل البدويين الهلاليين في محاربته لزناتة الذين كانوا هم الآخرون من القبائل البدوية . وهكذا عوضا عن أنه يحارب بني هلال كما كان فعل الامير الزيري المعز اتفق معهم الى أنهم أصبحوا حلفاءه .

---

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج7 ، ص 128 .
(2) نفس المرجع .
(3) نفس المرجع .
(4) ابن بسام نفس المرجع .

د) ثورة أهـل بسـكرة :

في عهد بلقين بن محمد كانت بسكرة بين يدي عائلة بني رمان الذين كانوا يملكون ، على قول ابن خلدون[1]« عامة ضياعهم » • وكان لمقدمهم جعفر بن ابي رمان صيت وشهرة • فثار جعفر هـذا على بلقين بن محمد في سنة 450/1058–1059• فسير الامير الحمادي اليه جيشا تحت قيادة الوزير خلف بن أبي حيدرة • ففتح الجيش الحمادي بسكرة عنوة وألقى القبض على شيوخ بني رمان « واحتملهم الى قلعة بني حماد • فقتلهم بلقين جميعا[2] » • ثم تولت عائلة بني سندي الامر على بسكرة •

هـ) غزو المغرب الاقصى :

قال ابن خلدون ان بلقـين كان « كثيرا ما يردد الغـزو الى المغرب »[3]• ومن هذه الغزوات ذكر الغزو الذي قام به الامـير الحمادي بالمغرب الاقصى في صفر 454/فبراير 1062 وذلك لانه كان بلغه « استيلاء يوسف بنْ تاشفين والمرابطين على المصامدة » • فاضطر المرابطون الى الفرار الى الصحراء • وفي نفس الغزو فتح بلقين مدينة فاس ورجع الى المغرب الاوسط • في رجب 454/يوليو 1062 •

و) قتـل بلقـين :

كان لبلقين أخ اسمه مقاتل • فمات مقاتل • فاتهم بلقين ناميرت ، زوجة مقاتل بقتله • فقتلها • فأخذ الناصر بن علناس ، أخو ناميرت بثأرها وقتل بلقين عند رجوعه من المغرب الاقصى في أول رجب 454/ 11 يوليو 1062 • فقال ابن بسام[4] في هذا الصدد أن بلقين كان يسير

---

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 913 •
(2) نفس المرجـع •
(3) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 353 •
(4) ابن بسام ، نفس المرجع .

ليلا وحده حسب عادته وكان يرجو أن يلتقي بالناصر في الغد ولحظة قبل الفجر رأى بلقين فارساً قرب منه كأنه يريد أن يسلم عليه. وكان هذا الفارس الناصر نفسه . فقتل بلقين بسيفه وأخذ مكانه ثم أمر بأن يسيروا برأس بلقين منشب في عصا . فظن الناس أن بلقين قتل رجلا من أتباعه وأخذوا يتساءلون من يكون هذا . ولما طلعت الشمس أمر الناصر بنصب الخيم وجمع أقاربه ووجوه صنهاجة وقال لهم : اني قتلت بلقين لانه قتل أختي ولم يخطر ببالي أن أتولى الامر . فظن الحاضرون أن الناصر كان له عدد كبير من المناصرين فأحسنوا الجواب الى كلامه وكل واحد منهم أخذ يتحذر من الآخرين وأما الناصر فوزع مال بلقين على بني هلال وزناتة ليميلهم اليه وأخيرا بايع صنهاجة للناصر لانهم كانوا تعبوا كثيرا من حروب بلقين . إذ ذاك توجه الناصر بن علناس نحو القلعة ودخلها يوم 15/14 شعبان 454/23 أو 24اغسطس 1062 . وأما ابن خلدون[1] فقال وهو يحدثنا عن الناصر بن علناس : « مالاه قومه من صنهاجة لما لحقهم من تكلف المشقة بابعاد الغزو والتوغل في أرض العدو . فقتله بتسالة[2] » .

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 353 .
(2) تسالة : قرية تقع جنوبي وهران .

الفصل الثالث

الدولة الحمادية في عهد الناصر والمنصور

1 ــ عهد الناصر :

قد رأينا أن الناصر بن علناس قتل بلقين بن محمد وخلفه على رأس الدولة الحمادية وذلك في سنة 454/1062 •

كان الناصر ، على قول ابن الخطيب[1] غيورا وسافكا للدماء • وفي عهده الذي امتد سبع وعشرين سنة شاهد المغرب الاوسط أحداث كثيرة أهمها تأسيس مدينة بجاية هذا ما دفعنا الى تقسيم دراستنا لهذه الفترة من التاريخ الحمادي الى ثلاثة أجزاء وهي : عهد الناصر قبل تأسيس مدينة بجاية ثم تأسيس مدينة بجاية وأخيرا عهد الناصر بعد تأسيس مدينة بجاية •

آ) عهد الناصر قبل تاسيس مدينة بجاية :

ان الاحداث الرئيسية لهذه الفترة من عهد الناصر هي : تنظيم

---

(1) ابن الخطيب ، أعمال ، الاصالة ، عدد خاص ببجاية عبر العصور ، ص 94 •

الدولة وثورة أهل بسكرة وقتل الوزير خلف بن أبي حيدرة وتولية أبي بكر بن أبي الفتوح مكانه وهجوم علي بن رقان على قلعة بني حماد وخضوع ثلاث مناطق من افريقية للناصر وهجوم الحماديين على افريقية •

1) تنظيم الدولة الحمادية :

ان أول أمر قام به الناصر بن علناس كان تنظيم الدولة الحمادية • فذكر ابن خلدون في هذا الشأن ان الناصر « عقد على المغرب لاخيه كباب وانزله مليانة وعلى حمزة لاخيه رومان وعلى نقاوس لاخيه خزر • وكان المعز قد هدم سورها فاصطلحه الناصر ، وعقد على قسنطينة لاخيه بلبار ، وعلى الجزائر ومرسى الدجاج لابنه عبد الله ، وعلى أشير لابنه يوسف »[1] •

2) ثورة أهل بسكرة :

قد رأينا فيما سبق أن أهل بسكرة كانوا قد ثاروا على الامير الحمادي بلقين وأن هذا الاخير قتل شيوخ بني رمان وعين مكانهم شيوخ بني سندي • فاتفق انه بعد قتل بلقين تولى بنو رومان الامر من جديد ببسكرة وخلعوا طاعة الحماديين • فكلف الناصر وزيره خلف بن ابي حيدرة بقمع هذه الثورة • فنازل بسكرة وعلى قول ابن خلدون[2] « افتتحها عنوة واحتمل بني جعفر في جماعة من رؤسائهم الى القلعة فقتلهم الناصر وصلبهم » •

3) قتل الوزير خلف بن ابي حيدرة وتولية ابي بكر بن ابي الفتوح مكانه :

ذكر ابن خلدون[3] ان شيوخ صنهاجة أخبروا الناصر بأن خلف بن

---

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص353—354 .
(2) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 354 •
(3) نفس المرجع .

أبي حيدرة ، بعد قتل بلقين ، كان « أراد تولية معمر أخي بلقين ، وشاورهم في ذلك » • فقتل الناصر وزيره وولى مكانه أحمد بن جعفر ابن افلح المعروف بابي بكر بن أبي الفتوح •

4) هجوم علي بن رقان على قلعة بني حماد :

انه بعد قتل خلف بن ابي حيدرة وتولية ابي بكر بن ابي الفتوح ، قام الناصر برحلة تفقدية في غربي مملكته • فهجم علي بن رقان على تاقربوست وهو جبل قلعة بني حماد • ولما وردت هذه الاخبار على الناصر ، رجع من المسيلة وحسب ابن خلدون[1] فتح قلعة بني حماد عنوة وذبح علي بن رقان نفسه بيده •

5) خضوع ثلاث مناطق من افريقية للناصر :

قد رأينا فيما سبق أن المعز بن باديس كان قد اضطر الى الفرار الى المهدية • فعند ذلك خلعت عدة مناطق من افريقية سلطته منها صفاقس وقسطيلية وتونس التي خضعت للامير الحمادي الناصر بن علناس •

ـ خضوع صفاقس :

قال ابن خلدون[2] ان حمو بن مليل البرغواطي ، آمير صفاقس ، كتب الى الناصر « بالطاعة وبعث اليه بالهدية » •

ـ خضوع قسطيلية :

ذكر ابن خلدون[3] من جهة أخرى أن أهل قسطيلية بعثوا الى الناصر وفدا على رأسه مقدمهم يحيى بن واطاس « فأعلنوا بطاعته ،

---

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 354—355 •
(2) نفس المرجع ، ص 354 •
(3) نفس المرجع •

واجزل بصلتهم وردهم الى أماكنهم » وعقد على قسطيلية ليوسف ابن خلف وهو من صنهاجة .

ـــ خضوع تونس :

حول خضوع تونس للناصر لنا روايتان : رواية ابن خلدون ورواية ابن عذارى .

فقال ابن خلدون[1] ان تونس انقطعت عن ملك المعز بعدما فتح بنو هلال القيروان « ووفد مشيختها على الناصر فولى عليهم عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان » . وأما ابن عذارى[2] فذكر ان ملك الزيريين انقطع « عن تونس وغيرها وضعفت دولتهم بالمهدية عن حمايتها ، فمشى أشياخ من أهلها الى الناصر بن علناس[3] ، وهو اذ ذاك في القلعة دار ملكهم وناظمة سلكهم ، فاستدعوا منه النظر الى مدينتهم وتقديم وال من قبله اليهم ، فأمرهم أن يختاروا شيخا منهم ، يقوم بأمرهم خلال ما ينظر اليهم . فيقال أنهم راموا تقديم كبير منهم ، فاستعفى وتوقف . فوليها من قبل الناصر عبد الحق بن عبد العزيز ابن خراسان » .

اذن حسب ابن خلدون الناصر هو الذي ولى ابن خراسان أثناء الزيارة التي قام بها مشيخة تونس الى قلعة بني حماد . أما في رأي ابن عذارى ، ما ولى الناصر ابن خراسان الا بعد فشل أهل تونس في محاولتهم لاختيار وال لمدينتهم .

6) هجوم الحماديين على افريقية :

ذكر ابن خلدون[4] ان سبب هجوم الناصر على افريقية هو أن

---

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 334 .
(2) ابن عذارى ، بيان ، ج1 ، ص 454 .
(3) واضح القول : الناصر بن علناس .
(4) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص355 .

قبيلة الاثبج التي كانت تحارب قبيلة رياح طلبت منـــه المساعدة • فأجابها ونهض الى مظاهرتها •

اما ابن الاثير[1] فقال ان تميم ، الامـــير الزيري ، ســـمع بأن « الناصر يقع فيه في مجلسه ويذمه وانه عزم على المسير اليه ليحاصره بالمهدية وانه قد حالف بعض صنهاجة وزناتة وبني هلال ليعينوه على حصار المهدية » •

انه في رأينا رواية ابن الاثير أقرب من الحقيقة من رواية ابن خلدون لان الامير الزيري تميم بن المعز الذي كان خلف أباه في سنة 454/1062 ، ما كان يملك الا المهدية وان ، كما رأيناه سابقا ، ثلاث مناطق من افريقية : صفاقس وقسطيلية وتونس كانت خضعت للناصر • أذن ليس عجيبا اذا رأينا الامير الحمّادي الخامس يريد أن يفتح المهدية وهي من أعظم مدن افريقية وأحصنها •

مهما كان الحال ، في سنة 457/1065 ، خرج الناصر « في عدد كثير من صنهاجة وزناتة وعدي والاثبج » كما ذكره ابن عذاري[2] • وعلى قول ابن الاثير[3] كان الامير الزيري تميم أرسل من جهته « الى أمراء بني رياح فأحضرهم اليـــه وقال لهم أنتم تعلمون أن المهدية حصن منيع أكثره في البحر ولا يقاتل منه في البر غـــير أربعة أبراج يحميها أربعون رجلا وانما جمع الناصر العساكر اليكم • فقالوا له الذي تقوله حق ونحب منك المعونة » • فأعطاهم المال والسلاح • فجمع أمراء بني رياح جموعهم وتحالفوا مع زغبة وسليم واتفقوا جميعا على محاربة الناصر •

---

(1) ابن الاثير ، كامل ، ج8 ، ص 101 •

(2) ابن عذاري ، بيان ، ج1 ، ص 429 •

(3) ابن الاثير ، كامل ، ج8 ، ص 101 •

فالتقى الجمعان بسبيبة كما ذكره ابن خلدون[1] لا بسبتة كما جاء في « الكامل في التاريخ »[2] . فانهزم الناصر وحسب ابن عذاري[3] « قتل من أصحابه خلق كثير ونهبت أمواله ومضاربه ، وقتل أخوه القاسم بن علناس » . فقال صاحب « كتاب الاستبصار » في هذا الصدد أن القاسم ضحى بنفسه في سبيل أخيه . فطلب منه أن يسلم له تاجه ورايته وقال له : « أقيم على الجيش وانجو بنفسك . فان كانت السلامة فمن الله والا بقيت أنت للناس فليس منك الف »[4] . وذكر ابن الاثير[5] والنويري[6] ان عدد القتلى بلغ أربعة وعشرين ألفا . وأما ابن خلدون[7] فأخبرنا بأن الناصر بعد خروجه من القلعة « نزل الاربس » وانه بعد معركة سبيبة لجأ الى قسنطينة « في اتباعه ثم لحق بالقلعة في فل من عسكره لم يبلغوا مائتين » .

ان هزيمة الناصر الثاقلة تتركنا نتساءل عن أسبابها .

حسب ابن عذاري[8] « كان من أعظم الاسباب في ذلك ما أبرمه تميم في أمره » . وذكر ابن الاثير[9] ان بني هلال افريقية أرسلوا

---

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص355 .
(2) ابن الاثير ، كامل ، ج8 ، ص 101 .
(3) ابن عذاري ، بيان ، ج1 ، ص 354 .
(4) كتاب الاستبصار ، ص 19 ، فأخطأ صاحب هذا الكتاب في اسم الامير الحمادي الذي انهزم في معركة سبيبة . فذكر أنه المنصور بينما سائر المؤرخين يذكرون انه الناصر .
(5) ابن الاثير ، كامل ، ج8 ، ص 101 .
(6) النويري ، نهاية الارب ، ج2 ، ص148—150 .
(7) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص355 .
(8) ابن عذاري ، بيان ، ج1 ، ص 429 .
(9) ابن الاثير ، كامل ، ج8 ، ص 101 . فأخطأ صاحب الكامل في اسم الامير الزناتي فليس هو المعز بن زيري بن عطية الذي توفي سنة 416—1125/417—1127 ، وانما ابن المعز ابن زيري بن عطية كما جاء في « كتاب العبر » ج6 ، ص 355 .

الى أخوانهم في المغرب الاوسط « يقبحون عندهم مساعدتهم للناصر ويخوفونهم منه انه قوي وانه يهلكهم بمن معه من زناتة وصنهاجة » • فأجابهم بنو هلال المغرب الاوسط الى الموافقة وقالوا « اجعلوا أول حملة تحملونها علينا فنحن نهزم بالناس ونعود عليهم ويكون لنا ثلث الغنيمة • فأجابهم الى ذلك » • وأضاف صاحب « الكامل في التاريخ » أن المعز بن زيري بن عطية أرسل « الى من مع الناصر من زناتة بنحو ذلك فوعدوه أيضا أن ينهزموا » • وأما ابن خلدون [1] فيقول أن زناتة غدرت بالناصر « وجروا عليه وعلى قومه الهزيمة بدسيسة ابن المعز ابن زيري بن عطية واغراء تميم بن المعز » •

ان روايتي ابن خلدون وابن الاثير تختلفان فيما يخص مساهمة زناتة في المعركة • ان « صاحب الكامل في التاريخ » يذكر وجود زناتة في صفوف الجيش الحمادي والجيش الافريقي وان المعز بن زيري بن عطية كان على رأس زناتة افريقية • وأما ابن خلدون فلا يذكر وجود زناتة الا في الجيش الحمادي •

ان في ظننا الرواية الثانية أقرب من الحقيقة من الاولى لان ابن المعز بن زيري بن عطية كان أميرا على مدينة فاس وكان خضع للامير الحمادي بلقين بن محمد عندما فتح فاس • اذن ليس عجيبا ان وجدناه في صفوف الجيش الحمادي بجانب الناصر • ثم خان الامير الحمادي وانهزم مع عساكره حتى لا يستطيع الناصر مقاومة الهلاليين ويقتل عدد كبير من اتباعه ويصبح ضعيفا لا يمكن له أن يسيطر على المغرب الاقصى •

ومن الجدير بالذكر هو أن زناتة لم ينهزموا كلهم من حيث ان

---

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 355 .

ابن الاثير والنويري يذكران أن قتلى معركة سبيبة كانوا من صنهاجة وزناتـــة •

هذا فيما يخص أسباب الهجوم الحمادي على افريقيـــة • أما تنائجها فكانت خطيرة جدا على قول ابن خلدون وابن الاثير • فقال صاحب « كتاب العبر »[1] ان بني هلال لحقـوا بقلعة بني حمـــاد « فنازلوها وخربوا جنباتها وأحبطوا عروشها ، وأعزجوا على ما هنالك من الامصار مثل طبنة والمسيلة فخربوها وأزعجوا ساكنيها وعطفوا على المنازل والقرى والضياع والمدن فتركوها قاعا صفصفا أقفر من بلاد الجن وأوحش من جوف العير وغروا الميـــاه واحتطبوا الشـــجر وأظهروا في الارض الفساد وهجروا ملوك افريقية والمغرب من صنهاجة وولاة أعمالهم في الامصـــار ، وملكوا عليهم الضواحـــي يتحيفون جوانبهم ويقعدون لهم بالمراصد ، ويأخذون لهم الاتاوة على التصرف في أوطانهم » •

أما ابن الاثير[2] فقال ان بني هلال غنموا غنائم كثيرة من مال وسلاح ودواب وتم لهم « ملك البلاد » واضاف الى ذلك : « فانهم قدموها في ضيق وفقر وقلة دواب واستغنوا وكثرت دوابهم وسلاحهم وقل المحامي على البلاد » •

وكانت تنائج معركة سبيبة خطيرة أيضا بالنسبة الى الامـــير الزيري تميم لان بني هلال افريقية اصبحوا بعد المعركة أقوى مما كانوا من قبل وعلى قول ابن الاثير[3] أصاب تميم حزن شديد ولم يقبل « الالوية والطبول وخيم الناصر » التي كانت أهديت له من طرف بني هلال وقال : « يقبح بي ان آخذ سلب ابن عمي » •

فبلغ ذلك الناصر • فطلب هذا الاخير من وزيره ابي بكر بن ابي

---

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 43 •
(2) ابن الاثير ، كامل ، ج8 ، ص 102 •
(3) نفس المرجـــع •

الفتوح أن يصلح بينه وبين تميم • وهكذا بدأت المفاوضات الحمادية — الزيرية التي كانت سبب لتأسيس مدينة بجاية كما نراه فيما يلي :

ب — تأسيس مدينة بجاية :

ذكر ابن الاثير[1] ان وزير الناصر ، ابا بكر بن ابي الفتوح أرسل رسولا من عنده الى تميم يعتذر ويرغب في الاصلاح • فقبل تميم وارسل الى الناصر محمد بن البعبع ، رجلا غريبا كان أحسن اليه الامير الزيري • فسار محمد بن البعبع مع الرسول الحمادي ولما وصل الى قلعة بني حماد سلم كتاب تميم الى الناصر ثم قال له : « معي وصية اليك وأحب أن تخلي المجلس فقال الناصر أنا لا أخفي عن وزيري شيئا فقال بهذا أمرني الامير تميم • فقام الوزير أبو بكر وانصرف• فلما خرج قال الرسول يامولاي ان الوزير مخامر عليه هواه مع الامير تميم لا يخفي عنه من أمورك شيئا وتميم مشغول مع عبيده قد استبد بهم واطرح صنهاجة وغير هؤلاء ولو وصلت بعسكرك ما بت الا فيها لبغض الجند والرعية لتميم وأنا أشير عليك بما تملك به المهدية وغيرها وذكر له عمارة بجاية وأشار عليه أن يتخذها دار ملك ويقرب من بلاد افريقية وقال له أنا أنتقل اليك بأهلي وأدبر دولتك فأجابه الناصر الى ذلك وارتاب بوزيره وسار مع الرسول الى بجاية وترك الوزير بالقلعة • فلما وصل الناصر الى بجاية أراه موضع المينا والبلد والدار السلطانية وغير ذلك • فأمر الناصر من ساعته بالبناء والعمل وسر بذلك وشكره وعاهده على وزارته اذا عاد اليه ورجعا الى القلعة • فقال الناصر لوزيره ان هذا الرسول محب لنا وقد أشار ببناء بجاية ويريد الانتقال الينا فاكتب له جواب كتبه • ففعل وسار الرسول وقد ارتاب به تميم حيث تجدد بناء بجاية عقيب مسيره اليهم

(1) ابن الاثير ، كامل ، ج8 ، ص 102—103 .

وحضوره مع الناصر فيها وكان الرسول قد طلب من الناصر أن يرسل معه بعض ثقاته ليشاهد الاخبار ويعود بها • فأرسل معه رسولا يثق به فكتب معه انني لما اجتمعت بتميم لم يسألني عن شيء قبل سؤاله عن بناء بجاية وقد عظم أمرها عليه واتهمني فانظر الى من تثق به من العرب ترسلهم الى موضع كذا فاني سائر اليهم مسرعا وقد أخذت عهود زويلة وغيرها على طاعتك وسير الكتاب • فلما قرأه الناصر سلمه الى الوزير فاستحسن الوزير ذلك وشكره وأثنى عليه وقال لقد نصح وبالغ في الخدمة فلا تؤخر عنه انفاذ العرب ليحضر معهم ومضى الوزير الى داره وكتب نسخة الكتاب وأرسل الكتاب الذي بخط الرسول الى تميم وكتابا منه يذكر له الحال من أوله الى آخره • فلما وقف تميم على الكتاب عجب من ذلك وبقي يتوقع له سببا يأخذه به الا أنه جعل عليه من يحرسه في الليل والنهار من حيث لا يشعر • فأتى بعض أولئك الحرس الى تميم وأخبروه أن الرسول صنع طعاما وأحضر عنده الشريف الفهري وكان هذا الشريف من رجال تميم وخواصه فأحضره تميم فقال كنت واصلا اليك وحدثه ان ابن البعبع الرسول دعاني فلما حضرت عنده قال أنا في ذمامك أحب أن تعرفني مع من أخرج من المهدية • فمنعته من ذلك وهو خائف • فاوقفه تميم على الكتاب الذي بخطه وأمره باحضاره • فأحضره الشريف • فلما وصل الى باب السلطان لقيه رجل بكتاب العرب الذين سيرهم الناصر اليه يأمره بالحضور عنده • فأخذ الكتاب وخرج الامير تميم • فلما رآه ابن البعبع سقطت الكتب منه فاذا عنوان أحدها من الناصر بن علناس الى فلان • فقال له تميم من أين هذه الكتب • فسكت • فأخذها وقرأها • فقال الرسول ابن البعبع العفو يا مولانا فقال لا عفا الله عنك وأمر به فقتل وغرقت جثته » •

هذا ما جاء في « الكامل في التاريخ » عن تأسيس مدينة بجاية •

أما ابن خلدون[1] فذكر أن الناصر « هجر سكنى القلعة واختط بالساحل مدينة بجاية » لان بني هلال كانوا يحاصرون عاصمته •

ان المؤرخين المستشرقين اعتمدوا على رواية ابن خلدون وأهملوا رواية ابن الاثير وذكروا أن سبب تأسيس مدينة بجاية هو خوف الناصر من بني هلال •

فلا نسلك مسلكهم ونظن أن السبب الرئيسي لتشييد بجاية هو أن الناصر كان يريد فتح المهدية • فتبين له أنه لا يستطيع فتحها الا اذا هجم عليها من جهة البر ومن جهة البحر • لذلك اختار مرسى مأمونا أقرب من افريقية من المراسي الموجودة بمملكته وواقعا في ناحية غنية بالحديد والغابات تسمح له بانشاء الاسطول الذي يحتاج اليه لتحقيق مشروعه • والدليل على أن قلعة بني حماد كانت غير مهددة من طرف بني هلال في عهد الناصر وحتى في عهد ابنه المنصور هو أنها بقيت عاصمة ثانية للحماديين وأن الاميرين المذكورين شيدا فيها عدة مباني مشهورة • وما بدأ انحطاط القلعة الا في عهد العزيز بن المنصور كما نراه في الدراسة التي نخصصها لهذا الامير الحمادي •

اذن يوجد خلاف كبير بين موقف المؤرخين المستشرقين وموقفنا من حيث أنهم يعتبرون بجاية كملجأ للحماديين بينما نعتبرها كقاعدة لتوسع سلطتهم •

مهما كان الحال ، في سنة 460/1066 — 1067 ، فتح الناصر جبل بجاية وكان له ، على قول ابن خلدون[2] « قبيل من البربر يسمون بهذا الاسم الا أن الكاف فيهم بلغتهم ليست كافا بل هي بين الجيم والكاف ، وهذا القبيل من صنهاجة باقون لهذا العهد أوزاعا في

---

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 355 .
(2) نفس المرجع ، ص 357 .

البربر » • ثم ذكر صاحب « كتاب العبر » ان الناصر « افتتح هذا الجبل واختط به المدينة وسماها الناصرية •• ونقل اليها الناس واسقط الخراج عن سكانها وانتقل اليها سنة احدى وستين » •

ج ــ عهد الناصر بعد تأسيس مدينة بجاية :

بعد تأسيس بجاية قام الناصر بهجوم جديد على افريقية ثم اصطلح مع الامير الزيري تميم وحارب زناتة وعقد اتفاقا مع البابا غريغوار السابع •

١) هجوم حمادي جديد على افريقية :

قد رأينا أن مدينة تونس كانت قد خضعت للامير الحمادي الناصر الذي ولى عليها عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان • فاتفق أن بعد هزيمة الناصر في معركة سبيبة الامير الزيري تميم وحلفاءه فتحوا تونس بعد حصار دام اربعة عشر شهرا • خضع له ابن خراسان هذا ما دفع الناصر الى الهجوم على افريقية ، وعلى قول ابن عذاري[1] في سنة 460/1066 — 1067 ، حاصر الناصر مدينة الاربس « وكان معه الاثبج من العرب وبقي عليها حتى افتتحها وأمن أهلها وقتل عاملها ابن مكراز » • وفي نفس السنة ، دخل الناصر القيروان حيث خضع له والي المدينة القائد بن ميمون • وفي سنة 461/1067—1068 ، غادرها ورجع الى قلعة بني حماد • وبعد ذهابه بعث تميم جيشا الى القيروان • ففر القائد بن ميمون وسار الى المملكة الحمادية •

٢) الصلح الحمادي الزيري :

ان الامير الزيري تميم أراد الصلح مع الناصر من جهة لانه كان خائفا من بني رياح الذين كانوا تغلبوا على زغبة وطردوهم من افريقية

---

(1) ابن عذاري ، بيان ، ج1 ، ص 429 •

في سنة 466/1073 — 1074 ، وأصبحوا يشكلون خطرا كبيرا لمملكته ، ومن جهة أخرى كما ذكره ابن عذارى[1] لأن افريقية كانت أصابتها مجاعة عظيمة ووباء عظيم ، مات فيه من الناس خلق كثير .

اننا نجهل من فكر في الصلح الاول وما كان محتوى الاتفاق الذي وقع بين الاميرين الحمادي والزيري ولكننا نعرف ان تميم بعد الصلح زوج بنته بلارة بالناصر وعلى قول ابن عذاري[2] « جهزها اليه من المهدية في عساكر عظيمة ومال وأسباب وذخائر » .

وقال ابن الاثير في هذا الصدد ان الناصر حمل « ثلاثين ألف دينار . فأخذ منها تميم دينارا واحدا ورد الباقي »[3] . وحدثنا حسن حسني عبد الوهاب في نفس الموضوع ان الناصر لما أوى الى الاميرة بلارة « ورأى من عقلها وعلو همتها وكرم شمائلها ملكت شغاف قلبه وأحبها حبا شديدا ، وابتنى لها بقلعة بني حماد وبجاية قصورا شامخة وأحاط بها الحدائق الانيقة فيها الروح والريحان ، ومن كل فاكهة زوجان ، ومن تحتها الانهار الدافقة ، والازهار الشائقة ، وجلب اليها كل ما تشتهي الانفس ، وتلذ الاعين ، اكراما واحتفاء بزوجه الاميرة بلارة . واختصت الاميرة لاقامتها ايوانا بقلعة بني حماد اشتهر لذلك باسمها وهو قصر بلارة وقد محا اليوم محاسنه الزمان وطمس رسمه الحدثان وفي خرابه يقول الشاعر الصنهاجي ابو عبد الله محمد نادبا تلك الاطلال :

ان العروسين لا رسم ولا طلل

فانظر ترى ليس الا السهل والجبل

---

(1) ابن عذاري ، بيان ، ج1 ، ص 430 .
(2) نفس المرجع .
(3) ابن الاثير ، كامل ، ج8 ، ص 124 .

وقـــصر بـــلارة أودى الزمـــان بـــه

فأين ما شاده منها السادة الاول .. »

وأضاف الى ذلك صاحب « شهيرات التونسيات » ان الناصر رزق « من الاميرة بلارة بامراء نبلاء وكان أطراهم ذكرا وأعلاهم كعبا المنصور بن الناصر ، وعاشت بلارة محظية معززة أيام الناصر وأمدا من أيام ابنها المنصور »[1].

٣) محاربة زناتـــة :

ان المؤرخ الوحيد الذي يعطينا معلومات عـــن محاربة الناصر لزناتة هو ابن خلدون . فقال[2] ان أول من قاتل الامير الحمادي هو المنتصر بن خزرون الزناتي . فكان المنتصر خرج من مصر في أيام الفتنة التي وقعت بين الترك والمغاربة . فوصل الى طرابلس . فوجد بها قبيلة بني عدي التي كانت طردت من افريقية من قبل الاثبج وزغبة . فرغبهم في بلاد المغرب وسار بهم حتى نزل المسيلة وفتح أشير . فخرج اليه الناصر . ففر المنتصر الى الصحراء ولكنه كان من حين الى آخر يخرج منها ويغزو ناحية الزاب . فطلب منه الناصر الصلح وأقطعه ضواحي الزاب ولكنه ، في نفس الوقت أمر عروس بن سندي رئيس بسكرة بأن يمكر بالمنتصر . ولما وصل هذا الاخير الى بسكرة ، رحب به عروس بن سندي و « أحمد نزله ، وأشار على حشمه عند انسكاب المنتصر وذويه على الطعام فبادروا مكبين لطعنه ، وفر اتباعه وأخذوا رأسه وبعث به الى الناصر فنصبه ببجاية وصلب شلوه بالقلعة وجعلوه عظة لغيره » .

---

(1) حسب حسن حسني عبد الوهاب ، شهيرات التونسيات ، ص 51—52 .

(2) ابن خلدون ، عبر ج 6 ، ص 355 — 358 .

وبجانب المنتصر بن خزرون هناك أمراء زناتة آخرون قتلوا في هذه الفترة من عهد الناصر منهم : أبو الفتوح بن حبوس أمير المدية ومعنصر بن حماد ، من ناحية شلف • فكان هذا الاخير هجم عـلى مليانة وقتل شيوخ بني ورسفان • فكاتبهم الناصـر وأخبرهم بأنه « كان مشغولا عنهم من شان العرب »[1] • فهجم بنو ورسفان على معنصر ابن حماد وقتلوه « وبعثوا برأسه الى الناصر فنصبه عـلى رأس القصر » •

٤) عقد اتفاق بين الناصر والبابا غريغوار السابع :

أخبرنا كريستيان كورتوا[2] أن البابا غريغوار السابع عقد اتفاقا مع الناصر وذلك لان الامير تميم كان يغزو الساحل الايطالي ويعين مسلمي صقلية في محاربتهم للنورمانديين • فأراد البابا الصلح مع الامير الحمادي لئلا يساعد هذا الاخير تميما في محاربته للمسيحيين •

سنرى فيما بعد عندما ندرس الحياة الدينية في عهد بني حماد ان العلاقات بين الناصر والبابا كانت حسنة الى أقصى حد •

٥) محاربة المنصور بن الناصر لبني هلال وزناتة :

بدأ المنصور بن الناصر يلعب دورا سياسيا هاما في أواخر عهد أبيه وقام بغارتين ضد زناتة الذين كانوا تحالفوا مع بني هلال • انه في الغارة الاولى غزا المنصـور قبيلتين زناتيتين الا وهما : غمرت ومغراوة المتحالفتين مع الاثبج • وكانت تلك القبائل الثلاثة تغير على ناحية الزاب • ففتح المنصور مدينة وغلان وبعث « سراياه وجيوشه

(1) انظر ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 52 •

(2) انظـر :

Christian Courtois, Revue historique, 1945, pp. 97, 207 - 215.

الى بلاد وركلا وولى عليها ، وقفل بالغنائم والسبي »[1] • وأما الغارة الثانية التي قام بها المنصور في عهد أبيه فكانت موجهة ضد قبيلة بني توجين المحالفة مع الهلاليين بني عدي • فانتصر فيها المنصور وألقى القبض على أمير بني توجين مناد بن عبد الله وأخيه زيري وعميهما الاغلب وحمامة وعلى ثلاثة أمراء من قبيلة عدي : ساكن بن عبد الله وحميد بن خزعل ولاحق بن جهان • فأحضرهم الناصر ووبخهم ثم قتلهم •

٦) وفـاة الناصـر :

ذكر ابن خلدون[2] ان الناصر توفي سنة 481/1088 - 1089 بعدما تولى الامر سبع وعشرين سنة • فخلفه ابنه المنصور •

2 ــ الدولة الحمادية في عهد المنصور :

كان المنصور ابن احدى عشرة سنة عندما خلف أباه الناصر على العرش الحمادي وعلى قول ابن الاثير[3] وصله « كتب الملوك ورسلهم بالتعزية أبيه والتهنئة بالملك منهم يوسف بن تاشفين وتميم بن المعز ، وغيرهما » • وأضاف صاحب « الكامل في التاريخ » أن الامير الحمادي السادس « اقتفى آثار أبيــه في الحزم والعزم والرئاسة » • أما ابن الخطيب فقال من جهته « ان المنصور كان قائما على أمره حميد الخلال ضابطا للامور يكتب ويشعر ويذهب في أموره مذهب أبي جعفر المنصور من رقع الثياب والحفظ على القليل من الاشياء »[4]•

(1) انظر ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 356 •
(2) نفس المرجع ، ص 357 • انظر أيضا ابن الاثير ، كامل ، ج8 ، ص 147 •
(3) ابن الاثير ، كامل ، ج8 ، ص 147 •
(4) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، الاصالة ، عدد خاص ببجاية عبر العصور ، ص 94 •

فبقي المنصور سنتين في القلعة ثم في سنة 483/1090 — 1091 انتقل الى بجاية. وذكر ابن خلدون[1] « انه كان مولعا بالبناء وهو الذي حضر ملك بني حماد ، وتنافق في اختطاط المباني وتشييد المصانع واتخاذ القصور واجراء المياه في الرياض والبساتين . فبنى في القلعة قصر الملك والمنار والكوكب وقصر السلام وفي بجاية قصر اللؤلؤه وقصر اميمون » .

وبقي المنصور سبع عشرة سنة على العرش الحمادي وعرف المغرب الاوسط في عهده أحداثا عديدة منها : ثورة بلبار وأبي يكني بقسنطينة ومحاربة المرابطين وبني ومانو ووصول أمير المرية الى المغرب الاوسط وغزو زناتة وناحية بداية .

آ) ثورة بلبار وابي يكني بقسنطينة :

رأينا فيما سبق أن الناصر بن علناس كان ولى أخاه بلبار على قسنطينة . فذكر ابن خلدون[2] ان بلبار « هم بالاستبداد لاول دولة المنصور » . فكلف الامير الحمادي أبا يكني بن محسن بن القائد بقمع ثورة بلبار . فسار أبو يكني الى قسنطينة وألقى القبض على بلبار وبعثه الى القلعة . فولى المنصور أبا يكني على قسنطينة وبونة . فولى أبو يكني من جهته أخاه ويقلان على بونة ثم ثار على المنصور سنة 487/1094 بقسنطينة و « بعث أخاه من بونة الى تميم بن المعز بالمهدية واستدعاه لولاية بونة . فبعث معه ابنه أبا الفتوح بن تميم ونزل بونة مع ويقلان وكتبوا المرابطين بالمغرب الاقصى وجمعوا العرب على أمرهم » .

فسير المنصور عساكره الى بونة . فحاصروها سبعة أشهر ثم

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 358 .
(2) نفس المرجع .

فتحوها عنوة وألقوا القبض على أبي الفتوح وبعثوا به الى المنصور • فاعتقله بالقلعة •

وبعد فتح بونة توجه الجيش الحمادي الى قسنطينة • فخرج أبو يكني منها ولجأ الى قلعة بجبل أوراس وتحصن بها • وبعد خروجه تولى صليصل بن الاحمر الامر بها وأخبر المنصور بانه « يمكنه من قسنطينة على مال يبذله • ففعل واستولى عليها المنصور »[1] •

وأما أبو يكني فكان من حين الى آخر يهجم على قسنطينة وسير اليه المنصور عساكره • فحاصروا قلعته وفتحوها عنوة وقتلوه •

ب) محاربة المرابطين وبني ومانو وبني يلومي :

ان المرابطين الذين كانوا فتحوا المغرب الاقصى تحت قيادة أميرهم يوسف بن تاشفين هجموا حوالي سنة 473—474/1080—1082 على الناحية الغربية للمملكة الحمادية وفتحوا على التوالي تلمسان وتنس وونشريش وناحية وادي شلف والجزائر ثم عادوا الى المغرب الاقصى بعدما تركوا جيشا بتلمسان تحت أمر محمد بن تينعمر المسوفي •

وأما بنو ومانو وبنو يلومي فذكر ابن خلدون[2] ان هاتين القبيلتين كانتا من أوفر بطون زناتة وأشدهم شوكة « ولما غلب بلقين ابن زيري مغراوة وبني يفرن على المغرب الاوسط ، وأزاحهم الى المغرب الاقصى ، بقيت هاتان القبيلتان بموطنهما ، واستعملتهم صنهاجة في حروبها » •

---

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 359 •
(2) نفس المرجع ، ج7 ، ص 114 •

وفي عهد الناصر عظم أمر بني ومانو بالمغرب الاوسط وكان « بينهم وبين آل حماد صهر • فكانت احدى بناتهم زوجة الناصر والاخرى عند المنصور »[1] •

ولكن بعد ما فتح المرابطون تلمسان تحالف بنو ومانو وبنو يلومي معهم وشبت بينهم وبين الحماديين حرب طويلة كانت مراحلها الاساسية هي : انتصار المنصور على المرابطين وبني ومانو وبني يلومي وانتصار عبد الله بن المنصور على المرابطين وبني ومانو وانهزام المنصور أمام بني ومانو وفتح تلمسان من طرف المنصور •

ـ انتصار المنصور على المرابطين وبني ومانو :

بعد ما تحالف المرابطون مع بني ومانو هجموا جميعا على المملكة الحمادية • فسار اليهم المنصور في جيوشه وخرب قلع بني ومانو وتغلب على والي تلمسان حتى اضطر الامير المرابطي يوسف بن تاشفين الى طلب الصلح •

ـ انتصار عبد الله بن المنصور على المرابطين وبني ومانو :

فاستأنف المرابطون وبنو ومانو هجوماتهم على المملكة الحمادية • فسير اليهم المنصور جيشا تحت قيادة ابنه عبد الله • فاضطر المرابطون الى الفرار الى المغرب الاقصى • ثم هجم عبد الله على بني ومانو وفتح الجعبات ومرات على ضفة وادي ريو •

ـ انهزام المنصور أمام بني ومانو :

لنا حول انهزام المنصور أمام بني ومانو روايتان كلتاهما لابن خلدون • فذكر صاحب « كتاب العبر » في تاريخ الدولة الحمادية[2]

---

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 359 •
(2) نفس المرجع •

ان المنصور انهزم من طرف بني ومانو وعند وصوله الى بجاية قتل زوجته أخت ماخوخ • فعند ذلك بعث ماخوخ ابنه الى تلمسان ليطلب المساعدة من الوالي المرابطي • فلبى محمد بن تينعمر دعوته وسير جيشا نحو الجزائر • فحاصرها يومين • فقتـل والي تلمسان أثناء المعركة • فولى يوسف بن تاشفين أخاه تاشفين بن تينعمر مكانه • فسار والي تلمسان الجديد الى أشير وخربها •

أما في « تاريخ بني ومانو وبني يلومي » فقال ابن خلدون [1] ان المرابطين وبني ومانو وبني يلومي حاصروا الجزائر وخربوا أشير • فغزا المنصور بلاد بني ومانو • فهزمه ماخوخ واتبعه الى بجاية • فقتل المنصور زوجته ، أخت ماخوخ عند وصوله الى قصره •

ـــ فتح تلمسان من قبل المنصور :

في شوال 496/يوليو ـ اغسطس 1103 توجه المنصور نحو تلمسان في جيش قوامه على عشرين ألف عسكري من صنهاجة وبني هلال وزناتة • فوصل الى نهر اسطسيف أي وادي صفصاف على حوالي 4 كم غربي تلمسان وبعث بمقدمته الى عاصمة تاشفين بن تينعمر •

أما الوالي المرابطي فكان قـد غادر تلمسان • فلقيه المنصور بتسالة وهزمه • فلجأ تاشفين الى جبل الصخرة • ففتح المنصور مدينة تلمسان « فخرجت اليه حوا زوجة تاشفين أميرهم متذممة راغبة في الابقاء متوسلة بوشائج الصنهاجية • فأكبر قصدها اليه وأكرم موصلها وأفرج عنهم صبيحة يومه وانكفأ راجعا الى حضرته القلعة » [2] • وفي

---

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج7 ، ص 115 •
(2) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 361 •

سنة 1104/497 اصطلح يوسف بن تاشفين مع المنصور وليسترضيه عزل تاشفين بن تينعمر وولى مزدلي مكانه .

ج) وصول أمير المرية الى المغرب الاوسط :

بعد ما فتح المرابطون اشبيلية وعزل أميرها فر أمير المرية معز الدولة ابن صمادح من الاندلس والتجأ الى المملكة الحمادية . « فنزل على المنصور واقطعه تدلس وانزله بها »[1].

د) محاربة المنصور لزناتة وقبائل ناحية بجاية :

في السنين الاخيرة من عهده قام المنصور بمحاربة زناتة وعلى قول ابن خلدون « شردهم بنواحي الزاب والمغرب الاوسط »[2]. ثم قام المنصور بقتال قبائل ناحية بجاية . فلجأت الى « جبالها المنيعة مثل بني عمران وبني تازروت والمنصورية والناظور وحجر المعز »[3].

هـ) وفاة المنصور :

فهلك المنصور بن الناصر الامير الحمادي السادس سنة 1105/498 . فخلفه ابنه باديس .

---

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 361 .
(2) نفس المرجع .
(3) نفس المرجع .

الفصل الرابع

الدولة الحمادية في عهد باديس والعزيز ويحيى

1 ـ عهد باديس بن المنصور :

بعد وفاة المنصور خلفه ابنه باديس على العرش الحمادي . فكان باديس ، على قول ابن خلدون ، « شديد البأس عظيم النظر . فنكب عبد الكريم بن سليمان وزير أبيه لاول ولايته . وخرج من القلعة الى بجاية . فنكب سهام عامل بجاية »[1] . وذكر ابن الخطيب[2] من جهته ان باديس « كان شديد البأس عظيم السطوة سريع البطش » وأضاف صاحب « كتاب أعمال الاعلام » الى ذلك أن باديس ألقى رجالا الى الاسود « فبات ليلة معها وأصبح لم تعد اليه » . وأفادنا ابن الخطيب أخيرا بتاريخ وفاته وسببها . فقال : « كانت وفاته ثالث عشر في ذي القعدة سنة 8 و 27/4 يوليو 1105 ويقال أن أمه سمته لانه كان يهددها ويتوعدها » .

---

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 361 .
(2) ابن الخطيب ، كتاب أعمال الاعلام ، الاصالة ، عدد خاص ببجاية عبر العصور ، ص 94-95 .

2 — عهد العزيز بن المنصور :

كان باديس عزل أخاه العزيز عن بجاية وغربه الى جيجل • بعد وفاته أرسل القائد علي بن حمدون رسولا الى العزيز • فرجع الى بجاية وخلف أخاه باديس على العرش الحمادي[1] •

فذكر ابن الخطيب[2] ان العزيز كـان « حسن الخلق معتدل الطريقة » وانه « هو الذي استوطن بجاية ومن بعد ولايته شـرعت القلعة في الخراب » • وأضاف صاحب « كتاب أعمال الاعلام » أن العزيز «كاتب ملوك زمانه وسالمهم فكانت أيامه أعيادا لحسنها وجمالها» •

وأخبرنا ابن خلدون[3] أن العزيز « صالح زناتـة وأصهر الى ماخوخ فأنكحه ابنته » وان العلماء كانوا « يتناظرون في مجلسه » •

ومن الاحداث الهامة التي وقعت في عهد العزيز نذكر : الغزو الحمادي لافريقية وهجوم بني هلال على قلعة بني حماد ومرور ابن تومرت بالمغرب الاوسط وغزوة قلعة زرعة •

آ) الغزو الحمادي لافريقيـة :

على قول ابن خلدون[4] أغار بنو حماد افريقية مرتين • في الغارة الاولى ، بعث العزيز أساطيله الى جزيرة جربة « فنزلوا على حكمه وأخذوا بطاعته » • وأما الغارة الثانية فوقعت في سنة 514/افريل — مارس 1121 • فنازل الجيش الحمادي تونس التي كانت خرجت من طاعة بني حماد في سنة 510/1116 — 1117 ، وخضعت للامير الزيري

---

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 361—362 .
(2) ابن الخطيب ، نفس المرجع •
(3) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 362 •
(4) نفس المرجـع •

تميم • فذكر ابن خلدون[1] ان ، بعد تدخل جيش العزيز ، صاحب تونس احمد بن عبد العزيز ، صالح العزيز وأخذ بطاعته •

ب) هجوم بني هلال على قلعة بني حماد :

ذكر ابن خلدون[2] ان بني هــلال هجموا عــلى قلعة بني حماد و « اكتسحوا جميع ما وجدوه بظواهــرها وعظم عيثهم » ولكن « قاتلتهم الحامية فغلبوهم وأخرجوهم من البلد » • ثم بعث العزيز جيشا تحت قيادة ابنه يحيى والقائد علي بن حمدون الى قلعة بني حماد « سكن الاحوال وقد امن العرب واستعتبوا فاعتبوا وانكفأ يحيى راجعا الى بجاية في عسكره » •

ج) مرور ابن تومرت بالمغرب الاوسط :

ان ابن تومرت مؤسس الدولة الموحدية ولــد بناحية السوس بالمغرب الاقصى بين سنة 471/1078 و 491/1098 وامتاز منذ صغره بحبه للعلم • وفي حوالي سنة 500/1106 ، قام برحلة الى المشرق حيث قرأ عن أعظم علماء مصر والشام والعراق ثم رجع الى المغرب وأول مدينة حمادية زارها هي قسنطينة • فوصل اليها وهو وقتئذ مصحوبا بيوسف الدكالي والحاج عبد الرحمان وأبي بكر بن علي الصنهاجي ، المكنى بالبيذق ، صاحب كتاب نفيس عنوانه « كتاب أخبار المهدي ابن تومرت وابتداء الدولة الحمادية » •

وذكر البيذق[3] ان ابن تومرت ، عند وصوله الى قسنطينة ، نزل « عند الفقيه عبد الرحمن الميلي ويحيى بن القاسم وعبد العزيز ابن محمد وكان أميرها ســبع بن العزيز وقاضيها قاســم بن عبد الرحمن » • وأخبرنا صاحب « كتاب أخبار المهدي ابن تومرت » أن

---

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 362 .
(2) نفس المرجــع .
(3) البيذق ، كتاب اخبار المهدي ابن تومرت ، ص 51—52 .

الفقيه السوسي كما كان يسمى مؤسس الدولة الموحدية وقتئذ ، قام بالتدريس وباصلاح الاخلاق أثنــاء اقامته بقسنطينة . فيما يخص التعليم قال البيذق ان الطلبة كانوا يقرؤون عليه . وأما فيما يتعلق بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فذكر ان ابن تومرت تدخــل مرتين . في المرة الاولى « سمع صوت مناد وهو ينادي هــذا جزاء الحلال . فقال المعصوم ما هذا النداء . فقالوا له هذا حلال يأخذ أموال الناس ويدخل عليهم ليقتلهم . فقال ليس عليه سياط انما عليه القتل ولكن يجزيه ذاك الضرب » . والمرة الثانية « ســمع مناديا ينادي : هذا جزاء أهل السرقة . فقال يا قوم تركتم الشرع انما يجب عليه قطع اليد . فقالوا له يا فقيــه فما نصنع به . فقال لهم انما هذا الضرب يقوم له مقام قطع اليد بجهلكم لانه لا يجوز جمع حدين في ذنب واحد ثم قال للسارق تب فقال يا فقيه انا تائب لله تعالى بقلب صادق . فتاب على يد الامام المعصوم رضي الله عنه وعلمه من شروط التوبة وبينها له » .

ومن قسنطينة ، سار ابن تومرت الى بجاية حيث وصل في سنة 511/1117 أو 512/1118 . فنزل مسجد الريحانة وقام ، عــلى عادته ، بالتدريس واصلاح الاخلاق .

فيما يخص التعليم ، ذكر المراكشي[1] انه أظهر ببجاية « تدريس العلم والوعظ ، اجتمع عليــه الناس ومالت اليه القــلوب » . وأفادنا البيذق[2] باسماء العلماء الذين كانوا يحضرون الى دروسه : محرز وابراهيم الزبدوي وابراهيم بن محمد الميلي ويوسف بن الجزيري وعبد الرحمن بن الحاج الصنهاجي القاضي . وأما فيما يتعلق بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقال ابن القطان[3] : « لمــا دخل ابن

(1) المراكشي ، المعجب ، ص 179—180 .
(2) البيذق ، كتاب أخبار المهدي ، ص 52 .
(3) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص 41 .

تومرت بجاية لقي الصبيان في زي النساء بالضفائر والاضراس والزينه وشواشي الخزّ وألقى الارذال قد فتنوا بذلك وانهمكوا • فغير المنكر جده وأزال ذلك الزي مستطاعه • ثم حضر عيدا ، فرأى فيه من اختلاط الرجال بالنساء والصبيان المتزينين المتكحلين ما لا يحل ، فزجرهم وغير ذلك عليهم فوقعت لاجل ذلك نفرة استطال فيها الشر ، وسلب النساء حليهم ، وقام الهرج » • وذكر البيذق[1] من جهته : « كان ابن تومرت ينهي الناس عن الاقراق الزرارية وعمائم الجاهلية ولباس الفتوحيات للرجال ويقول لا تتزينوا بزي النساء لانه حرام وكان يبيح الطيب للرجال والنساء » • ولاحظ ابن خلدون أخيرا[2] : « ولما دخل ابن تومرت بجاية وبها يومئذ العزيز بن المنصور ابن الناصر بن علناس بن حماد من أمراء صنهاجة وكان من المترفين فأغلظ له ولاتباعه بالنكير وتعرض يوما لتغيير بعض المنكرات في الطرق فوقعت بسببها هيعة » • وأخبرنا ابن القطان[3] ان العزيز ، لما سمع بالهيعة سأل عن سببها فعرف بانه لا سبب لها الا « الفقيه السوسي وكذلك كان — رضي الله عنه — يعرف بالمشرق ، ووجد المشنعون سبيلا الى القول فيه ، فقالوا وأوغروا عليه قلب العزيز ، فأمر بجمع الطلبة لمناظرته في جرأته على الملوك • فاجتمعوا في دار أحدهم واحتفلوا في اعداد المطاعم والمشارب ووجهوا عن الامام — رضي الله عنه — الى المسجد الذي كان يحل فيه ، فامتنع من الوصول اليهم ، فوجهوا اليه الكاتب عمر بن فلفول ، فلاصقه وأقسم عليه ورغبه وتضرع اليه حتى اسعفه ، فوصل اليهم ، فناظروه وساءلوه ، فأجابهم ما اسكتهم ، ثم سألهم فما أحاروا جوابا • ولاطفه ابن فلفول عند ذلك يراوده على ترك ما هو بسبيله من الامر بالمعروف

(1) البيذق ، كتاب أخبار المهدي ، ص 52 .
(2) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 467 .
(3) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص 41—42 .

والنهي عن المنكر » .

وقال المراكشي في نفس الموضوع : « فأمره صاحب بجاية بالخروج عنها حين خاف عن عاديته »[1] .

اذن اضطر ابن تومرت الى مغادرة بجاية والى السير الى قرية ملالة التي تقع على نحو 7 كم من العاصمة الحمادية على الطريق التي تؤدي الى الجزائر . ولكن ذكر البيذق[2] انه رجع اليها في يوم من الايام وعند وصوله الى باب البحر أهرق الخمر وقال : « المؤمن تمار والكافر خمار . فرمى فيه اليد سبع ابن الامير العزيز وقالوا له من أمرك بالحسبة . فقال الله ورسوله » . ثم رجع ابن تومرت الى ملالة واستقر بها .

فوجد بملالة بني أورياكل وهم على قول ابن خلدون[3] قبيلة صنهاجية ذات « اعتزاز ومنعة . فأووه وأجاروه » . فطالبهم الامير العزيز باسلامه اليه ولكنهم « أبوا وأسخطوه » .

ويخبرنا البيذق[4] من جهته « أن أبناء العزيز ، لما رأوا ابن تومرت بملالة قالوا له : يا فقيه نريد أن نبني لك مسجدا هنا . فقال لهم — رضي الله عنه — ان شئتم . فبنوا له مسجدا بها وأقبل الطلبة يصلون اليه من كل مكان » .

اذن نرى أن السبب الاول الذي دفع ابن تومرت الى اختيار قرية ملالة لالقاء دروسه هو أنه وجد بها حماية بني أورياكل واعانة أبناء الامير الحمادي .

هناك سبب ثان وهو أن الفقيه السوسي كان يحدثه قلبه أن ، بملالة يقع حدث يؤثر تأثيرا كبيرا في حياته . فذكر المراكشي[5] في هذا

(1) المراكشي ، المعجب ، ص 180 .
(2) البيذق ، كتاب اخبار المهدي ، ص 53 .
(3) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 467 .
(4) البيذق ، كتاب أخبار المهدي ، ص 53 .
(5) المراكشي ، المعجب ، ص 181 .

الصدد أن ابن تومرت لما نزل ملالة « سمع وهو يقول : ملالة ملالة ، يكررها على لسانه ويتأمل أحرفها ، وذلك لما كان يراه أن أمره يقوم في موضع في اسمه ميم ولامان ، فكان — كما ذكرنا — اذا كررها يقول : ليست هي » • وقال البيذق من جهته[1]: « فكان الطلبة يقرؤون العلم عليه فاذا فرغوا جلس بين الطرق تحت خروبة العجوز وهو أبدا ينظر للطريق ويحرك شفتيه بالذكر • وذلك الموضع يعرف بخروبة العجوز • فبينما هو ذات يوم قاعد اذ سمعناه يقول الحمد لله انجز وعده ونصر عبده وأنفذ أمره وأقبل نحو المسجد وركع ركعتين ثم قال الحمد لله على كل حال قد بلغ وقت النصر وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم يصلكم غدا طالب طوبى لمن عرفه وويل لمن انكره » • أما ابن خلكان[2] فذكر ان ابن تومرت « كان قد اطلع على كتاب يسمى الجفر من علوم أهل البيت وانه رأى فيه صفة رجل يظهر بالمغرب الاقصى بمكان يسمى السوس ، وهو من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يدعو الى الله ، يكون مقامه ومدفنه بموضع من المغرب يسمى باسم هجاء حروفه ت ي ن م ل ورأى فيه أيضا أن استقامته ذلك الامر واستلاءه وتمكنه يكون على يد رجل من أصحابه هجاء اسمه ع ب د م و م ن » •

والحدث الهام الذي كان ينتظره ابن تومرت هو اتصال عبد المؤمن به لان جميع المؤرخين ما عدا ابن أبي زرع[3] والمراكشي[4] اتفقوا على أن هذا الاتصال وقع بملالة • ولكنهم ان اتفقوا أو كادوا يتفقون

(1) البيذق ، كتاب اخبار المهدي ، ص 53 •
(2) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج4 ص ، 138 •
(3) ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص 120 ، يذكر أن عبد المؤمن اتصل بأبي تومرت بتاجرا .
(4) المراكشي ، المعجب ، ص 82 ، يذكر أن اتصال عبد المؤمن بابن تومرت كان بفنزرة أو ملالة .

على المكان الذي وقع فيه اتصال عبد المؤمن بابن تومرت ، اختلفوا في السبب الذي دفع عبد المؤمن الى السير الى ملالة •

فذكر ابن القطان[1] ان طلبة مدينة تلمسان ، بعد موت استاذهم التونسي ، اتفقوا على أن يجلبوا الى مكانه ابن تومرت • فوجهوا اليه عبد المؤمن • ونجد في « كتاب العبر » روايتين مختلفتين عن السبب الذي دفع عبد المؤمن الى السير الى بجاية • ان الرواية الاولى الموجودة في تاريخ قبيلة كومية[2] تؤيد رواية ابن القطان • فجاء فيها أن الطلبة التلمسانيين ، بعد موت شيخهم عبد السلام التونسي ، سمعوا بوصول ابن تومرت الى بجاية • فتشوقوا « الى الاخذ عنه وتفاوضوا في ذلك وندب بعضهم بعضا الى الرحلة اليه لاستجلابه وأن يكون له السبق باتحاف القطر بعلومه • فانتدب لها عبد المؤمن على مكانه من صغر السن بنشاطه للسفر لبداوته ، فارتحل الى بجاية للقائه وترغيبه في نزوله تلمسان » • وجاء في الرواية الثانية التي توجد في تاريخ دولة الموحدين أن عبد المؤمن ، عند اتصاله بالفقيه السوسي ، كان حاجا مع عمه[3] • وأما المراكشي[4] وصاحب « الحلل الموشية »[5] والبيذق[6] ، فذكروا أن عبد المؤمن كان يريد السفر الى المشرق لطلب العلم • فاتجه نحو بجاية صحبة عمه يعلو • فلما وصل اليها سمع الناس يتحدثون عن ابن تومرت • فطلب من عمه ان يأذن له بالاتصال بــه •

هذا فيما يخص الظروف التي وقع فيها لقاء عبد المؤمن لابن تومرت • أما فيما يتعلق بالاتصال نفسه فلنا روايات عديدة •

---

(1) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص 22—23 •
(2) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 259 •
(3) نفس المرجع ، ص 467 •
(4) المراكشي ، المعجب ، ص 182 •
(5) الحلل الموشية ، ص 86 •
(6) البيذق ، كتاب اخبار المهدي ، ص 53 •

فقال البيذق في هذا الصدد[1] :

« اعلم يا أخي أنه لما جد السير نحو الامام اجتمع مع الطلبة في طريقه فاصطحب معهم حتى بلغ باب المسجد • فرفع المعصوم — رضي الله عنه — رأسه فواقفه أمامه فقال له ادخل يا شاب فدخل فأراد أن يقعد في جملة الناس فقال له الامام المعصوم — رضي الله عنه — ادن يا شاب فلم يزل يدنو من الامام والمعصوم يقربه حتى دنا منه فقال له المعصوم ما اسمك يا فتى فقال عبد المؤمن فقال له المعصوم وأبوك علي فقال نعم فتعجب الناس من ذلك فقال له يا شاب من أين اقبالك قال له من نظر تلمسان من ساحل كومية فقال له المعصوم تاجرا أم لا فقال نعم فزاد الناس تعجبا فقال له المعصوم — رضي الله عنه — أين تريد يا فتى فقال يا سيدي نحو المشرق التمس فيه العلم فقال له المعصوم — رضي الله عنه — العلم الذي تريد اقتباسه بالمشرق قد وجدته بالمغرب فلما انصرف الناس من القراءة أراد الخليفة أن ينصرف فقال له المعصوم — رضي الله عنه — تبيت عندنا يا شاب فقال له نعم يا فقيه فبات عندنا فلما جن الليل أخذ الامام المعصوم بيد الخليفة — رضي الله عنهما — وسار فلما نصف الليل ناداني المعصوم يا أبا بكر ادفع لي الكتاب الذي في الوعاء الاحمر فدفعته له وقال لي اسرج لنا سراجا فكان يقرأه على الخليفة من بعده وأنا يومئذ ماسك السراج أسمعه يقول لا يقوم الامر الذي فيه حياة الدين الا بعبد المؤمن بن علي سراج الموحدين فبكى الخليفة عند سماع هذا القول وقال يا فقيه ما كنت في شيء من هذا انما أنا رجل أريد ما يطهرني من ذنوبي فقال المعصوم انما تطهيرك من ذنوبك صلاح الدنيا على يدك ثم دفع له الكتاب وقال له طوبى لاقوام كنت أنت مقدمهم وويل لقوم خالفوك أولهم وآخرهم أكثر

---

(1) البيذق ، كتاب اخبار المهدي ص 55—56 .

من ذكر الله يبارك الله لك في عمرك ويهديك ويعصمك مما تخاف وتحذر ثم قال لي المعصوم — رضي الله عنه — يا أبا بكر ناد الصبيان للورد » •

وجاء في « الحلل الموشية »[1] ان عبد المؤمن الذي كان أراد السفر الى المشرق لطلب العلم مر بملالة واتصل بابن تومرت « وجلس معه فسأله عن اسمه فقال له عبد المؤمن بن علي وسأله عن بلاده فقال له قطر تلمسان فقال تكون تاجرا قال نعم وأنا أريد الرحلة في طلب العلم لبلاد المشرق فقال له المهدي العلم الذي تطلبه بالمشرق قد وجدته بالمغرب الى أن أقرأ عليه المهدي كتابا يقول فيه لا يقوم الامر الذي فيه حياة الدين الا بعبد المؤمن سراج الموحدين • فبقي معه يقرأ عليه برباط ملالة » •

وعلى قول ابن خلدون[2] كان ابن تومرت « يومله لخلافته لما ظهر عليه من الشواهد المدونة بذلك » • وذكر ابن الاثير[3] من جهته ان ابن تومرت سأل عبد المؤمن عن اسمه وقبيلته « فأخبره أنه من قيس عيلان ثم من بني سليم فقال ابن تومرت هذا الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم حين قال ان الله ينصر هذا الدين في آخر الزمان برجل من قيس فقيل من أي قيس فقال من بني سليم فاستبشر بعبد المؤمن وسرّ بلقائه » • وقال المراكشي[4] أخيرا ان ابن تومرت « استدعى عبد المؤمن وخلا به وسأله عن اسمه واسم ابيه ونسبه • فتسمى له واتنسب • وسأله عن مقصده فأخبره أنه راحل في طلب العلم الى المشرق • فقال له ابن تومرت : أوخير من ذلك •

---

(1) الحلل الموشية ، ص 86 •
(2) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 259—260 .
(3) ابن الاثير ، كامل ، ج8 ، ص 299 .
(4) المراكشي ، المعجب ، ص 181 •

فقال وماهو ؟ قال شرف الدنيا والآخرة ، تصحبني وتعينني على ما أنا بصدده من اماتة المنكر واحياء العلم واخماد البدع . فأجابه عبد المؤمن الى ما أراده » .

هذا ما جـاء في كتب المؤرخين عن اتصال عبـد المؤمن بابن تومرت . هناك أحداث أخرى وقعت أثناء اقامة الفقيه السوسي ببجاية وملالة . فذكر ابن القطان[1] أن والد ابن تومرت « لحقه ببجـاية قافلا فأكد عليه في القفول شوقا اليـه » . وأخبرنا البيذق[2] بدوره بحدثين آخرين هامين أولهما هو أن يوما من الايام « أقبـل رجلان يريدان المشرق اسم احدهما عبد الله بن عبد العزيز والآخـر عبد الصمد بن عبد الحليم . فقال لهما الامام — رضي الله عنه — من أين أقبلتما أيها الرجلان . قالا من بلاد المغرب ... من درن من تينمل . فسألهما في قولهما ودعا لهما » . والحدث الثاني هو أن أحد أبناء ملالة اسمه يزريجن بن عمر أخذ عن ابن تومرت وأراد أن يصحبه في رحلته الى المغرب الاقصى . فدعا الفقيه السوسي براحل « والدة يزريجن بن عمر المكنى بعبد الواحد الشرقي وقال لها يا راحل تتركين ابنك عبد الواحد يسير معنا . فقالت له يا فقيه هو معك اذا أراد أن يسير يسير . فقال لها يا أمي أسير معهم » .

وأعلمنا المراكشي[3] أخيرا أن عبد المؤمن ، عند رجوعه من فتح افريقية مر ببجاية « فسأل عن بياع بها سماه باسمه . فأخبره أهل السويقة بوفاته . فقال هل خلف عقبا ؟ قالوا نعم . فأمر بشراء جميع الدكاكين التي بتلك السويقة وأوقفها عليهم وأمر لهم بمال كثير ثم التفت الى بعض خواصه وقال له : أتيت الى هذا البياع ولي وللامام

---

(1) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص 35 .
(2) البيذق ، كتاب أخبار المهدي ، ص 57—58 .
(3) المراكشي ، المعجب ، ص 231 .

— يعني ابن تومرت — ولجماعة من أصحابنا من الطلبة أيام لم نطعم فيها ، وما معي الا سكين الدواة . فأخذت منه خبزا واداما ثم وضعت عنده السكين رهنا على ذلك . فأبى قبوله وقال لي : اني توسمت فيك الخير متى أعوزك شيء فهلم الدكان فهو بين يديك وبحكمك . فحقه علي أكثر من هذا » .

تلك هي الاحداث الهامة التي وقعت أثناء اقامة ابن تومرت ببجاية وملالة . وبعد أيام حسب ابن خلدون[1] أو أشهرا على قول البيذق[2] غادر ابن تومرت ملالة وتوجه نحو المغرب الاقصى . ومن المدن والاماكن الحمادية التي مر بها الفقيه السوسي وأصحابه ، ذكر البيذق : متيجة والاخماس وكساس أن ومرمور ومليانة ووانشريش حيث اتصل ابن تومرت بعبد الله بن محسن الوانشريشي ، المكنى بالبشير الذي أصبح من أوفى أصحابه . ثم مر بناحية شلف والبطحاء ووصل الى تلمسان التي كانت وقتئذ تحت سلطة المرابطين .

د) غزو قلعة زرعة :

ذكر ابن خلدون[3] ان بروكسن كان في أول الامر من أولياء العزيز بن المنصور ولكن بعد حرب وقعت بين بني حماد وبني هلال « نسب الى نفسه بالاقدام والى السلطان العزيز العجز » ثم خاف بروكسن من انتقام العزيز ولجأ الى باجة . فأكرمه شيخها ثم بعثه الى زرعة لينظر في أحوال أهلها الذين كانوا منقسمين الى فئتين مختلفتين : أولاد مدني وأولاد لاحق وطلبوا من شيخ باجة أن يصلح بينهم .

---

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 467 .
(2) البيذق ، كتاب اخبار المهدي ، ص 57 . انظر ايضا المراكشي ، المعجب ، ص 181 الذي يذكر ان ابن تومرت اقام بملالة أشهرا .
(3) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 347 .

فأقام بروكسن بقلعة زرعة « ثم استجلب بعض الدعار كانوا بناحيتها وانزلهم بالقلعة معهم واصطنعهم ، وصاهر أولاد مدني وظاهرهم على أولاد لاحق ، وأخرجهم من القلعة واستبد بها » • فسير اليه العزيز جيشا تحت قيادة غيلاس • فألقى القبض على بروكسن ورجع الى المغرب الاوسط •

هـ) وفاة العزيز :

توفي العزيز بن المنصور الامير الحمادي الثامن في سنة 515/1121 — 1122 حسب ابن خلدون[1] في سنة 518/1124 — 1125 على قول ابن عذاري[2] •

3 — عهد يحيى بن العزيز :

بعد وفاة العزيز خلفه ابنه ابو زكريا يحيى على العرش الحمادي • فكان يحيى ، على قول ابن خلدون[3] « مستضعفا مغلبا للنساء مولعا بالصيد » • وقال ابن الخطيب[4] من جهته ان الامير الحمادي التاسع والاخير كان « فاضلا حليما فصيح اللسان والقلم مليح العبارة بديع الاشارة وكان مولعا بالصيد مغروما بـه » • وأضاف الى ذلك صاحب « كتاب أعمال الاعلام » ان يحيى كان يقضي سهراته وسط الملهين من شيوخ وعجائز وحمقى يبلغ عددهم نحو العشرين وانه « كان يستلقي في بيته على الفرش الوثيرة والحشايا ويستدعي المضحكين وجوارح الصيد فيختبر هذا البازي ويتفقد هذا الكلب وينتهض هذا المضحك في النوع الذي سلكه فيلهيه ويضحكه »•

---

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 466 •
(2) ابن عذاري ، بيان ، ج1 ، ص 446 •
(3) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 366 •
(4) ابن الخطيب ، كتاب أعمال الاعلام ، الامالة ، عدد خاص ببجاية عبر العصور ، ص 95 •

وكان « لا يزال كذلك الى أن ينام » • ويخبرنا ابن الخطيب أخيرا أن يحيى كان له ثلاث أخوات : تقسوط وأم ملال وشبلة كن يجلسن أبدا بين يديه « في زي العرائس والحلي واللباس » وابن اسمه المنصور كان ولاه ولي عهده « فتوفي في حياتـه وعظم وجده عليه » •

هذا فيما يخص طبيعة يحيى بن العزيز • أما فيما يتعلق بتاريخ الدولة الحمادية في عهده فأهم الاحداث هو الفتح الموحدي للمغرب الاوسط ، هذا ما دفعنا الى قسم دراستنا لهذه الفترة الى قسمين : الدولة الحمادية قبل الفتح الموحدي والفتح الموحدي •

1 — تاريخ عهد يحيى بن العزيز قبل الفتح الموحدي :

من الاحداث الهامة التي وقعت في الفترة الاولى من عهد يحيى ابن العزيز نذكر : زيارة الامير الحمادي لقلعة بني حماد وقمع ثورة أهل توزر والهجوم على المهدية وغزو تونس والهجوم الثاني على المهدية والهجوم الزيري على مركب حمادي وغزو جيجل وبرشك من طرف الاسطول الصقلي واستحداث السكة الحمادية ومساعدة يحيى للمرابطين ووصول الامير الزيري الحسن الى المغرب الاوسط •

آ) زيارة قلعة بني حماد :

ذكر ابن خلدون[1] ان يحيى قـام برحلة الى قلعـة بني حماد و « نقل ما بقي فيها » •

ب) قمع ثورة اهل توزر :

على قول ابن خلدون[2] ثار ابن فرقان على يحيى بتوزر • فسير اليه الامير الحمادي جيشا تحت قيادة الفقيـه مطرف بن علي بن

---

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 363 •
(2) نفس المرجـع •

حمدون • ففتح مطرف مدينة توزر عنوة والقى القبض على ابن فرقان وبعثه الى يحيى « فسجنه بالجزائر الى أن هلك في معتقله وقيل قتله » •

ج) الهجوم على المهدية :

قال ابن عذارى[1] ان أمير بجاية سير جيشا الى المهدية تحت قيادة ابن المهلب في سنة 1128/522 • فلا يفيدنا صاحب « البيان » بأي تفصيل عن هذا الهجوم الا أنه يقول ان القائد الحمادي « انصرف ناكصا على عقبه » •

د) غزو تونس :

في نفس السنة غزا الجيش الحمادي تونس تحت قيادة مطرف بن خزرون حسب ابن عذارى[2] أو مطرف بن حمدون ، على قول ابن خلدون[3] • وذكر صاحب « كتاب العبر » ان قائد يحيى ملك عامة أمصار فريقية قبل ان يفتح تونس وانه ، عند وصوله الى تونس ألقى القبض على واليها أحمد بن عبد العزيز بن عبد الحق بن خراسان وسيره الى بجاية « بأهله وولده وولى على تونس كرامة بن المنصور عم يحيى بن العزيز • فبقي واليا عليها الى أن مات » • وقال ابن عذارى أن أحمد بن عبد العزيز بن عبد الحق بن خراسان « قفل الى الحجاز وبها مات » •

وبعد موت كرامة بن المنصور تولى الامر بتونس أبو الفتوح ابن المنصور ، أخو كرامة ثم محمد بن أبي الفتوح بن المنصور ومن بعده معد بن المنصور أخو كرامة وأبي الفتوح • فبقي واليا عليها

---

(1) ابن عذارى ، بيان ، ج1 ، ص 447 •
(2) نفس المرجع •
(3) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 335—336 •

الى أن ثار عليه أهلها في سنة 543/1148 — 1149 • فقتلوا عبيده • فبعث اليه يحيى بن العزيز اسطولا من بجاية • فركب معد البحر وتوجه الى العاصمة الحمادية وترك بتونس نائبه العزيز بن دافال من وجوه صنهاجة •

هـ) هجوم ثان على المهدية :

اختلف المؤرخون في تاريخ هذا الهجوم وأسبابه واسم القائد الحمادي الذي قام به واخيرا في مراحله •

— تاريخ الهجوم :

ذكر ابن الاثير[1] وابن خلدون[2] وابن ابي دينار[3] انه وقع في سنة 529/1135 — 1136 بينما قال ابن عذارى[4] انه وقع في سنة 530/1136 — 1137 •

— أسباب الهجوم :

على قول التجاني[5] كان بين الامير الزيري الحسن والامير الحمادي يحيى « ما أوجب ان يبعث يحيى في هذه المدة لمحاصرته بالمهدية » • وذكر ابن أبي دينار ان يحيى بن العزيز قصد « أخذ المهدية لانه سمع بالامير الحسن انه صالح الملك رجار صاحب صقلية ووقعت بينهما الهدنة وكان ذلك لان الحسن أرسل اليه بهدية وصالحه مخافة من شره فتم الصلح وشرط اللعين عليه شروطا فقبلها فكاتب أهل المهدية يحيى بن العزيز الحمادي صاحب بجاية وأطمعوه بتسليم البلد » •

---

(1) ابن الاثير ، كامل ، ج8 ، ص 350 •
(2) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 335 •
(3) ابن أبي دينار ، مؤنس ، ص 93 •
(4) ابن عذارى ، بيان ، ج1 ، ص 449 •
(5) التجاني ، رحلة ، ص 339—340 •

وأما ابن الاثير فأخبرنا أن سبب غزو المهدية الثاني هو أن الامير الزيري الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز « أحب ميمون بن **زياد** أمير طائفة كبيرة من العرب ومال اليه وأكثر الانعام عليه فحسده غيره من العرب فساروا الى يحيى بن العزيز باولادهم وجعلوهم رهائن عنده وطلبوا منه أن يرسل عسكرا ليملكوا المهدية فأجابهم الى ذلك وهو متباطىء فاتفق أنه وصله كتب من بعض مشايخ المهدية بمثل ذلك فوثق الى ما أتاه وسير عسكرا كثيرا » •

— اسم القائد الحمادي :

فيما يخص القائد الحمادي الذي قام بالهجوم الثاني على المهدية اقترح علينا المؤرخون الاسماء التالية : مطرف[1]، علي بن حمدون[2]، مطرف بن علي بن حمدون[3] ، ومطرف بن حمدون[4] • وفي رأي الاستاذ ادريس[5] القائد الحمادي المعني بالامر هو مطرف ابن علي بن خزرون نفس القائد الذي قام بالهجوم على تونس حسب ابن عذارى • أما في ظننا الاسم الصحيح هو مطرف بن علي بن حمدون لان عائلة بني حمدون لعبت دورا هاما في الدولة الحمادية منذ عهد باديس بن المنصور • فرأينا فيما سبق أن علي بن حمدون هو الذي نصب على العرش العزيز بن المنصور الذي كان معزولا بجيجل كما ذكرنا ان العزيز بعث علي بن حمدون الى قلعة بني حماد بعد ما حاصرها العرب • اذن ليس عجيبا ان رأينا مطرفا ابن هذا القائد الشهير يقود الهجوم على المهدية •

(1) حسب ابن أبي دينار ، مؤنس ، ص 92 •
(2) حسب ابن عذارى ، بيان ، ج1 ، ص 449 •
(3) حسب ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 335 ، والتجاني ، رحلة ، ص 340 •
(4) حسب ابن الاثير ، كامل ، ج8 ، ص 350 •
(5) Idris, La Berberie Orientale sous les Zirides, t. I, p. 343.

ـ مراحل الهجوم :

حسب ابن الاثير[1] كان لمعركة المهدية ثلاث مراحل • في المرحلة الاولى نرى الزيريين يقاومون وحدهم الهجوم الحمادي وفي المرحلة الثانية نشاهد تدخل الاسطول الصقلي بينما نلاحظ في المرحلة الثالثة تدخل بني هلال افريقيـــة •

المرحلة الاولـى :

وصل الجيش الحمادي الذي كان يضم في صفوفه جمعا كبيرا من العرب الى المهدية وحاصرها برا وبحرا • فأظهر مطرف قائد يحيى ابن العزيز « التقشف والتورع عــن الدماء وقال انما أتيت الآن لاتسلم البلد بغير قتال • فخاب ظنه فبقي أياما لم يقاتل » • ثم أمر بالقتال • فتغلب عليه أهل المهدية وقتل عدد كبير من عساكره • فأمر بهجوم عام برا وبحرا • فقربت أساطيله من السور واشتد القتال •

أمام هذا الوضع الخطير ، أمر الامير الزيري الحسن بفتح باب المدينة « وخرج أول الناس وحمل هو ومن معه عليهم وقــال أنا الحسن • فلما سمع من يقاتله ذلك سلموا عليــه وانهزموا عنــه اجلالا له » • وبعد هذا الانتصار على الجيش الحمادي ، أخــرج الحسن أسطوله من المينا • فأخذ اربعة مراكب حمادية وهربت الاخرى •

المرحلة الثانيــة :

وصل الاسطول الصقلي وكان يشتمل على « عشرين قطعة • فحصرت شواني صاحب بجاية فأمرهم الحسن باطلاقها فاطلقوها » •

المرحلة الثالثــة :

« ثم وصل ميمون بن زياد في كثير من العرب لنصرة الحسن

---

(1) ابن الاثير ، كامل ، ج8 ص ، 350 •

فلما رأى ذلك مطرف وان النجدات تأتي الحسن في البر والبحر على انه لا طاقة له بهم فرحل عن المهدية خائبا » .

هذا ما جاء في « الكامل في التاريخ » عن مراحل معركة المهدية . هناك روايات أخرى أفادنا بها التجاني وابن خلدون وابن ابي دينار وابن عذارى . فلا يذكر المؤرخون الثلاثة الاولون الا تدخل ملك صقلية بينما المؤرخ الاخير لا يتحدث الا عـن تدخل بني هـلال افريقيـة .

أخبرنا التجاني بأن مطرفا نزل « بظاهر زويلة » وان الحسن هو الذي طلب مساعدة ملك صقلية . « فأمده باسطوله . فعلم مطرف بذلك . فارتحل عن المهدية مسرعا » . وأعلمنا ابن خلدون[1] بـأن الحسن ، عنـد الهجوم الحمادي « صالح صاحب صقلية واستمد اسطوله فأمده وارتحل مطرف الى بلده » . وقال ابن أبي دينار ان رجار ملك صقلية سمع بحصار الحماديين للمهدية و « بعث أسطولا عظيما لنصرة الحسن وأمر المقدم على الاسطول أن يقف عند أمر الحسن ونهيه فلما جاء أسطول اللعين وانتشر حول المهدية طاح ما بيد صاحب بجاية وأراد النصراني أن يعكس مراكب أهل بجاية فمنعه الحسن وأمره بالكف عن القتال لانه كره سفك دماء المسلمين وفرت مراكب بجاية بالخيبة ورحل الذين كانوا منازلي المهدية مـن البربر بعد اقامتهم عليها سبعين يوما » .

وأما ابن عذاري فقال ان مطرف نزل بظاهر زويلة وحاصر المهدية وأن الزيريين أخذوا مركبين من الاسطول الحمادي عوضا عن أربعة في رواية ابن الاثير . وذكر ان الحسن أمر بسجن قائديهما . « فأما الواحد فمات من سهم أصابه » والآخر قتل بين يديه . وأخبرنا أخيرا

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 331 .

بأن بني هلال افريقية وصلوا « لنصرة المهدية ، فرحل عنها عسكر بجاية » .

و) هجوم زيري على مركب حمادي :

جاء في « البيان المغرب في أخبار المغرب » ان في سنة 536/1141—1142 وصل الى الاسكندرية مركب حمادي بهديـة بعثها يحيى بن العزيز الى صاحب مصر . وكانت اذ ذاك العلاقات بين الامير الزيري الحسن والخليفة الفاطمي سيئة هذا ما دفع صاحب ديوان الاسكندرية الى منع مركب زيري كان بمبناه عن السفر بينما اذن بالاقلاع لسائر المراكب « في جملتها المركب الحمادي ببضائع عظيمة لها شأن وأثمان للتجار وهدية الى صاحب بجاية ، فعمل عليه الحسن وأخذه وأمر بتفريغه . وبقي المركب فارغا حتى جاءت صدمة اكتوبر فانكسر »[1] . فأخذ الزيريون خشب المركب الحمادي المنكسر وأنشأوا منه مركبا جديدا ولكن لسوء حظهم أخذه أمير البحر الصقلي جرجي في نفس السنة عندما هجم على مرسى المهدية واستولى على جميع ما كان فيه من المراكب .

ز) هجوم صقلي على جيجل وبرشك :

ذكر ابن الاثير[2] ان في سنة 537/1143 الاسطول الصقلي هجم على مدينة جيجل . فهرب أهل المدينة الى الارياف والجبال . « فدخلها الفرنج وسبوا من أدركوا فيها وهدموها وأحرقوا القصر الذي بناه يحيى بن العزيز بن حماد للنزهة » ثم ركبوا البحر وعادوا الى صقلية .

---

(1) ابن عذاري ، بيان ، ج1 ، ص 450—451 .
(2) ابن الاثير ، كامل ، ج9 ، ص10 .

وأضاف الى ذلك صاحب « الكامل في التاريخ »[1] ان في سنة 539/1145 ، هجم الاسطول الصقلي على مدينة برشك التي تقع بين تنس وشرشال • فقتل الفرنج « أهلها وسبوا حريمها وباعوه بصقلية على المسلمين » •

ح) استحداث السكة :

على قول ابن خلدون[2] قام يحيى بن العزيز باستحداث السكة « ولم يحدثها أحد من قومه أدبا مع خلفائهم العبيديين » • فعوض يحيى اسم صاحب مصر باسم الخليفة العباسي المقتفي • فوصف لنا صاحب « كتاب العبر » دينارا مضروبا باسم العباسيين يحمل تاريخ 543/1149 هذا ما يدل على أن في تلك السنة كان تم الاستحداث •

ط) مساعدة بني حماد للمرابطين :

قد رأينا أن ابن تومرت ، بعد ما غادر ملالة كان توجه نحو المغرب الاقصى • فوصل الى مراكش ، عاصمة المرابطين حيث اتصل بالامير علي بن يوسف الذي طرده • فلجأ ابن تومرت الى ايجلي حيث لقب بالمهدي بعد ما بايعه أصحابه الذين أخذوا اسم الموحدين لان المبدأ الاساسي لعقيدتهم كان التوحيد •

وبعد وفاة ابن تومرت خلفه عبد المؤمن على رأس الدولة الموحدية • فقام بغزو شمال المغرب الاقصى ثم ناحية ندرومة حتى وصل الى تلمسان • فحاصرها • فطلب المرابطون مساعدة يحيى بن العزيز • فأجابهم الامير الحمادي وسير جيشا الى تلمسان •

حول مساهمة بني حماد في معركة تلمسان لنا روايتان احداهما لابن خلدون والاخرى للبيذق •

---

(1) ابن الاثير ، كامل ، ج9 ، ص10 .
(2) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 363 .

على قول صاحب « كتاب العبر »[1] كان الجيش الحمادي تحت قيادة طاهر بن كباب . فأشرف قائد يحيى بن العزيز على معسكر الموحدين في يوم وصوله الى تلمسان وأظهر اقدام وبأس وسخر من المرابطين وأميرهم تاشفين بن علي « لقعودهم عن مناجزة الموحدين وقال انما جئتكم لامكنكم من صاحبكم عبد المؤمن هذا ، وارجع الى قومي ، فامتعض تاشفين لكلمته وأذن له في المناجزة ، فحمل على القوم فركبوا وصمموا للقائه ، فكان آخر العهد به وبعسكره » .

وأما البيذق[2] فقال : « جاءت الحملة من بجاية وقائدها ميمون بن المنتصر . فطلعوا الى قتالنا فهزمناهم من بين الصخرتين الى باب المدينة . فقتلنا منهم الذي وعد الله بقتله فأصبحوا هاربين ولحق القائد بن ميمون الى متيجة فبعث الى الخليفة رضي الله عنه بالتوحيد وقال له ان أنت استفتحت المغرب فتجيء الى المشرق تصيبه مفتوحا وأنا قائده » .

ي) وصول الامير الزيري الحسن الى المغرب الاوسط :

أخبرنا ابن الاثير[3] بأن الامير الزيري الحسن فر من المهدية بعد ما فتحها رجار ملك صقلية في سنة 543/1149 وتوجه نحو المعلقة مدينة الامير محرز بن زياد « فلقيه محرز لقاء جميلا وتوجع لما حل به . فأقام عنده شهورا والحسن كاره للاقامة ، فأراد المسير الى ديار مصر الى الخليفة الحافظ العلوي واشترى مركبا لمفره » . فسمع بذلك أمير البحر الصقلي جرجر . فجهز أسطولا ليمنع الحسن من ركوب البحر . فعزم الحسن « على المسير الى عبد المؤمن الخليفة الموحدي فأرسل كبار أولاده يحيى وتميما وعليا الى يحيى بن العزيز

---

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 476 .
(2) البيذق ، كتاب أخبار المهدي ، ص 97 .
(3) ابن الاثير ، كامل ، ج9 ، ص 19—29 .

وهو من بني حماد يستأذنه في الوصول اليه وتجديد العهد به والمسير من عنده الى عبد المؤمن » • فأذن له يحيى • فسار اليه • فلما وصل لم يجتمع به يحيى وسيره الى الجزائر هو وأولاده ومنعهم من المسير الى عبد المؤمن •

هذا ما جاء في « الكامل في التاريخ » حول وصول الامير الزيري الحسن الى المغرب الاوسط • فنجد في رحلة التجاني و « كتاب العبر » روايتين عن نفس الحدث تختلفان شيئا ما عن رواية ابن الاثير •

حسب الرحالة التونسي[1] كاره الحسن في الاقامة بالمعلقة « لما رآه في عيني محرز من السئامة » • فأراد المسير الى مصر لانه كان يخطب في بلاده باسم صاحبها • وأخبرنا التجاني أن وزير يحيى ميمون بن حمدون « تلقى بني الحسن أحسن تلق وكتب على لسان يحيى الى الحسن بالرجوع على ما جرى عليه والتحريض على الوصول » • وأضاف الى ذلك صاحب « الرحلة » ان يحيى ندب وزيره للقاء الحسن لما قرب هذا الاخير من بجاية • فامتنع ميمون ابن حمدون عن ذلك • اذ ذاك أمر يحيى « أخاه قائد بن العزيز بالخروج الى لقائه مع مشيخة البلد وان يعدلوا به عن بجاية الى الجزائر فيكون مقامه بها • ففعل أخوه ذلك وأنزله هو وأولاده بمدينة الجزائر في أمكنة لا تليق بهم وأجرى عليهم جرايات لا تكفيهم وأمر ميمون بمراعاة أحوال الحسن ومنعه من السفر والكتب الى الخليفة عبد المؤمن لما توقعه من استعانة عبد المؤمن به في أخذ بجاية » •

وأما ابن خلدون[2] فيذكر ان الحسن بعد ما أقام مدة عند محرز ابن زياد الفادغي صاحب المعلقة وفشل محاولته للسفر الى مصر

---

(1) التجاني ، رحلة ، ص 342—343 .
(2) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ص ، 332 .

« ارتحل الى المغرب ، وأجاز الى بونة ، وبها الحارث بن منصور وأخوه العزيز ، ثم توجه الى قسنطينة وبها سبع بن العزيز أخو يحيى صاحب بجاية فبعث اليه من اجازه الى الجزائر ونزل على ابن العزيز فاحسن نزله » .

2 — **الفتح الموحدي :**

قد رأينا أن الموحدين هزموا الجيش الذي كان بعثه يحيى بن العزيز الى تلمسان لمساعدة المرابطين . وبعد هذا الانتصار واصلت بعض الوحدات الموحدية حصار المدينة وتوجهت الاخرى الى وهران حيث تغلبت على المرابطين الذين فقدوا أميرهم تاشفين بن علي وذلك في سنة 1143/539 . وبعد وهران فتح عبد المؤمن تلمسان وفاس ومكناس ومراكش وقضى على الدولة المرابطية في المغرب في سنة 1146/540 .

وفي سنة 1153/547 عزم عبد المؤمن على فتح المغرب الاوسط وعلى قول ابن الاثير [1] جمع الخليفة الموحدي العساكر القريبة منه « وأما ما هو على طريقه الى بجاية من البلاد فكتب اليهم ليتجهزوا ويكونوا على الحركة أي وقت طلبهم » . وحضّر غزو المغرب في سر تام حتى كان الناس يظنون أنه يريد العبور الى الاندلس . وذكر البيذق[2] ان عبد المؤمن « قطع الاسفار من الطرق ومنع ألا يسافر أحد من سلا الى مكناسة ولا من مكناس و لامن فاس ولا من تلمسان الى فاس وشدد في ذلك وجعل أمناء على الطرق لئلا يسلكها أحد » . وأخبرنا صاحب « الحلل الموشية »[3] ان منادي عبد المؤمن نادوا : « أيها الناس من تكلم منكم بكلام معناه الى أين هذا السفر

---

(1) ابن الاثير ، كامل ، ج9 ، ص 20—21 .
(2) البيذق ، كتاب أخبار المهدي ، ص 113 .
(3) الحلل الموشية ، ص 123 .

فجزاؤه السيف » • وقال ابن الاثير[1] انه بعد قطع السابلة عن بلاد شرق المغرب بحرا وبرا سار الى سبتة في صفر سنة 547/ماي 1102 • وأخبرنا ابن أبي زرع[2] بأن عبد المؤمن تحرك الى المشرق في سنة 546 وانه استخلف على مراكش ابا حفص بن يحيى وسار « حتى وصل مدينةسلا • فأقام بها شهرين ثم تحرك منها قاصدا مدينة سبتة مظهرا أنه يريد الجواز الى الاندلس • فلما وصـل الى سبتة استدعى طلبة اشبيلية وقرطبة وفقهاء الاندلس وقوادها • فوصلوا اليه فاوصلهم بما أراد وودعهم • فلما وصل الى قصر عبد الكريم ميز جيوشه وفرق فيهم الاموال وأمرهم بتجديد الازواد » • ثم ترك مدينة فاس على يمينه وسار الى تلمسان • فأقام بها يوما وتوجه نحو الشرق لغزو المملكة الحمادية •

فكانت المراحل الرئيسية لهـذا الغزو : فتح مليانة والجزائر وبجاية وقلعة بني حماد وقسنطينة وثورة صنهاجة عـلى الموحدين ومعركة سطيف •

آ) **فتح مليانـة والجزائـر :**

حسب التجاني[3] بدأ عبد المؤمن غزو المغرب الاوسط الحمادي بفتح مليانة ثم توجه نحو الجزائر • وذكـر ابن خلدون[4] ان والي الجزائر ، القائد بن العزيز « فر من الجزائر وأسلمها » • فقدم أهل المدينة اذ ذاك الامير الزيري الحسن « على أنفسهم ولقي عبد المؤمن فأمنهم » • وأضاف الى ذلك صاحب « كتاب العبر »[5] أن الخليفة

---

(1) ابن الاثير ، كامل ، ج9 ، ص 21 •
(2) ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص 136 •
(3) التجاني ، رحلة ، ص 342 •
(4) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 363 •
(5) نفس المرجع ، ص 43—44 •

الموحدي وجد بالجزائر أميرين من بني هلال : أبو جليل بن شاكر أمير الاثبج وحباس بن مشيفر من رجالات جشم • فتلقاهما بالميرة وعقد لهما على قومهما • وقال التجاني[1] من جهته أن الحسن سار الى عبد المؤمن « وهو بمدينة متيجة فاقبل عبد المؤمن عليه وقربه اليه واستصحبه معه وجعل الحسن يغريه بأخذ بجاية حسدا لابن عمه ورغبة لخروج الملك من يده ليتساويا في ذلك » •

ب) فتح بجاية :

بعد فتح الجزائر توجه عبد المؤمن الى بجاية وعلى قول ابن ابي زرع[2] لم يشعر يحيى بن العزيز بقدوم الجيش الموحدي اليه « حتى وصل عامله على الجزائر الخارج عنها » • وذكر ابن خلدون في تاريخ الدولة الحمادية[3] ان الامير يحيى بن العزيز أخرج « أخاه سبع للقاء الموحدين فانهزم وملك الموحدون بجاية » • وأما في تاريخ الموحدين[4] قال ان الجيوش الصنهاجية اعترضته « بأم العلو فهزمهم وصبح بجاية من الغد فدخلها » • وحسب ابن الاثير[5] لما سمع الوزير ميمون بن حمدون بقدوم الجيش الموحدي جمع العسكر و « سار عن بجاية نحو عبد المؤمن فلقيتهم مقدمته وهي تزيد على عشرين ألف فارس • فانهزم أهل بجاية عن غير قتال ودخلت مقدمة عبد المؤمن بجاية قبل وصول عبد المؤمن بيومين وتفرق جميع عسكر يحيى بن العزيز وهربوا برا وبحرا » • ويذكر النويري[6] هو الآخر أن جيش ميمون بن حمدون انهزم بدون قتال •

وهكذا يظهر أن الوزير الحمادي كان متفقا مع عبد المؤمن وما

---

(1) التجاني ، رحلة ، ص 343 •
(2) ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، ص 136 •
(3) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 363 •
(4) نفس المرجع ، ص 490 •
(5) ابن الاثير ، كامل ، ج9 ، ص 21 •
(6) النويري ، نهاية الارب ، ج2 ص 204—206 .

يدفعنا الى تقديم هذا الافتراض هو ما جاء في ثلاثة نصوص • ان النص الاول للبيذق[1] وذكرناه لما تحدثنا عن مساهمة الجيش الحمادي في معركة تلمسان التي كانت وقعت بين الرابطين والموحدين • فوجدتا فيه أن وزير يحيى كان عند وصوله الى متيجة كتب الى عبد المؤمن وخضع له • والنص الثاني أفادنا به صاحب « الحلل الموشية »[2] الذي كتب : « قد كان بين الخليفة عبد المؤمن وبين ابن حمدون وزير صاحب بجاية كتب ومداخلة فلما سمع به فتح له باب بجاية » • وأما النص الثالث فهو رسالة بعثها الخليفة الموحدي الى أهل قسنطينة وفي هذه الرسالة مدح عبد المؤمن ميمون بن حمدون الذي توحد هو وعائلته • فبعثت هذه الرسالة[3] في 24 جمادى الاولى 547/27 اغسطس 1152 هذا ما يدل على أن بجاية فتحت في هذا التاريخ أو مدة قليلة قبله •

هذا فيما يخص فتح بجاية • أما فيما يتعلق بالامير الحمادي يحيى فأخبرنا ابن خلدون في تاريخ دولة بني حماد[4] انه ركب البحر « الى صقلية يروم الاجازة منها الى بغداد ثم عدل الى بونة فنزل على أخيه الحارث ونكر عليه سوء صنيعه واخراجه عن البلاد فارتحل عنه الى قسنطينة فنزل على أخيه الحسن • فتخلى له عن الامر » • وأما في تاريخ الموحدين[5] فذكر ان يحيى ركب « البحر في أسطولين كان أعدهما الذلك واحتمل فيها ذخائره وأمواله ولحق قسنطينة » • وحسب ابن الاثير[6] تحصن يحيى بقلعة قسطنطينية الهواء وهرب

(1) البيذق ، كتاب اخبار المهدي ، ص 97 .
(2) الحلل الموشية ، ص 123—124 .
(3) ليني بروفنسال ، سبع وثلاثون رسالة موحدية ، الرسالة 7 ، ص 17—22 .
(4) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 364 .
(5) نفس المرجع ، ص 490 .
(6) ابن الاثير ، كامل ، ج9 ، ص 21 .

أخواه الحارث وعبد الله الى صقلية . وقال التجاني[1] في هذا الصدد ان يحيى فر من بجاية في البحر « وكان مرامه التوجه الى برقة والنفوذ من ذلك الى بغداد لعلمه ان الخليفة العبيدي بمصر ينقض عليه الخلع الاول . فلما وصل الى بونة جعل الحارث يتأفف منه ويؤنبه على اهمال الملك . فخرج يحيى الى قسنطينة وبها اذ ذاك أخوه الحسن ابن العزيز فأكرمه الحسن وتخلى له عن الامر » .

ج) فتح قلعة بني حماد :

بعد فتح بجاية سار الجيش الموحدي الى قلعة بني حماد وعلى قول ابن الاثير[2] لما رأى أهلها الجيش الموحدي « هربوا منها في رؤوس الجبال وملكت القلعة وأخذ جميع ما فيها من مال وغيره » . وذكر ابن خلدون في تاريخ الدولة الحمادية[3] ان القلعة فتحت عنوة وانه أثناء المعركة الشديدة التي وقعت قتل جوشن بن العزيز أخو الامير الحمادي يحيى والدحاس قائد من قبيلة الاثبج » . وأخبرنا صاحب « كتاب العبر » في تاريخ الدولة الموحدية[4] ان جيش عبد المؤمن كان تحت قيادة ابنه عبد الله . ففتح القلعة وأضرم النار في مساكنها وقيل أن عدد القتلى بلغ ثمانية عشر ألفا من بينهم جوشن ابن العزيز وأن أيدي الموحدين امتلأت من الغنائم والسبي .

د) فتح مدينة قسنطينة ومبايعة الامير الحمادي يحيى بن العزيز لعبد المؤمن :

لنا روايات عديدة حول فتح قسنطينة وخضوع يحيى للسلطة الموحدية .

---

(1) التجاني ، رحلة ، ص 344 .
(2) ابن الاثير ، كامل ، ج9 ، ص 21 .
(3) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 364 .
(4) نفس المرجع ، ص 491 .

حسب ابن خلدون[1] « بايع يحيى عبد المؤمن سنة سبعة واربعين ونزل عن قسنطينة واشترط لنفسه فوفي له » ثم نقله الخليفة الموحدي الى مراكش . « فسكنها ثم انتقل الى مدينة سلا سنة ثمان وخمسين . فسكن قصر بني عشيرة الى أن هلك في سنته » . وأما الحارث بن العزيز صاحب بونة ففر الى صقلية « واستصرخ صاحبها فصارخه على أمرها ورجع الى بونة وملكها ثم غلب عليه الموحدون وقتلوه صبرا » . وقال التجاني[2] ان يحيى أقام بقسنطينة « أياما يعمل رأيه الى أن أناب الى الطاعة ودخل في أيالة الموحدين ووصل الى الخليفة فأكرمه وأنزله مع ابن عمه الحسن بن علي » . وأخبرنا صاحب « الحلل الموشية »[3] ان الموحدين حاصروا يحيى بقسنطينة « فنزل منها على أمان » ثم سار مع عبد المؤمن الى مراكش « فأعمره الديار وأقطعه الضياع وأقام هو وبنوه تحت اكرام وميرة الى أن انقرضوا » . وقال المراكشي[4] ان عبد المؤمن أرسل جيشا الى قسنطينة . فسلم يحيى بن العزيز المدينة للموحدين بعدما عاهده عبد المؤمن ان يؤمنه في نفسه وأهله . وأضاف الى ذلك صاحب « المعجب » أن يحيى وأعيان دولته ساروا الى مراكش مع الجيش الموحدي . فأمر لهم عبد المؤمن « بالمنازل المتسعة والمراكب النبيلة والكسى الفاخرة والاموال الوافرة وخص يحيى من ذلك بأجزله وأسناه وأحفله ونال يحيى هذا عنده رتبة وجاها ضخما وأظهر عبد المؤمن عناية لا مزيد عليها » .

وبجانب النصوص التاريخية التي ذكرناها لنا رسالتان موحديتان تحدثنا عن فتح قسنطينة . ان الرسالة الاولى[5] وجهها عبد المؤمن

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 364 .
(2) التجاني ، رحلة ، ص 344 .
(3) الحلل الموشية ، ص 124 .
(4) المراكشي ، المعجب ، ص 206 .
(5) ليفي بروفنسال ، سبع وثلاثون رسالة موحدية ، الرسالة 7 ، ص 17—22 .

الى أهل قسنطينة • فأشرنا اليها عندما تكلمنا عن فتح بجاية • فمدح فيها الوزير ميمون بن حمدون ثم طلب من أهل قسنطينة ان يسلموا مدينتهم ويخضعوا للسلطة الموحدية • فاوعدهم بالامان وبالغاء جميع الضرائب الغير قانونية من قبلات ومكوس ومغارم • واما الرسالة الثانية[1] فهي مؤرخة في 10 شعبان 10/547 نوفمبر 1152 وموجهة الى طلبة مدينة تلمسان • فذكر فيها عبد المؤمن ان الجيش الحمادي سار الى قسنطينة بعد فتح قلعة بني حماد وهزم العدو هزيمة شنيعة • فبعث يحيى وفدا مكونا من أحد أخوته وشيوخ صنهاجة وشيوخ قسنطينة وبعد المفاوضات فتحت قسنطينة ابوابها للجيش الموحدي •

هـ) ثورة صنهاجة :

حول ثورة صنهاجة على عبد المؤمن لنا روايتان مختلفتان احداهما لابن الاثير والاخرى للبيذق •

على قول صاحب « الكامل في التاريخ »[2] وقع هذا الحدث بين فتح بجاية وفتح قلعة بني حماد • وكان على رأس الثوار رجل اسمه ابو قصبة كان قد جمع عددا كبيرا من صنهاجة وكتامة ولواتة • فارسل اليهم عبد المؤمن جيشا كثيرا تحت قيادة ابي سعيد يخلف أحد أعضاء مجلس الخمسين الموحدي • فالتقى الجمعان « في عرض الجبل شرقي بجاية فانهزم ابو قصبة وقتل أكثر من معه ونهبت أموالهم وسبيت نساؤهم وذراريهم » • وأما البيذق[3] فوضع ثورة صنهاجة بعد فتح مدينة قسنطينة وذكر ان عبد المؤمن كان ببجاية عند ثورة ابي قصبة ولم يبق معه الا الخاصة وأهل الدار مع السوقة • فميزهم الخليفة وسار الى الثوار وقال : « أعطوني القنة بيدي وكان

---

(1) ليفي بروفنسال ، الرسالة 8 ،ص 22—26 •
(2) ابن الاثير ، كامل ، ج9 ، ص 21 •
(3) البيذق ، كتاب اخبار المهدي ، ص 115 •

لم يمسكها من عام البحيرة ثم قال خذوهم على نصر الله » • فانهزم ابو قصبة وقتل عدد كبير من أصحابه •

و) معـركة سطيف :

بعد فتح المغرب الاوسط الحمادي رجع عبد المؤمن الى المغرب الاقصى • فعند وصوله الى متيجة سمع بثورة بني هلال افريقية • فلم يواصل سيره وبعث جيشا لمساعدة العساكر الموحديين الذين كانوا بقوا بالمغرب الاوسط •

ما هي أسباب ثورة بني هلال على الموحدين ؟ ما هي تشكيلة الجيشين والمراحل الرئيسية للحرب التي شبت بين الجمعين ونتائجها ؟ تلك هي الاسئلة التي سنحاول أن نجيب عنها في السطور التالية :

1 — أسباب ثورة بني هـلال :

عندما رأى بنو هلال بأي سرعة فتح الجيش الموحدي المملكة الحمادية فهموا أن عساكر عبد المؤمن لم يلبثوا أن يغزوا افريقية ويطردوهم منها • لذلك اتحدوا ليواجهوا هذا الخطر الكبير وكتبوا الى أخوانهم في طرابلس والاسكندرية وعلى قول ابن الاثير[1] « تحالفوا على التعاون وان لا يخون بعضهم بعضا » وعزموا عـلى لقـاء عبد المؤمن •

هذا ما جاء في « الكامل في التاريخ » • أما في الرسالة التي كتبها ابو عبد الله محمد الكاتب المعروف بابن دفرير[2] نجد أن الامير الحمادي يحيى بن العزيز طلب من بني هـلال مساعدتهم في قتال الموحدين • فقال :

---

(1) ابن الاثير ، كامل ، ج9 ، ص 41 .
(2) انظر العمـاد الاصفهاني ، جريدة القصر وجريدة العصر ، القسم الرابع ، الجزء الاول ، ص 211 .

« كتابنا ونحن نحمد الله على ما ساء وسر رضا بالقسم ، وتسليما للقدر ، وتعويلا على جزائه الذي يجزي به من شكر ، ونصلي على النبي محمد خير البشر ، وعلى آله وصحبه ما لاح نجم بسحر ، وبعد : فانه لما أراد الله أن يقع ما وقع ، بفتح اثار من خان في دولتنا وضبع واستفز أهل موالاتنا الشيطان واغرى من اصطفيناه وانعمنا عليه الكفران • فاتوا من حيث لا يحذرون ورموا من حيث لا ينصرون ، فكنا في الاستعانة بهم والتعويل عليهم كمن يتشفى من داء بداء ويفر من صلّ خبيث الى حية صمّاء حتى بغت مكرهم واعجل عن التلاقي أمرهم وردّ وبال أمرهم اليهم ، فعند ذلك اعتزلنا محلة الفتنة ، وملنا الى مظنة الامنة ، وبعثنا في احياء هلال نستنجد منهم أهل النجدة ، ونستنفر من كنا نراه للمهم عدة ، وأنتم في هذا الامر أول من يليهم الخاطر ويثني عليهم الحاضر » •

2 — تشكيلة الجيشين :

كان الثوار يشتملون على بني هلال افريقية والاثبج وزغبة وعدي ورياح حسب ابن الاثير[1] ومن اثبج وزغبة ورياح وقرة حسب ابن خلدون[2] • واضاف الى ذلك صاحب « الكامل في التاريخ » ان رجار ملك صقلية « أرسل الى أمراء العرب وهم محرز بن زياد وجبارة ابن كامل وحسن بن ثعلب وعيسى بن حسن وغيرهم يحثهم على لقاء عبد المؤمن ويعرض عليهم أن يرسل اليهم خمسة آلاف فارس من الفرنج يقاتلون معهم على شرط أن يرسلوا اليه الرهائن فشكروه وقالوا له ما حاجة الى نجدته ولا يستعينون بغير المسلمين وساروا في عدد لا يحصى » • وأخبرنا صاحب « كتاب العبر » من جهته ان بني

---

(1) ابن الاثير ، كامل ، ج9 ، ص 41 •
(2) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 491 •

هلال تجمعوا بظاهر مدينة باجة وتعاهدوا على « الدفاع عن ملكهم يحيى بن العزيز » وساروا نحو مدينة سطيف •

هذا فيما يخص تشكيلة جيش بني هلال • أما الموحدون فكانوا في حالة خطيرة في أول الأمر لان عبد المؤمن كان غادر المغرب الاوسط متوجها نحو المغرب الاقصى مع أغلبية وحدات الجيش ولم يترك مع ابنه عبد الله الا عددا قليلا من العساكر •

3 — مراحل الحرب :

ذكر النويري[1] ان معركة سطيف وقعت يوم الخميس اول صفر 548/28 افريل 1153 • وقال ابن الاثير[2] ان عبد المؤمن ، لما سمع بثورة بني هلال ، جهز « من الموحدين ما يزيد على ثلاثين ألف فارس واستعمل عليهم عبد الله بن عمر الهنتاتي وسعد الله بن يحيى ولكن مع ذلك كان بنو هلال أكثر منهم • لذلك استجر الموحدون اعداءهم الى أن وصلوا الى أرض سطيف بين جبال » • فحمل عساكر عبد المؤمن على بني هلال « وهم على غير أهبة • التقى الجمعان واقتتلوا أشد قتال وأعظمه • فانجلت المعركة عن انهزام العرب ونصرة الموحدين وترك العرب جميع ما لهم من أهل ومال وأثاث ونعم فأخذ الموحدون جميع ذلك وعاد الجيش الى عبد المؤمن بجميعه فقسم جميع الاموال على عسكره وترك النساء والاولاد تحت الاحتياط ووكل بهم من الخدم الخصيان من يخدمهم ويقوم بحوائجهم وأمر بصياتته فلما وصلوا معه الى مراكش أنزلهم في المساكن الفسيحة وأجرى لهم النفقات الواسعة وأمر عبد المؤمن ابنه محمدا بان يكاتب أمراء العرب ويعلمهم ان نساءهم وأولادهم تحت الحفظ والصيانة وأنه قد بذل

---

(1) النويري ، نهاية الارب ، ج2 ، ص 205—206 .
(2) ابن الاثير ، كامل ، ج9 ، ص 41 •

لهم الامان والكرامة . فلما وصل كتاب محمد الى العرب سارعوا الى المسير الى مراكش فلما وصلوا اليها أعطاهم عبد المؤمن نساءهم وأولادهم وأحسن اليهم وأعطاهم أموالا جزيلة فاسترق قلوبهم بذلك وأقاموا عنده وكان بهم على ولاية ابنه محمد للعهد » .

وأخبرنا ابن خلدون من جهته[1] ان بني هلال كانوا تحت قيادة محرز بن زياد وانهم حاربوا ثلاثة أيام « علقوا فيها رواحلهم وأثبتوا في مستنقع الموت أقدامهم » وفي اليوم الرابع تغلب عليهم الموحدون « وغنموا أموالهم وأسروا رجالهم وسبوا نساءهم واتبعوا ادبارهم الى فحص تبسة » .

4 — نتائج معركة سطيف :

إن انتصار الموحدين بسطيف ركز سلطتهم على المغرب الاوسط واضعف بني هلال افريقية . فرجع الجيش الموحدي الى مراكش ومعه يحيى بن العزيز آخر أمير للدولة الحمادية . قد ذكرنا فيما سبق أن عبد المؤمن أنزله منازل فسيحة وأجزله أموالا كثيرة . فنضيف الى ذلك ثلاث حكايات تتعلق بالحياة التي عاشها يحيى بعد ما فقد عرشه : اثنتين للمراكشي والثالثة لصاحب « الحلل الموشية » .

روى المراكشي في قصته الاولى[2] ان يحيى بن العزيز كان يوما من الايام في مجلس عبد المؤمن . فتحدث الناس عن قلة الصرف . فقال يحيى : « أما أنا فعلي من هذا كلفة شديدة وعبيدي في كل يوم يشكون الي ما يلقون من ذلك ، ويذكرون أن أكثر حوائجهم تتعذر لقلة الصرف — وذلك ان عادتهم في بلاد المغرب أنهم يضربون انصاف الدراهم وارباعها وأثمانها والخراريب ، فيستريح الناس لهذا

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 44 .
(2) المراكشي ، المعجب ، ص 207 .

وتجري هذه الصروف في أيديهم فتتسع بياعاتهم — فلما قام يحيى ابن العزيز من ذلك المجلس ، اتبعه عبد المؤمن ثلاثة أكياس صروف كلها وقال لرسوله قل له لا يعتذر عليك مطلوب ما دمت بحضرتنا ان شاء الله عز وجل » .

وفي حكايته الثانية[1] أخبرنا المراكشي بأن يوما من الايام كان يحيى يمشي بين يدي عبد المؤمن راجلا بمدينة بجاية « وقد علاه الغبار ، فدمعت عيناه ، واستدعاه فقال لـه أتذكر يوما خرجـت الى بعض منتزهاتك . فاذكر اني جمعني واياك هذا الباب ، ووطئت دابتك عقبي ، فلما نظرت اليك أمرت بعض عبيدك فوكزني وكزة كدت أقع منها لفيّ فاستحيا يحيى وتغير لونه واطرق ، وجعل يقول : الله الله يا مولاي وظن أنه الشر ، فلما رأى ذلك منه قال له : انما ذكرت لك ذلك على طريق الاعتبار ، ولتذكر وتنظر كيف تقلب الايام بأهلها وأمر لـه بما زال به روعه » .

أما صاحب « الحلل الموشية »[2] فذكر ان يحيى بن العزيز عندما وصل الى المغرب الاقصى « اشغل نفسه بالصيد واستعمل شـباك الحديد لصيد الاسد وكان يهديها للخليفة عبد المؤمن فيثيبه عليها وأنه أصاب في بعض الايام شبلا صغيرا وأدخله على الخليفة في مجلسه فأمر بحله من عقاله فمشى الشبل بين الناس يخترق الصفوف حتى وصل الى بين يدي الخليفة فربض وسكن لا يتحرك من موضعه واتفق أن أهدى له زرزورا يتكلم بانواع الكلام فارتجل الكاتب ابو علي الاثير أبياتا في صفة الحال فقال :

أنس الشبل ابتهاج بالاسـد ورأى شـبه أبيـه فقصـد

(1) المراكشي ، المعجب ، ص 231—232 .
(2) الحلل الموشية ، ص 124 .

ودعــا الطائر بالنصر لكــم ففضـــى حقكــم لمــا وفــد
انطــق الخالــق مخلوقاتــه بالشهادات فكــل لــه شهد
انــك القائــم بالامــر لــه بعد ما طال على الناس الامد »

هذا ما نعرفه عن الحياة التي عاشها يحيى بن العزيز بعد ما فقد مملكته • فقضى أيامه الاخيرة بمدينة ســلا حيث توفي سنة 557/ 1161—1162 •

القسم الثاني

الحضارة الحمادية

الفصل الأول

الحياة السياسية والنظم

ا ــ الحياة السياسية :

حكم بنو حماد المغرب الاوسط من سنة 408/1018 الى سنة 547/1152 • وأثناء هذه الفترة تعاقب على العرش الحمادي تسعة أمراء : حماد مؤسس الدولة وثمانية أمراء آخرون ينقسمون الى ثلاثة فروع • الفرع الاول ينتسب الى القائد بن حماد ويشتمل على القائد وابنه محسن والفرع الثاني ينتسب الى محمد بن حماد ويمثله أمير واحد وهو بلقين بن محمد والفرع الثالث ينتسب الى علناس بن حماد ويحتوي على خمسة أمراء : الناصر بن علناس والمنصور بن الناصر وباديس بن المنصور والعزيز بن المنصور ويحيى بن العزيز •

كانت الحياة السياسية مضطربة جدا في العصر الحمادي وكان تنافس شديد بين أفراد العائلة الحمادية • قد رأينا أن الاميرين : محسن وبلقين قتلا وان الامير باديس مات مسموما • وذكرنا أيضا أن يوسف بن حماد وبلقين بن محمد ثارا على الامير محسن وان بلبار ابن علناس وابا يكني بن محسن وويقلان بن محسن ثاروا على المنصور •

وبجانب هذه الحروب الاهلية وقعت معارك كثيرة بين الحماديين والزيريين وزناتة وبني هلال والمرابطين والصقليين والايطاليين وتغيرت علاقات أصحاب المغرب الاوسط مع الفاطميين والعباسيين كما سنراه بعد دراسة تطور حدود المملكة الحمادية •

آ) تطور حدود المملكة الحمادية :

كانت المملكة الحمادية من تأسيسها الى وفاة محسن بن القائد تشتمل على المدن والمناطق التاليـــة : قلعة بني حماد والمسيلة وطبنة والزاب واشير وتاهرت ومرسى الدجاج وبلاد زواوة ومقرة ودكامة وبلزمة وسوق حمزة •

في عهد بلقين بن محمد خضعت مدينة فاس للسلطة الحمادية •

في أيام الناصر بن علناس توسعت المملكة الحمادية توسعا كبيرا حيث أننا نشاهد تأسيس مدينة بجاية وادخال عدد كبير من المدن والمناطـــق تحت الســلطة الحمادية وهي مليانـــة ونقاوس وقسنطينة والجزائر وبسكرة وصفاقس وقسطيلية وتونس والقيروان •

أما في عصر الامراء الذين خلفوا الناصر نشاهد ادخال مدينة بونة في المملكة الحمادية في عهد المنصور وخضوع أهل جربة في أيـــام العزيز •

ب) العلاقات الحمادية ـ الزيرية :

بعد تأسيس الدولة الحمادية تحسنت العلاقات بين حماد والمعز ابن باديس • فزوج هذا الاخير أخته أم العلو بعبد الله بن حماد •

في الفترة الاولى من عهد القائد ثار هذا الامير الحمادي عـــلى المعز • فانتصر عليه المعز وأمنه وأصبحت العلاقات الحمادية ــ الزيرية

حسنة • فبعث القائد جيشا لمساعدة المعز وقت الزحف الهلالي على افريقيـــة •

في أيام محسن وبلقين بن محمد لم يقع أي حدث بين الزيريين وبني حماد ولكن بعد صعود الناصر بن علناس عـــلى العرش بدأت الهجومات تتعاقب على افريقية • قد رأينا أن الناصر انهزم في هجومه الاول في ناحية سبيبة ولكن في غزوه الثاني فتح القيروان • ثم تصالح الامير الحمادي مع الامير الزيري تميم وتزوج بابنته بلاره •

لم يذكر المؤرخون أي حدث وقع بين الحماديين والزيريين في أيام المنصور وباديس ولكن استأنفت الهجومات على افريقية في عصر العزيز حيـــث أنـــه غزا جزيرة جربة ومدينة تونس التي كانت خلعت السلطة الحمادية بعد معركة سبيبة •

أما في عهد يحيى بن العزيز فقام الحماديون بثلاثة هجومات على افريقية : الهجوم الاول ضد المهدية والثاني ضد تونس والثالث ضد المهدية من جديد • ثم تصالح الحماديون والزيريون وبعد ســـقوط المهدية بين يدي رجار ملك صقيلية لجأ الامير الزيري الى المغرب الاوسط وسكن مدينة الجزائر •

ج) العلاقات الحماديـــة ـ الزناتية :

في بداية الدولة الحمادية كان صراع شديد بين بني حمـــاد وزناتة بصفة عامة وأمراء فاس بصفة خاصة • قد رأينا أن حمادا حارب زيري بن عطية وابنه المعز بينما القائد بن حماد قاتل حمامة ابن المعز بن زيري بن عطية •

في عهد بلقين بن محمد والناصر والمنصور نرى بني حماد يحاربون زناتة في بعض الاحيان ويتحالفون معهم في أحيان أخرى • نلاحظ

مثلا أن بلقين بن محمد يحارب زناتة المغرب الاوسط ثم يدخلهم في صفوف جيشه عندما يقاتل زناتة المغرب الاقصى • كذلك ، في عصر الناصر ، نرى بني حماد يتحالفون مع زناتة المغرب الاوسط عندما هجموا على افريقية ثم يحاربون الزناتي المنتصر بن خزرون الذي كان نزل بالمسيلة وقبيلتين زناتيتين : قبيلتي غمرت ومغراوة اللتين كانتا تغيران على ناحية الزاب وقبيلة بني توجين •

أما في عصر المنصور فوقع صراع شديد بين الحماديين وقبيلة بني ومانو • فكان لهذه القبيلة ، في أول الامر ، علاقات حسنة مع أمراء بجاية وكان الناصر والمنصور تزوجا باختي ماخوخ شيخ بني ومانو ولكن بعد فتح تلمسان من طرف المرابطين تحالف بنو ومانو معهم وهجموا على المملكة الحمادية وبعد حرب شديدة انتصر المنصور على أعدائه •

د) العلاقات الحمادية ـ الهلالية :

عند وصول بني هلال الى المغرب الاوسط لم يقع قتال شديد بينهم وبين الحماديين لان بلقين بن محمد صاحب القلعة ترك لهم الارياف وادخلهم في صفوف جيشه • وما ساعد بني حماد في سلوك هذه السياسة هو أن وقع صراع عنيف بين زناتة المغرب الاوسط وبني هلال • ولكن مع ذلك كانت العلاقات الحمادية ـ الهلالية معقدة • في بعض الاحيان نرى بني هلال في صفوف الجيش الحمادي مثلا أثناء غزو المغرب الاقصى الذي قاده بلقين بن محمد وهجوم الناصر بن علناس على افريقية ثم نراهم في أيام نفس الامير يتحالفون مع زناتة ويحاربون بني حماد •

وابتداء من عصر العزيز عظم أمر بني هلال في المغرب الاوسط • فهجموا على قلعة بني حماد في أيام العزيز وشاركوا بني حماد في

الحكم في المدن في عهد يحيى • هكذا لما فتح عبد المؤمن الجزائر وجد بها شيوخا من الاثبج ومن جشم كما وجد جيشه بقلعة بني حماد الجيش الحمادي تحت قيادة الامير جوشن بن العزيز وشيخ من قبيلة الاثبج •

اذن أصبح بنو هلال في أيام الامير الحمادي الاخير حلفاء بني حماد• لذلك ليس عجيبا ان رأينا يحيى بن العزيز يكاتبهم بعد فتح بجاية من قبل الموحدين ليطلب مساعدتهم •

هـ) العلاقات الحمادية ـ المرابطيـة :

كان بلقين بن محمد أول أمير حمادي حارب المرابطين واضطرهم على الفرار الى الصحراء بينما لم يقـع أي حدث بين بني حمـاد والمرابطين في أيام الناصر بن علناس • أما في عهد المنصور وقع صراع عنيف بين الحماديين وعساكر يوسف بن تاشفين ثم تصالح الجانبان بعد ما فتح المنصور مدينة تلمسان • فبقيت العلاقات الحمادية ـ المرابطية حسنة في أيام يحيى بن العزيز حيث نرى عساكر بجاية يحاربون الموحدين بجانب المرابطين بمدينة تلمسان •

و) العلاقات الحماديـة ـ الصقيلية :

في عهد يحيى بن العزيز حارب اسـطول رجار ملك صقيلية الاسطول الحمادي الذي كان يحاصر المهدية وهجم على مدينة جيجل •

ز) علاقات بني حماد مع بيزا وجنوى :

كان القراصنة الحماديون يغزون بيزا وجنوى بينما كان قراصنة هاتين المدينتين يهجمون على بجاية وبونة •

ح) علاقات بني حماد مع الفاطميين والعباسيين :

قد رأينا أن حمادا خلع سلطة الفاطميين وخضع للعباسيين بعد

ما ثار على باديس • وذكرنا أيضا أن علاقات القائد بن حماد مع الخليفة المصري والخليفة البغدادي كانت غير واضحة حيث أن المؤرخين اختلفوا في هذا الموضوع • فجاء في رواية ان القائد خضع للفاطميين بعد الزحف الهلالي وجاء في رواية أخرى أنه خضع للعباسيين الى أن توفي • وفي أيام بلقين لاحظنا أن ممثل الخليفة العباسي لجأ الى قلعة بني حماد بعد ما بايع المعز من جديد الخليفة الفاطمي هذا ما يدل على أن الحماديين كانوا خاضعين لخليفة بغداد في تللك الفترة • ثم لا نعرف شيئا عن العلاقات الفاطمية ـ الحمادية والعباسية ـ الحمادية في أيام الناصر والمنصور وباديس والعزيز • أما في عصر يحيى ابن العزيز لنا ثلاثة نصوص تشير الى علاقات بجاية مع القاهرة وبغداد • قال ابن عذارى أن يحيى بعث هدية للخليفة الفاطمي في سنة 536/1141ـ1142 • وذكر ابن خلدون ان الامير الحمادي استحدث السكة وضربها في اسم العباسيين • أما التجاني فأخبرنا بأن يحيى بن العزيز ، بعد فتح بجاية من طرف الموحدين ، أراد أن يسير الى بغداد لعلمه أن الخليفة العبيدي بمصر ينقض عليه الخلع الاول •

اعتمادا على هذه النصوص نستطيع أن نقول أن يحيى كان خضع للفاطميين في بداية عهده ثم خلعهم وخضع للعباسيين بعد سنة 536/1141ـ1142 وقبل سنة 543/1149 وهي السنة المذكورة في الدينار المضروب باسم الخليفة العباسي الذي وصفه ابن خلدون •

2 ـ النظم :

كان على رأس الدولة الحمادية أمير يخضع تارة للفاطميين وتارة للعباسيين • وكان هذا الامير ، في أول الامر ، يسيّر بنفسه أمور مملكته ثم عين وزيرا وأنشأ ادارة مركزية وسمى القضاة والولاة ونظم الجيش والاسطول •

آ) **الوزيـر :**

ان أول وزير حمادي ذكره المؤرخون هو وزير محسن بن القائد الذي قتل عندما اعتلى بلقين بن محمد على العرش ولكننا نجهل اسمه بينما نعرف أن وزير بلقين بن محمد كان يسمى خلف بن أبي حيدرة • فكان بدون شك وزير سيف حيث أننا نراه يقمع ثورة أهل بسكرة • فقتله الناصر عندما تولى الامر وعين مكانه أبا بكر بن أبي الفتوح • وكان هذا الاخير وزير قلم حيث انه كان مكلفا بالمراسلة مع الامير الزيري تميم • فقتله الناصر كما قتل باديس وزير أبيـه المنصور عبد الكريم بن سليمان •

لم يذكر المؤرخون وزيرا للامير العزيز ولكن يمكن ان القائد علي بن ميمون الذي نصبه على العرش كان يقوم مقام وزير اما وزير يحيى بن العزيز فكانت له سلطة كبيرة حيث أن الامير الحمادي كان يقضي أيامه في الصيد واللهـو •

ب) **الادارة المركزيـة :**

لا نعرف الا شيئا قليلا عن الادارة المركزية الحمادية • فكانت بدون شك تشتمل على ديوان الانشاء الذي كان على رأسه كاتب وديوان البريد •

ان أول كاتب عثرنا عليه أثناء بحوثنا هو كاتب الناصر بن علناس الذي قتل في معركة سبيبة • فلم يذكر المؤرخون اسمه ولكنه يمكن أن يكون أخا الناصر • وكان للعزيز كاتب اسمه عمر بن فلفول حدثنا عنـه ابن القطان[1] • فبقي ابن فلفول كاتبا في أيام يحيى بن العزيز كما ذكره العماد الاصفهاني عن ابن بشرون[2] الذي أفادنا باسماء كتاب

---

(1) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص 42 .

(2) العماد الاصفهاني ، نفس المرجع ، ص 209—217 .

آخرين كانوا في خدمة الامير الحمادي الاخير ألا وهم : أبو عبد الله محمد الكاتب الذي كاتب أمراء بني هلال باسم يحيى ليطلب منهم المساعدة بعد فتح بجاية من طرف الموحدين وابن ابي مليح الطبيب الذي كان في نفس الوقت كاتبا وشاعرا وطبيبا وابو القاسم عبد الرحمن .

بجانب ديوان الانشاء كان للحماديين ، بدون شك ، ديوان البريد ويمكن أنهم استعملوا حمام الزاجل مثل الزيريين والاشارات بالمرايا والدليل على ذلك هو أننا كنا نجد ببجاية برجا اسمه شوف الرياض في أعلاه آلة بالمرايا تستعمل للمراسلة مع بروج مماثلة مبنية في المدن الرئيسية الاخرى .

ج) القضاة :

قد رأينا أن حمادا كان يحكم بنفسه في قضايا رعيته ونجهل متى عين أول قاضي حمادي كما نجهل أسماء القضاة الذين عينوا من طرف الامراء الحماديين الذين سبقوا العزيز . أما في أيام هذا الامير الاخير فنعرف بفضل البيذق[1] اسم قاضيين حماديين : قاسم بن عبد الرحمن قاضي قسنطينة وعبد الرحمن بن الحاج الصنهاجي قاضي بجاية . وبجانب ذلك يخبرنا البيذق بأمرين يتعلقان بالقضاء : الامر الاول هو أن مناديا كان ينادي بالحدود التي كانت تطبق على المجرمين والامر الثاني هو أن قاضي قسنطينة لم يكن يطبق الحدود الشرعية حيث أنه كان يقضي على القاتل وعلى السارق بالسوط عوضا عن انه يقضي على الاول بالاعدام وعلى الثاني بقطع اليد .

د) الولاة :

كان الولاة ، في أغلب الاحيان ، من عائلة الامير . وكان عددهم

(1) البيذق ، كتاب اخبار المهدي ، ص 51 .

يتغير من أمير الى آخر • فنعرف اسم واليين من عهد القائد بن حماد وهما أخواه يوسف والي المغرب وويقلان والي سوق حمزة • وفي أيام محسن أفادنا المؤرخون باسم وال ثالث وهو بلقين بن محمد والي افريون أو اكربون ولكنهم لم يذكروا لنا اسماء ولاة بلقين • أما في عصر الناصر بن علناس فكان المغرب الاوسط ينقسم الى ست ولايات : مليانة وحمزة ونقاوس وقسنطينة واشير واخيرا الجزائر ومرسى الدجاج اللتان كانتا تكونان ولاية واحدة • فكانت الولايات الاربع الاولى تحت قيادة كباب ورمان وخزر وبلبار أخوة الناصر والولايتين الاخيرتين تحت أمر ابني الامير : عبد الله ويوسف • وبجانب هذه الولايات هناك مناطق أخرى كانت تابعة للمملكة الحمادية وهي : قسطيلية أي ناحية توزر التي كانت تحت أمر الصنهاجي يوسف بن خلوف وتونس التي كان واليها عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان وبسكرة التي كان على رأسها بنو رمان ثم بنو سندي وصفاقس التي كانت تحت أمر حمو بن مليل • وذكرنا أن بعد معركة سبيبة خرجت تونس من طاعة الناصر وان في سنة 460/1067—1068 خضع القائد بن ميمون صاحب القيروان للناصر كما لاحظنا أن في أواخر عهد هذا الامير عين واليا على ورقلة نجهل اسمه • وفي أيام المنصور ، بعد ثورة بلبار والي قسنطينة وتعيين أبي يكني مكانه أصبحت بونة خاضعة لبني حماد وتحت أمر ويقلان أخي ابي يكني • اننا نجهل متى ادخلت بونة في المملكة الحمادية وانما نعرف ان قراصنة بيزا فتحوها في سنة 426/1034 وملكوها موقتا وأن الامير الهلالي ابو مسعود فتحها حوالي سنة 450/1058—1059[1] وفي عهد باديس كان لبجاية وال اسمه سهام نكبه الامير الحمادي عندما غادر قلعة بني حماد ورحل الى بجاية وكان على رأس ولاية

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 34 •

الجزائر العزيز بن المنصور الذي عزل بأمر من باديس • أما في عصر العزيز فأخبرنا البيذق بأن قسنطينة كانت تحت أمر ابنه سبع • فبقي سبع بقسنطينة في أيام يحيى بن العزيز وذلك الى وصول الامير الزيري الحسن الى المغرب الاوسط. ثم في أواخر عهد يحيى نجده ببجاية بينما كان أخوته الحسن والقائد وجوشن والحارث على رأس قسنطينة والجزائر وقلعة بني حماد وبونة ونلاحظ أيضا أن في عصر يحيى أصبحت تونس تحت قيادة ولاة من العائلة الحمادية الا وهم : كرامة ابن المنصور ثم ابو الفتوح بن كرامة ومحمد بن ابي الفتوح ومعد ابن المنصور •

هـ) الجيش :

1 ــ قادة الجيش :

كانت وحدات الجيش الحمادي تحت قيادة الامير نفسه أو أحد أفراد عائلته أو قادة معينين من قبله •

في بداية الدولة الحمادية كان الجيش تحت أمر حماد الذي كان يستعين بأخيه ابراهيم وبقائد اسمه عباد صادق[1] •

قاد القائد الجيش الذي حارب زناتة وبعث ألف جندي للامير الزيري المعز وقت الزحف الهلالي بدون أن نعرف اسم القائد الذي كان على رأسهم •

كان بلقين بن محمد في الجيش الذي قاتل زناتة والمرابطين وبعث جيشا يقمع ثورة أهل بسكرة بدون أن نعرف اسم القائد الذي كان يقوده •

قاد الناصر الجيش الذي أخرج علي بن رقان من قلعة بني حماد

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 311 •

والجيشين اللذين هجما على افريقية وكلف وزيره خلف بن ابي حيدرة بخمد ثورة أهل بسكرة وابنه المنصور بن الناصر بقتال : ناتة الذين كانوا تحالفوا مع بني هلال •

وكان الامير المنصور على رأس الجيش الذي حارب المرابطين وبني ومانو وكلف ابا يكني بقمع ثورة بلبار بقسنطينة ولكننا نجهل اسم القائد الذي قام باخماد ثورة ابي يكني وأخيه وقلان •

ويبدو ان العزيز بن المنصور لم يقد الجيش الذي هجم على افريقية • قد رأينا أنه شارك في معركة ضد بني هلال صحبة بروكسن وأنه أظهر الجبانة • فيمكن أنه لم يشارك في أي قتال بعد هذه التجربة الفاشلة حيث أننا نرى الجيش الذي يحارب بني هلال بقلعة بني حماد تحت قيادة ابنه يحيى والقائد علي بن حمدون والجيش الذي يقاتل بروكسن بقلعة زرعة تحت أمر غيلاس •

أما يحيى بن العزيز فيبدو أنه لم يشارك في أي معركة بعد ما تولى الامر وسلم الجيش لقادته •

هكذا نرى أن الجيش الذي حارب الموحدين بتلمسان كان تحت أمر طاهر بن كباب حسب ابن خلدون أو ميمون بن حمدون على قول البيذق وأن الجيش الذي هجم على المهدية للمرة الاولى كان تحت قيادة ابن المهلب وأن الجيش الذي غزا تونس كان تحت أمر مطرف ابن خزرون حسب ابن عذاري أو مطرف بن حمدون كما جاء في « كتاب العبر » وان الجيش الذي حاصر المهدية للمرة الثانية كان تحت قيادة مطرف حسب ابن ابي دينار أو علي بن حمدون على قول ابن عذارى أو مطرف بن علي بن حمدون كما جاء في « كتاب العبر » أو مطرف بن علي بن خزرون كما ذكره الاستاذ ادريس • ورأينا أيضا أن الجيش الذي حارب الموحدين ببجاية كان تحت أمر ميمون

ابن حمدون على قول ابن الاثير أو سبع بن العزيز حسب ابن خلدون وأن الجيش الذي قاتل الموحدين بقلعة بني حماد كان تحت قيادة جوشن بن العزيز والدحاس شيخ من قبيلة الاثبج •

2 — تشكيلة الجيش :

في بداية الدولة الحمادية كان الجيش يشتمل على عساكر من قبائل صنهاجية وعبيد يكونون حرس الامير ثم ابتداء من عصر بلقين بن محمد ادخل الامراء الحماديون وحدات زناتية وهلالية في صفوف جيوشهم •

وكان عدد العساكر الذين يشاركون في القتال يتراوح بين عشرين ألفا وثلاثين ألفا • فنعرف مثلا أن حمادا كان على رأس ثلاثين ألف جندي عندما ثار على باديس وان الناصر فقد أربعة وعشرين ألف عسكري في معركة سبيبة وان المنصور هجم على بني ومانو في عشرين ألف جندي •

3 — الاســلحة :

ان بني حماد استعملوا السيف والرمح والترس • فنعرف مثلا ان حمادا ترك على ساحة القتال عشرة آلاف ترس بعـد معركة وادي شلف • وأثناء الغزو كان العساكر يعيشون تحت الخيم • وكان لحماد خيمة كبيرة اسمها « فازة السلام »[1] يستقبل فيها ضباطه •

4 — عادة من عوائـد الجيش :

على قول ابن حماد[2] كان القائد الحمادي « يخرج عن البلد

---

(1) Idris, La Berbérie Orientale sous les Zirides, t. I, p. 155.

(2) ابن حماد ، اخبار ملوك بني عبيد ، ص 50—51 .

فيمشي مسافة معلومة الى موضع معلوم فيقف برهة ثم يرجع الى باب السلطان فيقف الى أن يؤذن له في الانصراف » • فكانوا يسمون هذه العادة « تسايست اي استايست » • ولاحظ صاحب « أخبار ملوك بني عبيد » ان هذه العادة ورثها بنو حماد من الفاطميين الذين كانوا يخرجون في كل يوم يلتمسون رجـوع المهدي ومعهم فرس مسروج ملجم ويسمون هذا الفرس فرس النوبة •

و) الاسـطول :

كان للاسطول الحمادي نشاط كبير بعد تأسيس مدينة بجاية لان هذا الميناء كان مأمونا وواقعا في ناحية غنية بالغابات والحديد هذا ما سمح لاهلها بانشاء عدد كبير من المراكب التجارية والحربية • وبعد ادخال بونة في المملكة الحمادية في عهد المنصور بن الناصر أصبح بنو حماد يملكون دارين لصناعة المراكب وبدأ الاسطول الحمادي يلعب دورا في الحروب التي شنت بين المغرب الاوسط وافريقية في عهـد العزيز بن المنصور حيث فتح جزيرة جربة • أما في ايام يحيى بن العزيز فشارك الاسطول في حصار المهدية وقام بغزو بيزا وجنوى •

الفصل الثاني

الحيـــاة الإقتصـــادية

أجمع المؤرخون والجغرافيون على أن المغرب الاوســط كــان مزدهرا في عهد بني حماد ســواء كان في ميدان الفلاحــة أو تربية الحيوانات أو الصيد أو الغابات أو الصناعة أو التجارة .

ا ـ الفلاحـــة :

نجد في المملكة الحماديــة الحبوب والبقول والكروم والزيتون والفواكه والنباتات النسيجية والطبية ونباتات أخرى مختلفة .

آ) الحبــوب :

كان الحماديون يهتمون خصوصا بفلاحة القمح والشعير اللذين كانا موجودين في المغرب الاوسط كله وبالاخص في نواحي قسنطينة وقلعة بني حماد وباغاية وطبنة وبونة وجيجل وسطيف وبجاية والجزائر ومتيجة وشرشال وبرشك وبنطيوس .

فذكر الادريسي[1] انــه بمدينة قسنطينة الحنطــة تقيم « في

(1) الادريسي ، وصف افريقية الشمالية ، ص 67—68 .

مطاميرها مائة سنة لا تفسد » وانه في كل دار منها مطمورتان وثلاث وأربع منقورة في الحجر ولذلك تبقى بها الحنطة لبرودتها واعتدال هوائها .

وكانت الحبوب وافرة أيضا بناحية قلعة بني حماد حيث قال الادريسي[1] انها بلاد زرع وخصب « وفلاحتها اذا كثرت آغنت واذا قلت كفت . فأهلها أبد الدهر شباع » . وأضاف الى ذلك أن الحنطة « تختزن بها فتبقى العام والعامين لا يدخلها الفساد ولا يعتريها تغيير » . وما يؤكد كلام الادريسي هو أن الاستاذ لوسيان قولفين[2] عثر أثناء حفرياته بقلعة بني حماد على مطامير كثيرة محفورة في صحن دار قريبة من قصر السلام (شكل 4) .

وعلى قول الادريسي كان لاهل شرشال « زراعة الحنطة والشعير ما يزيد على الحاجة »[3] ولاهل تنس كثير من الحبوب الى أن « تخرج منها الى كل الآفاق في المراكب »[4].

ولاحظ ان بمدينة بنطيوس « اذا كمل الرجل فيها زريعته عرف مبلغ اصابته من الطعام لا يخطىء »[5] وان بمدينة باديس كانوا يزرعون « الشعير مرتين في العام على مياه سائحة كثيرة عندهم »[6].

ب) الكروم :

كانت الكروم موجودة بالغدير ونقاوس وطولقة والقل وجيجل

(1) الادريسي ، وصف افريقية الشمالية ، ص 64 .
(2) Lucien Golvin, Recherches Archéologiques à la Qal'a des Banu Hammad, fig. 21, p. 81.
(3) الادريسي ، وصف افريقية والمغرب ، ص 61 .
(4) نفس المرجع ، ص 57 .
(5) البكري ، كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص92 .
(6) نفس المرجع .

والخضراء (عين دفلة الحالية) وقرية بني وازلفن وشرشال • وذكر صاحب « كتاب الاستبصار » ان عنب جيجل كان يحمل الى بجاية[1] •

ج) الزيتون :

في عهد بني حماد نجد الزيتون ببسكرة وطولقة وبنطيوس •

د) البقول :

أخبرنا الجغرافيون أن البقول كانت موجودة حول المدن ولكنهم في أغلب الاحيان ، لم يذكروا أسماء الانواع المزروعة • ولم نعثر أثناء أبحاثنا الا على نوع واحد ألا وهو البصل الذي كان يزرع بقرية بني وازلفن قرب مدينة تنس •

هـ) الفواكه :

كان المغرب الاوسط غنيا بالفواكه في عهد بني حماد كما نراه عند مطالعة كتب الرحالة • وفي بعض الاحيان اقتصر الجغرافيون على ذكر وجود الفواكه بدون أن يفيدونا باسماء الانواع المزروعة • أما في أحيان أخرى أخبرونا باسماء أنواع الفواكه وهي : التمور والتين والسفرجل والجوز واللوز والتفاح •

1 — التمور :

كانت التمور موجودة ببسكرة وطولقة وطبنة ونقاوس والمسيلة • فكانت بسكرة مشهورة بتمورها حتى عرفت ببسكرة النخيل كما جاء في قصيدة لاحمد بن محمد المرودي :

ثم أتى بسكرة النخيل
قد اغتدى في زيه الجميل[2]

---

(1) كتاب الاستبصار ، ص 18 .
(2) البكري ، كتاب المغرب ، ص 52 .

وكانت تمور بسكرة من أجناس مختلفة منها « جنس يعرفونه بالكسبا وهو الصيحاني يضرب به المثل لفضله علـى غيره وجنس يعرف بالليلري أبيض أملس كان عبيد الله الشيعي يأمر عماله بالمنع من بيعه والتحظير عليه وبعث ما هنالك منه اليه وأجناس كثيرة يطول ذكرها لا يعدل بها غيرها »[1] •

2 — **التـين :**

كان التين موجودا بنواحي بجاية وشرشال ومرسى الدجـاج وتاجنة على مرحلة من مدينة تنس • فذكـر الادريسي ان بتاجنة « شجر التين كثير جدا ويعمل بها من التين شرائح على مثال الطوب وبذلك تسمى وتحمل منها الى كثير من الاقطار »[2] وان تين مرسى الدجاج « يحمل منها شرائح طوبا ومنثورا الى سائر الاقطار وأقاصي المدائن والامصار »[3] •

3 — **السـفرجل :**

كان السفرجل يوجد بتنس وشرشال وتاهرت والخضراء (عين الدفلة الحالية) • فقال الادريسي ان بمدينة الخضراء « من السفرجل كل بديع »[4] وانه بتنس « من السفرجل الطيب المعنـق ما يفـوق الوصف في صفته وكبره وحسنه »[5] وان بشرشال « سفرجل كبير ذو أعناق القرع الصغار وهو من الطرائف غريب في ذاته »[6] وذكر البكري ان سفرجل تاهرت « يفوق سفرجل الآفاق حسنا وطعاما ومشما » ويسمى بالفارس •

---

(1) البكري ، كتاب المغرب ، ص 52 •
(2) الادريسي ، وصف افريقية والمغرب ، ص 56—57 •
(3) نفس المرجع ، ص 62 •
(4) نفس المرجع ، ص 58 •
(5) نفس المرجع ، ص 57 •
(6) نفس المرجع ، ص 61 •

4 — **الجـــوز :**

كان الجوز موجودا ببجاية وجيجل وتنس وسطيف ونقاوس . وكان جوز هذه المدينة الاخيرة مشهورا جـدا وعلى قول صاحب « كتاب الاستبصار » « يحمل الى قلعة بني حماد والى أكثر تلك البلاد »[1] . وذكر الادريسي من جهته أن من مدينة سطيف « يحمل الجوز لكثرته بها الى سائر الاقطار وهــو بالغ الطيب حسن ويباع بها رخيصا »[2].

5 — **اللوز والتفـاح :**

كان اللوز موجودا بنقاوس والتفاح بجيجل .

و) **النباتات النسيجية :**

في عهد بني حماد نجد النباتات النسيجية التالية : القطن بالمسيلة وطبنة ونقاوس والكتان ببونة وطبنة ومقرة ومتيجة والشهدانج بقرية بني وازلفن قرب تنس . وكان كتان متيجة يصدر .

ز) **النباتات الطبية :**

من النباتات الطبية التي كانت تنبت في المملكة الحمادية نذكر : عاقر قرحا وهو الكافورية أو حشيشة الحمى وتوجد بناحية سوق حمزة[3] ونباتات تنبت بجبل امسيون ببجاية ذكرها الادريسي[4] وهي : القنطــورين الكبـير والافســتين والحضض والســقولوفندوريون والزراوند والبرباريس والفسطون وأخيرا نباتا ينبت بناحية قلعة بني حماد يشـربه أهلها ليتحصنوا مــن ضرر العقارب وعــلى قــول

---

(1) كتاب الاستبصار ، ص 60 .
(2) الادريسي ، وصف افريقية والمغرب ، ص 70 .
(3) البكري ، كتاب المغرب ، ص 64 .
(4) الادريسي ، وصف افريقية والمغرب ، ص 63 .

الادريسي[1] يسمى هــذا النبات الفوليون الحراني و « ينفع شرب درهمين منه العام الكامل فلا يصيب شيء من ألم تلك العقارب وهذا عندهم مشهور وقد أخبر بذلك من يوثق به في وقتنا هذا وحكى عن هذه الحشيشة أنه شربها وقد لسبته العقرب فسكن الوجع مسرعا ثم انه لسبته العقارب في سائر العام ثلاث مرات فما وجد لذلك اللسب ألمـا » .

ح) نباتات مختلفة :

نذكر منها الزعفران الموجود بمجانة والنيل المزروع بالغديــر والحناء والكمون الموجودين بقرية بني وازلفن قرب تنس .

2 ــ الغابــات :

كانت الغابات موجودة خصوصا في ناحيتي بونة وبجاية حيث ينبت شجر الصنوبر الذي يستخرجون منه الزفت والقطران . وبجانب غابات بونة وبجاية ذكر البكري غابات بجبال الرحمن قرب مدينة القل حيث توجد أشجار خشبها قابل للخرط وبالاخص بمكان يسمى مرسى الخراطين[2] كما ذكر غابات بمدينة زانة على مرحلة من بونة من جهة الشــرق حيث كان يوجد شــجر الزان الذي كان يجلب الى افريقيــة[3] .

3 ــ تربيــة الحيوانات :

كان الفلاحون ، في عهد بني حماد ، يربون البقر والغنم والخيل والبغال والابل والنحل .

نجد البقــر بجيجل والجزائر وبونة والمســيلة وطبنة وتاهرت وتدلس والغنم بالجزائر والمسيلة وطبنة وتاهرت والخيل بالمسيلة وطبنة

---

(1) الادريسي ، وصف افريقيا والمغرب ، ص 59 .
(2) البكري ، كتاب المغرب ، ص 83 .
(3) نفس المرجع ، ص 54 .

وتاهرت والبراذين وهي جنس من الخيل بتاهرت والابل في الجنوب والنحل ببونة وجيجل والجزائر وتاهرت وقسنطينة وشرشال .

فكان بقر وغنم جيجل وتدلس يصدر . وذكــر الادريسي أن بالجزائر العسل والسمن كثيران « وربما يتجهز بهما الى سائر البلاد والاقطار المجاورة لهم والمتباعدة عنهم »[1] وان بقسنطينة العســل « كثير وكذلك السمن يتجهز به منها الى سائر البلاد »[2] . وان بتاهرت « من انتاج البراذين والخيل كل حسن واما البقر والغنم فكثيرة بها جدا وكذلك العسل والسمن »[3] .

4 ـــ الصيـــد :

آ) صيادة السمك :

كانت صيادة السمك موجودة على الساحل الحمادي كله . اننا نجهل أسماء أجناس السمك التي كانت تصطاد ولكن نعرف ، وذلك بفضل الادريسي ، ان « حوت جيجل كثـير العـــدد متناهي الطيب والقدر »[4] وانه بمدينة المسيلة كان « سمك صغير فيه طرق حمر حسنة لم ير على وجه الارض المعمورة سمك على صفته وأهل المسيلة يفتخرون به ويكون مقدر هذا السمك من شبر الى ما دونه وربما اصطيد منه الشيء الكثير فاحتمل الى قلعة بني حماد »[5] .

ب) صيادة المرجـان :

ذكر الادريسي ان المرجان يوجد كثيرا بمرسى الخرز « وهو أجمل جميع المرجان الموجود بسائر الاقطار مثل ما يوجد منه بمدينة

---

(1) الادريسي ، وصف افريقية والمغرب ، ص 62 .
(2) نفس المرجع ، ص 67 .
(3) نفس المرجع ، ص 60 .
(4) نفس المرجع ، ص 69 .
(5) نفس المرجع ، ص 59 .

سبتة وصقلية .. ويقصد التجار من سائر البلاد الى هـذه المدينة فيخرجون منه الكثير الى جميع الجهات . ومعدن هذا الجوهر في هذه المدينة مخدوم في كل سنة ويعمل به في كل الاوقات الخمسون قاربا والزائد والناقص وفي كل قارب العشرون رجلا وما زاد ونقص .. وكان يصاد بآلات ذوات ذوائب كثيرة تصنع من القنب تدار هـذه الآلة في أعلى المراكب فتلتف الخيوط على ما قاربها من نبات المرجان فيجذبه الرجال الى أنفسهم ويستخرجون منه الشيء الكثير مما يباع بالاموال الطائلة »[1] .

5 ـ الصناعـة :

آ) المعـادن :

كان المغرب الاوسط غنيا بالمعادن في عهد بني حماد . فنجـد الحديد بمجانة وبونـة وبجاية والفضة والرصاص والاثمد بمجانة والنحاس واللزورد بجيجل والجص بمتوسة على حوالي 12 ميلا من بجاية .

وبجانب هذه المعادن نذكر الملح . فقال البكري وهو يحدثنا عنه أنه كان يوجد قرب بسكرة « جبل ملح يقطع فيه الملح كالصخر الجليل ومنه كان عبيد الله الشيعي وبنوه يستعملون في أطعمتهم » .

ب) صناعة السفن :

كانت صناعة السفن موجودة ببجاية وبونة ومرسى الخرز . فقال الادريسي[3] انه كان ببجاية « دار صناعة لانشـاء الاساطيل والمراكب والسفن والحرابي » وذكر صاحب « كتاب الاستبصار »

(1) الادريسي ، وصف افريقية والمغرب ، ص 85 .
(2) البكري ، كتاب المغرب ، ص 52 .
(3) الادريسي ، وصف آفريقية والمغرب ، ص 63 .

انه كان ببجاية « داران لصناعة المراكب وانشاء السفن »[1] ولاحظ البكري انه بمرسى الخرز « تنشأ السفن والمراكب والحربية التي تغري بها الى بلاد الروم »[2] .

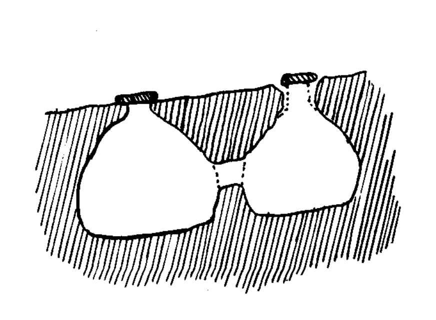
ج) صناعة النسيج :

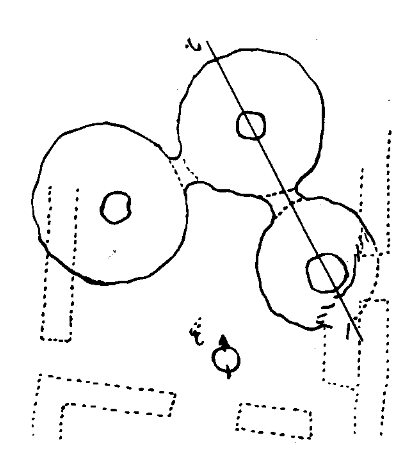
ذكر صاحب « كتاب الاستبصار » ان أهل بجاية كانوا متخصصين في صناعة العمائم . فقال : « كانت لملوك صنهاجة عمائم مذهبة تساوي العمامة الخمسمائة دينار والستمائة دينار وكانوا يعممونها باتقن صنعة فتأتي كأنها تيجان . ببلادهم صناع لذلك فأخذ الصائغ على تعميم عمامة منها دينارين وأزيد وكانت لهم قوالب من عود في حوانيتهم يسمونها الرؤوس تعمم عليها تلك العمائم » .

وبدون شك كانت العمائم الحمادية تشابه عمائم الفاطميين التي وصفها المقريزي[3] . ولحسن حظنا حفظنا صورا للعمائم الفاطمية مرسومة على قطع من الخزف أو منقوشة في ألواح خشبية معروضة في المتحف الاسلامي بالقاهرة نستطيع بها أن نتخيل العمائم الحمادية (شكل 5) .

وبجانب العمائم هناك ملابس غريبة أخرى كانت تصنع ببجاية ذكرها البيذق وهو يحدثنا عن اقامة ابن تومرت بالعاصمة الحمادية . فقال : ان المهدي « كان ينهي الناس عن الاقراق الزرارية ولباس الفتوحيات للرجال ويقول : لا تتزينوا بزي النساء لانه حرام »[4] . ومنها أيضا شواشي الخز التي تحدث عنها ابن القطان . فقال ان ابن تومرت عند وصوله الى بجاية « لقي الصبيان في زي النساء

(1) كتاب الاستبصار ، ص 20 .
(2) البكري ، كتاب المغرب ، ص 55، .
(3) المقريزي ، خطط ، ج1 ، ص
(4) البيذق ، كتاب أخبار المهدي ، ص 52 .





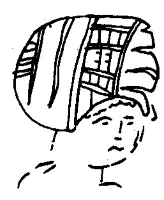
شكل 4 — مطامير قلعة بني حماد ، تصميم ومقطع
(عن لوسيان قولفين)











شكل 5 — العمائم الفاطمية (عن لوسيان قولفين)

بالضفائر والاضراس والزينة وشواشي الخز »[1].

هذا فيما يخص صناعة النسيج ببجاية . فلنتحدث الآن عــن صناعة النسيج بقلعة بني حماد .

فقال صاحب « كتاب الاستبصار » ان العاصمة الحمادية الاولى كانت مشهورة بأكسيتها التي كانت « ليس لها مثيل في الجودة والرقة لا الوجدية التي تصنع بوجدة تساوي كسا من عمل القلعة ثلاثين دينارا »[2]. واخبرنا ياقوت من جهته[3] بأن القلعة كانت مشهورة بالالباد والملابس الجميلة والاقمشة المزركشة .

د) صناعة الفخــار والخزف :

نجد ببجاية وبقلعة بني حماد فخارين وخزافين يصنعون أواني مختلفة الانواع ندرسها في الفصل الذي خصصناه للفنون الحمادية .

هـ) صناعة الزجــاج :

أثناء الحفريات التي أجريت بقلعة بني حماد عثر الاثريون على قطع زجاجية عديدة ندرسها فيما بعد مع الفخار والخزف .

و) صناعة المطاحــن :

ذكر صاحب « كتاب الاستبصار » أن مدينة مجانة كانت تعرف بمجانة المطاحن لان المطاحن التي كانت تصنع بها ليس عــلى الارض مثلها[4] . وقال الادريسي من جهته « ان بمجانة جبل شاهق ومنه تقطع أحجار المطاحن التي اليها الانتهاء في الجودة وحسن الطحين حتى انّ

---

(1) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص 41 .
(2) كتاب الاستبصار ، ص 58 .
(3) ياقوت ، كتاب البلدان ، ج4 ، ص 164 .
(4) كتاب الاستبصار ، ص 48 .

الحجر منها ربما مر عليه عمر الانسان فلا يحتاج الى نقش ولا الى صنعة هـذا لصلابته ودقـة أجزائه »[1]. أما ابن حوقل فأخبرنا بأن مطاحن مدينة مجانة كانت تصدر في المغرب كله[2].

ز) المطاحـن المائيـة :

كانت المطاحن المائيـة موجودة بالغدير وقزرونة قرب البليدة الحاليـة ومليانة .

6 ـ التجـارة :

ا ـ المراكـز التجـارية :

ان أهم المراكز التجارية الحمادية كانت بجاية وقلعة بني حماد وقسنطينة وتاهـرت والمسيلة والجزائـر قـال صاحـب « كتاب الاستبصار » ان بجاية « مرسى عظيمة يحط فيها سفن الروم من الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم وسفن المسلمين من الاسكندرية بطرف بلاد مصر وبلاد اليمن والهند والصين وغيرها »[3]. ولاحظ الادريسي أن « مدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة الغرب الاوسط وعين بلاد بني حماد والسفن اليها مقلعة وبها القوافل منحطة والامتعة اليها برا وبحرا مجلوبة والبضائع بها نافقة وأهلها مياسير تجار وبها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد وأهلها يجالسون تجار المغرب الاقصى وتجار الصحراء وتجار المشرق وبها تحل الشدود وتباع البضائع بالاموال المقنطرة »[4]. ونضيف الى ذلك ان بجاية كانت قاعدة للقراصنة الحماديين حيث ان صاحب « كتاب الاستبصار » ذكر انه « منها تغزى بلاد الروم » .

وكانت قلعة بني حماد هي الاخرى مركزا تجاريا هاما خصوصا

---

(1) الادريسي ، وصف افريقية والمغرب ، ص 87 .
(2) ابن حوقل ، كتاب صورة الارض ، ج1 ، ص 81 ،
(3) كتاب الاستبصار ، ص 20—21 .
(4) الادريسي ، وصف آفريقية والمغرب ، ص 63 .

قبل تأسيس مدينة بجـــاية . فذكر البكري وهـــو يحدثنا عنها انها « تمصرت عند خراب القيروان تنتقل اليها أكثر أهل افريقية وهي اليوم مقصد التجار وبها تحل الرحال من العراق والحجاز ومصـــر والشام وسائر بلاد المغرب »[1] . وعلى قول الادريسي[2] كانت قلعة بني حماد « في وقتها وقبل عمارة بجاية دار الملك لبني حماد وفيها كانت ذخائرهم مذخرة وجميع أموالهم مختزنة ودار أسلحتهم » .

وقال الادريسي ان مدينة قسنطينة بها « أسواق وتجار وأهلها مياسير ذوو أموال وأحوال واسعة ومعاملات مع العرب »[3] . وقال : « أن مدينة تاهرت بها ناس جمل مـــن البربر ولهم تجارات وبضائع وأسواق عامرة »[4] . وقال عن المسيلة انها « عامرة بالناس والجار »[5] وعن الجزائر انها « عامـــرة آهلة وتجارتها مربحة وأسواقها قائمة وصناعاتها نافقة »[6] .

ب) الطـــرق :

في العهد الحمادي كانت عدة طرق تخرج من بجاية وقلعة بني حماد وقسنطينة واشير وغيرها من مدن المغرب الاوسط .

1 ـــ الطرق التي تخرج من بجاية :

ذكر الادريسي ان بجاية كانت « قطب لكثير من البلاد » وأفادنا بالمسافة التي يقطعها المسافر الـــذي يغادر العاصمة الحمادية الثانية ويقصد عدة قرى ومدن بدون ان يعطينا أسماء الاماكن التي يمر بها .

(1) البكري ، كتاب المغرب ، ص 49 .
(2) الادريسي ، وصف افريقية والمغرب ، ص 64 .
(3) نفس المرجع ، ص 67 .
(4) نفس المرجع ، ص 60 .
(5) نفس المرجع ، ص 59 .
(6) نفس المرجع ، ص 62 .

فقال : « من بجاية الى ايكجان يوم وبعض يوم ومن بجاية الى بلزمة يومان وبين بجاية وباغاية 8 أيام وبين بجاية وقلعة بشر 5 أيام وهي من عمالة بسكرة وبين بجاية ونقاوس 6 مراحل وبين بجاية وقالمة 8 مراحل وبين بجاية وتبسة 6 أيام وبين دور مدين وبجاية 11 مرحلة وبين بجاية والقصرين 6 أيام وبين بجاية وطبنة 7 مراحل »[1] •

ثم وصف لنا الادريسي الطريق التي تؤدي من بجاية الى قلعة بني حماد وأفادنا باسماء القرى التي تمر بها وهي : المضيق وسوق الاحد وحصن تاكلات وسوق الخميس وحصن بكر وحصن وارفو ويسمى أيضا وافوا وحصن الحديد والشعراء وقصر بني تراكش وتاورت والباب « قرية كبيرة عامرة على نهر ملح وبها المنزل ويشرب أهلها من عيون محتفرة ببطن واد يأتيها من جهة المشرق وهذا الوادي لا ماء به • ومن تاورت الى الباب وهي جبال يخترق بينها الوادي الملح وهناك مضيق وموضع مخيف » والسقائف وسوق الخميس والطماطة وسوق الاثنين وحصن تافلكانت وتازكا وقصر عطية وأربعة حصون لم يذكر الادريسي أسماءها[2] •

2 — الطرق التي تخرج من قلعة بني حماد :

كانت ثلاث طرق رئيسية تخرج من قلعة بني حماد بالاضافة الى الطريق التي تؤدي الى بجاية : اثنتان تتجهان نحو القيروان والثالثة نحو تنس •

كانت طريق القيروان الاولى تمر بمقرة وطبنة ونقاوس وبلزمة وقبر مدغوس وقاساس وباغاية ومسكيانة ومجانة وقلعة الديك وسبيبة ووادي الرمل[3] •

---

(1) الادريسي ، وصف افريقية والمغرب ، ص 63 •
(2) نفس المرجع ، ص 64—65 .
(3) البكري ، كتاب المغرب ، ص 49—51 .

وكانت طريق القيروان الثانية تمر بالغدير ودكامة وتامسلت وتابسلكي وتوبوت وتيجس وقصر الافريقي وتيفاش وتادميت وملاق وأبة[1].

أما طريق تنس فكانت تمر بالمسيلة ونهر جوزة واشير وسوق هوارة وسوق كرام على نهر شلف ومليانة والخضراء (عين دفله الحالية) وبني واريفن[2].

3 — الطرق التي تخرج من قسنطينة :

كانت ست طرق رئيسية تخرج من قسنطينة : طريق تؤدي الى باغاية التي كانت تقع على ثلاث مراحل وطريقان تتجهان نحو بجاية احداهما تمر بجيجل والاخرى بابرس والطريق الرابعة تؤدي الى مدينة القل وتمر بقلعة بشر وتيفاش وقالمة والقصرين ودور مدين والطريق الخامسة تؤدي الى سطيف . أما الطريق السادسة فكانت تؤدي الى جيجل وتمر بالنهر وفحص فارة وقرية بني خلف وحصن كلديس وجبل سحاو ووادي شال وسوق سيدي يوسف وسوق بني زندوي وتالة والمغارة ومسجد بهلول والمزارع[3].

4 — الطرق التي تخرج من المسيلة :

كانت خمس طرق تخرج من المسيلة : طريقان تؤديان الى القيروان احداهما تمر باوسجيت ودكامة حيث تلتقي بالطريق التي تربط ما بين قلعة بني حماد والقيروان والاخرى تمر بمقرة حيث تلتقي بطريق قلعة بني حماد — القيروان الثانية . وكانت الطريق الثالثة تتجه نحو تاهرت وتمر بقرية هاز وقرية سطيت واشير وقرية ابن مجبر ومدينة

---

(1) البكري ، كتاب المغرب ، ص 53—54 .
(2) نفس المرجع ، ص 60 .
(3) الادريسي ، وصف افريقية والمغرب ، ص 68—69 .

ماما وقرية دارست وقرية اعبر • وكانت الطريق الرابعة تؤدي الى مدينة سطيف وتمر بالغدير والخامسة تتجه نحو تنس وتمر باشير وقرية ريغة وكزناية ومليانة والخضراء وقرية بني واريفن •

5 ـــ الطرق التي تخرج من اشير :

كانت أربع طرق تخرج من اشـــير : طريقان تؤديان الى تنس وطريق تتجه نحو مرسى الدجاج وطريق تؤدي الى الجزائر •

كانت طريق تنس الاولى تمر بسوق هوارة وسوق كرام ومليانة والخضراء ومدينة بني واريفن وقارية والطريق الثانية تمر بمليانة ومدينة بني واريفن ومدينة شلف بني واطيل ومدينة جليداسن • وكانت طريق مرسى الدجاج تمر بقرية شعبة ومدينة حمزة وقريـــة بلياس • أما طريق الجزائر فكانت تمر بلمدية وقزرونة (قرب البليدة الحاليـــة) •

6 ـــ طرق مختلفـــة :

نذكر منها طريق تربط ما بين مرسى الزيتون (قرب جيجل) والقيروان وطريق من تلمسان الى سجلماسة وطريق من تاهرت الى ساحل البحر وطريق من نقاوس الى بسكرة وباديس •

ج) المراســـي :

بين بونة وبجاية نجد المراسي التالية : مرسى الخروبة ومرسى ابن الابيري ورأس الحمراء ومرسى تكوش ومرسى الروم ومرسى استورة وتاسقدة (سكيكدة الحالية) والقل وجيجل وجزائر العافية وحصن المنصورية ومرسى سبيبة وبجاية •

وكانت المراسي الموجودة بين بجايـــة وتنس : تدلس ومرسى

الدجاج وتامدفوس والجزائر ومرسى جنابية ومرسى الذبان ومرسى هور ومرسى البطال وشرشال وبرشك وتنس .

د) العمـــلة والاسـعار :

ذكر ابن خلدون[1] ان الحماديين استعملوا العملة الفاطمية ما عدا في عهد يحيى بن العزيز . وكانت العملة الفاطمية مـن نوعين : عملة ذهبية تشتمل على الدينار أو المثقال ونصف الدينار وربـع الدينار وثمن الدينار وعملـة فضية تحتوي عـلى الدرهم ونصف الدرهم أو القيراط وربع الدرهم وثمن الدرهم والخروبة (أو الخرنوبة) وهي الجزء السادس عشر من الدرهم .

أما في عهد يحيى بن العزيز فكان الحماديون يستعملون العملة العباسية . فقال ابن خلدون وهو يصف لنا دينارا عباسيا :

ان سكة يحيى في الدينار كانت ثلاثة سطور ودائرة في كل وجه . فدائرة الوجه الواحد : « اتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » . والسطور : « لا اله إلا الله محمد رسول الله يعتصم بحبل الله يحيى بن العزيز بالله الامير المنصور » ودائرة الوجه الآخر : « بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينار بالناصرية سنة ثلاث واربعين وخمسمائة » وفي سطوره : « الامام أبو عبد الله المقتفي لامر الله أمير المؤمنين العباسي» .

وبجانب العملة الفاطمية والعباسية كان بنـو حماد يستعملون العملة المرابطية . والدليل على ذلك هو أن المهندس الذي قام باصلاح جامع سيدي ابي مروان بعنابة في هذه السنين الاخيرة عثر على عدد كبير من الدنانير المرابطية .

---

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 363 .

وعلى قول المقريزي[1] كانت الدنانير المضروبة في المغرب تجوز في مصر الفاطمية •

وكانت العملة تختلف من مكان الى آخر • فذكر البكري[2] عن العملة التي يستعملها أهـل مدينة تنس : « قيراطهم (أي نصف الدرهم) ثلث درهم عدل بوزن قرطبة والجاري عندهم قيراط وربع درهم وصقل وحبتان مضروبة كلهـا ودرهمهم اثنا عشـر صقلية عددا » •

وكانت قيمة الدينار بالنسبة الى الدرهم تتغير عبر السنين • فذكر الاستاذ ادريس في هذا الصدد[3] ان الدينار الذي كان يساوي 8 دراهم في سـنة 362/972 اصبح يسـاوي 35 درهما في سـنة 441/1049 .

هذا فيما يخص العملة • أما فيما يتعلق بالاسعار فلم نجـد ألا معلومات قليلة • فنعرف مثلا أن الكسا كان يساوي ثلاثين دينارا بقلعة بني حماد وأن العمائم المذهبة كانت تساوي خمسمئة دينـار وستمئة دينار ببجاية وان الصائغ على تعميم عمامة من هذا النوع يأخذ دينارين أو أزيد كما نعرف أن وسقا من تمور قسطيلية يباع بدرهمين وان قنطارا من عنب الغدير يساوي درهما وان كمية الفليون التي يحتاج اليها من أراد أن يتحصن من ضرر العقارب سنة كاملة كانت تساوي درهمين •

هذا ما وجدناه عن الاسعار في المملكة الحمادية • هناك معلومات أخرى عن الاسعار في افريقية أفادنا بها الاستاذ أدريس • فقال ان

---

(1) المقريزي ، خطط ، ج2 ، ص 335 •

(2) البكري ، كتاب المغرب ، ص 62 •

(3) Idris, op. cit., t. 2, pp. 643 - 645

خياطا كان ينفق درهمين في اثنين وثلاثين يوما أي خروبة في كل يوم للاكل • كانت هذه الخروبة تمكنه من أكل الخبز المسقي بشربة من البقول • وأضاف الاستاذ ادريس الى ذلك أن مقص الخياط كان يساوي نصف درهم وحلقته ربع درهم وابرته خروبة وفروة درهمين • وأخبرنا الاستاذ ادريس أخيرا بأن ثورين صالحين للحرث كانا يساويان 41 دينارا في سنة 395/1004—1005 وان سعر البغال كان يتراوح بين 3 و 9 دنانير وان جملا كان يباع بحوالي 9 دنانير[1] •

هـ) الاوزان والمكاييل والمقاييس :

1 — الاوزان :

كانت الاوزان الرئيسية هي : المثقال والدرهم والصنجة والوقية والرطل والقنطار •

كان وزن المثقال يناسب وزن الدينار الذي كان يتراوح بين 4،21 غ و 4،25 غ وكان الدرهم المستعمل للوزن يزن 7/10 من المثقال وكانت الصنجة من الزجاج وأثناء الحفريات التي أجريت بقلعة بني حماد عثر الاثريون على صنوج منها صنجة باسم الخليفة الفاطمي الحاكم •

فيما يخص الرطل هناك أنواع مختلفة • في تونس وباغاية كنا نجد الرطل الفلفلي ورطل اللحم وسائر الاشياء ما عدا الفلفل • وكان رطل اللحم يساوي 10 أرطال فلفلية بتونس و 20 رطلا فلفلية ببغاية • وبمدينتي تنس وتاهرت كنا نجد رطلا لوزن اللحم ورطلا لسائر الاشياء • وكان رطل اللحم يساوي 67 وقية والرطل الآخر 22 وقية في تنس أي كان رطل اللحم يساوي 3 أرطال عادية تقريبا • أما في

(1) البكري ، كتاب المغرب ، ص 657—658 .

تاهرت فكان رطل اللحم يساوي 5 أرطال عادية[1] •

هذا فيما يخص الرطل • أما فيما يتعلق بالقنطار فكان من نوعين بمدينة تاهرت • نجد قنطار الزيت وسائر البضائع المحلية والقنطار الفلفلي الذي كان يستعمل لوزن الفلفل وسائر البضائع المجلوبة • كان القنطار من النوع الاول يساوي قنطارين غير ثلث من النوع الثاني •

2 — **المكاييل :**

كانت المكاييل المستعملة هي : المد والويبة والصحفة والقادوس والقفيز •

كان المد المستعمل هو المد النبوي الذي يساوي 0،733 ليتر • وكان أهل باغاية يستعملون الويبة التي تساوي 64 مدا نبويا • وكان سكان تنس يكتالون الحبوب بالصحفة التي تساوي 48 قادوسا والقادوس من جهته يساوي 3 امداد بالمد النبوي • أما أهل تاهرت فكان مدهم يساوي 5 اقفزة ونصف قرطبية •

3 — **المقاييس :**

ان المقاييس من ثلاثة أنواع : مقاييس الابعاد ومقاييس المسافات ومقاييس المساحات •

— **مقاييس الابعاد :**

لم نعثر الا على مقياس واحد وهو الذراع الرشاشي ولكننا نعرف ان في عهد الحفصيين كانوا يستعملون الذراع والشبر والقبضة والاصبع • وكان الذراع يساوي 0،48 م والشبر 0،24 م والقبضة 0،08 م والاصبع 0،02 م •

---

(1) البكري ، كتاب المغرب ، ص 66—69 •

— مقاييس المسافات :

كانت المقاييس المستعملة : الميل الذي يساوي 1453 م والفرسخ الذي كان يساوي حوالي 5250 م واليوم أو المرحلة • فوجدنا في كتاب الادريسي جملة تمكننا ان نعرف القيمة التقريبية للمرحلة بالنسبة الى الميل • فقال الادريسي « من قسنطينة الى مدينة بجاية 6 ايام ، 4 منها الى جيجل ومن جيجل الى بجاية 50 ميلا »[1]• اذن حسب الادريسي اليوم والمرحلة يساويان 25 ميلا •

— مقاييس المساحات :

اننا نجهل المقياس الذي استعمله بنو حماد ولكننا نعرف ان الزيريين كانوا يستعملون مقياسا اسمه الزوج وهو المساحة التي يحرثها ثوران في فصل •

و) التجارة المحلية :

كانت البضائع تباع في أسواق المدن والقرى • كان لبجاية خمسة أسواق وهي : سوق الصوف وسوق القيصرية وسوق باب البحر وسوق يقع قرب حومة المذبح وبه كان القراصنة الحماديون يبيعون أسراءهم وسويقة ذكرها المراكشي[2] • فقال : « ان عبد المؤمن مرّ في طريقه راجعا من افريقية ببجاية • فدخل البلد منتزها فيه فمرّ بسويقة بناحية باب من أبوابها يسمى باب تاطنت » •

وبجانب أسواق بجاية هناك أسواق أخرى موجودة في عدة مدن وقرى مثل بونة وباغاية وميلة وسطيف والغدير وقاديس وتهوذة ومجانة والمسيلة وتيجس وتاهرت وتنس • وكانت هذه

(1) الادريسي ، وصف افريقية والمغرب ، ص 68 .
(2) المراكشي ، المعجب ، ص 230—231 .

الاسواق داخل المدن أو خارجها • وبمدينة مسكيانة كانت الاسواق ممتدة كالسماط • وكان المسافرون ينامون في الفنادق مثلا بباغاية وتهوذة • وذكر البكري ان بمدينة تبسة « اقباء يدخلها الرفاق بدوابهم في زمن الثلج والشتاء يسع القبو الواحد ألف دابة وأكثر »[1] •

أما في القرى فكانت الاسواق تعقد في يوم معين حتى بعض القرى أخذت اسم سوق متبوع باليوم الذي يعقد فيه مثلا : سوق الاحد وسوق الاثنين وسوق الخميس على الطريق التي تؤدي من بجاية الى قلعة بني حماد •

ز) التجارة الخارجية :

كان الحماديون يتاجرون مع الزيريين يبيعون لهم خشب غابات جبال الرحمن وناحية بونة وكانوا يصدرون المرجان للفاطميين كما كانت لهم علاقات مع العراق والحجاز والشام واليمن والهند والصين والمغرب الاقصى ، كما رأينا أثناء دراستنا للمراكز التجارية الهامة • وكانت البضائع تمر الى السودان على طريق ورقلة • وكان أهل ورقلة يذهبون بالتمور ويرجعون بالذهب •

وكانت التجارة بين المغرب الاوسط ومصر تمر عن طريق البحر بين بجاية والاسكندرية لان طريق البر كان غير مأمون بعد الزحف الهلالي •

أما العلاقات التجارية بين المملكة الحمادية والجمهوريات الايطالية فكانت تبدو ضعيفة بسبب الهجومات المتبادلة التي ذكرناها سابقا ، بينما كانت العلاقات بين المغرب الاوسط والاندلس حسنة جدا ونلاحظ في مقال الاستاذ كريستيان كورتوا الخاص بالعلاقات المغربية الاندلسية :

---

(1) البكري ، كتاب المغرب ، ص 145—146 .

1 — في القرن الحادي عشر الميلادي بعد ما أصبح مرسى الخرز قاعدة للقراصنة استقر التجار الاندلسيون ببجاية ومرسى الدجـاج وتكاثرت العلاقات التجارية بين المراسي الحمادية الواقعة بين الجزائر وشرشال والمراسي الاندلسية الواقعة بين قرطاجنة ومصب نهر ايبر .

2 — في القرن الثاني عشر الميلادي تفوقت بجاية على الجزائر وأصبحت القاعدة الرئيسية للتجارة الحمادية الاندلسية .

الفصل الثالث

الحياة الاجتماعية والدينية

ا ـ الحيــاة الاجتماعيــة :

آ) المــدن والاســوار :

كان للمدن الحمادية أسوار تحيط بها • وكانت هذه الاسوار من الحجر بقلعة بني حماد واشير وقسنطينة وميلة وباغاية وتيجس وبلزمة ونقاوس وتبسة • ومن الآجر بمجانــة وطبنة ومن الحجـر والآجـر ببجاية • فقــال صاحب كتــاب « الاستبصار » وهــو يحدثنا عن العاصمة الحمادية الثانية « كان على المدينة سور عظيم يضرب فيه البحر »[1]• وما زالت آثار هذا السور الى أيامنا هذه • فهو مبني من الحجر ومسافات من الآجر وعرضه يتراوح بين 1ر70 م و 2ر50م • .وكانت الاسوار من الحجر والجير بتيفاش ومن الطوب بطولقة وبنطيوس والمسيلة وطبنة (حسب الادريسي) ومن التراب بمدينة برشك .وأما سور مدينة مجانة فكان من الآجر ومن التراب •

وفي بعض الاحيان لم نعثر على المادة البنائية التي بنيت بها

(1) كتاب الاستبصار ، ض 20 •

بعض الاسوار وذلك لعدم ذكرها من طرف الجغرافيين ، مثلا في بسكرة وحمزة وماما وبونة وتدلس والجزائر وقسنطينة . فقال الادريسي في حديثه عن قسنطينة : « ليس للمدينة من داخلها سور يعلو أكثر من نصف قامة »[1] .

وكان لمدينتي باغاية والمسيلة سوران . ومن الجدير بالذكر هو أنه في بعض المدن مثل بسكرة وطولقة وبنطيوس وماما كانت الاسوار مطوقة بخنادق ، وبالمسيلة كان الماء يجري بين السورين . ومن الملاحظ أيضا هو أنه في بعض الاحيان نجد مدينتين أو ثلاث مدن مبنية في مكان واحد . هكذا كانت بونة تحتوي على مدينتين وهما مدينة سبوس التي سميت من بعد مدينة زاوي وبونة الحديثة ، وكذلك كانت باديس تشتمل على مدينتين بينما كانت طولقة مكونة من ثلاث مدن .

1 — **الاربــاض :**

كان لبعض المدن ربض كنا نجد مثلا ربضاً في باغاية وطبنة وتهوذة وبلزمة وميلة وبسكرة ولنا بعض المعلومات عن هذه الارباض هكذا على قول البكري كان خارج مدينة طبنة « سور مضروب على فحص فسيح يكون مقدار ثلثي المدينة بناء عمر بن حفص (المهلبي)[2] وكان ربض تهودة يحيط به خندق »[3] .

وكان على أرباض باغاية سور « وبه أسواق » ولكن على قول الادريسي « أصبحت أسواق المدينة والارباض خالية بافساد

---

(1) الادريسي ، وصف افريقية والمغرب ، ص 67 .
(2) البكري ، كتاب المغرب ، ص 51 .
(3) نفس المرجع ، ص 72 .

المغرب »[1] . وكان لربض ميلة حمامات[2] وكان حول بسكرة « ارباض خارجة عن الخندق »[3] .

2 — **المقابر والمصلوات :**

كانت المقابر تقع في أغلب الاحيان خارج المدن . هكذا ببجاية كانت توجد قرب الابواب الرئيسية أي باب أمسيون وباب المرسى وباب البنود . وبقلعة بني حماد كانت المقبرة تقع جنوبي المدينة وببسكرة قرب باب المقبرة وبطبنة شرقي المدينة « قرب غدير يعرف بغدير فرغان »[4] . هذا فيما يخص المقابر . أما المصلوات فكانت موجودة خارج مدينتي الجزائر وطبنة .

3 — **الابواب :**

كان للاسوار أبواب يختلف عددها حسب المدن . مثلا كان لمدينة بجاية سبعة أبواب : باب البحر وباب تاطنت وباب أمسيون وباب المرسى وباب اللوزة والباب الجديد وباب البنود . ومن هذه الابواب لم يبق الا باب البحر . ومنه كانت السفن تدخل الى المرسى الداخلي . فنجد نوعين من هذا الباب في المغرب أحدهما باب المهدية العاصمة الفاطمية والآخر باب مريسى بمدينة سلا بالمغرب الاقصى . وكان باب البنود في مكان الباب الحالي وذكر المراكشي باب تاطنت كما رأيناه فيما سبق كما ذكره الغبريني بجانب الابواب الاخرى بدون أن يعطينا أي تفصيل عنه .

وكان لمدينتي تنس وطبنة خمسة أبواب . فقال البكري وهو

---

(1) الادريسي ، وصف آفريقية والمغرب ، ص 74 .
(2) البكري ، كتاب المغرب ، ص 64 .
(3) نفس المرجع ، ص 52 .
(4) نفس المرجع ، ص 51 .

يحدثنا عن هاتين المدينتين : « كان لمدينة تنس بابان الى القبلة وباب البحر وباب ابن ناصح وباب الخوخة شرقي »[1] و « لمدينة طبنة باب خاقان مبني بالحجر عليه باب حديد وهو سري وباب الفتح غربي وهو باب حديد أيضا وبينهما سماط يشق المدينة من الباب الى الباب ، وباب تهودة قبلي عليه باب حديد وهو سري أيضا ، والباب الجديد حديد أيضا ، وباب كتامة جوفي [2].

وعلى قول البكري كان لمدينة تاهرت أربعة أبواب باب الصبا وباب المنازل وباب الاندلس وباب المطاحن[3] . وكان لقلعة بني حماد وبسكرة ثلاثة أبواب . كانت أبواب العاصمة الحمادية الاولى تسمى باب الاقواس وباب الجنان وباب جراوة ولم يبق منها الا الباب الاول . وأما أبواب بسكرة فلا نعرف الا اسم اثنين منها وهما باب المقبرة وباب الحمام[4] . وكان لمدينتي قسنطينة وميلة بابان . ان بابي قسنطينة اسمهما باب ميلة وباب القنطرة بينما كان بابا ميلة اسمهما باب الرؤوس في الشرق وباب الحمام في الشمال[5] .

4 — داخل المدن : الاحياء والمباني :

كانت المدن الكبيرة تنقسم الى أحياء . فمن أحياء بجاية نذكر : حي باب البحر وحي باب أمسيون وحي اللؤلؤة وحي المذبح وحي سباط الاموي وحارة المقديسي وحي رابطة المثمنى وحي بئر م
ومن الجدير بالذكر هو أن هذين الحيين الاخيرين كانا خارج المدينة .

(1) البكري ، كتاب المغرب ، ص 62 .
(2) نفس المرجع ، ص 50—51 .
(3) نفس المرجع ، ص 67 .
(4) نفس المرجع ، ص 52 .
(5) انظر الادريسي ، وصف افريقية والمغرب ، ص 67 .

وبقلعة بني حماد نعرف اسم حي وهو حي جراوة الذي يقع قرب باب جراوة .

هذا فيما يخص الاحياء أما فيما يتعلق بالمباني فنجد مساجد وحمامات وفنادق وقصور .

من المدن التي كان لها مسجد أو مساجد مذكورة في كتب المؤرخين والجغرافيين أو عثر عليها الباحثون نذكر قلعة بني حماد وبجاية والجزائر وملالة وقسنطينة وتنس وتاهرت وأشير ومجانة وتيجس وباديس وبسكرة وتهودة وطبنة وميلة والغدير وماما[1] .

سنتحدث عن مساجد بجاية وملالة وقسنطينة في الفصل الذي خصصناه للفنون لان تأسيسها يرجع الى عهد بني حماد ونقتصر في هذا الفصل على بعض المعلومات التي عثرنا عليها أثناء بحوثنا عن المساجد الاخرى .

فكان للجزائر جامع أسسه الامير المرابطي يوسف بن تاشفين سنة 490/1096 كما تدل عليه الكتابة التي تزين المنبر ، وبباديس كان مسجد لكل واحدة من المدينتين ، وببسكرة نجد جامعا وعدة مساجد وبمدينة ميلة كان يقع الجامع قرب باب الرؤوس[2] .

ومن المساجد ننتقل الى الحمامات التي كانت موجودة ببجاية وقلعة بني حماد وباغاية ومجانة وتيجس وبسكرة والمسيلة ومدينة سبوس (احدى مدينتي بونة) وميلة . وفي هذه المدينة الاخيرة كانت الحمامات موجودة داخل المدينة وفي الربض .

أما الفنادق فموجود ذكرها في الفصل الذي خصصناه للحياة

(1) البكري ، كتاب المغرب ، ص 64 .
(2) انظر الجتاني ، رحلة ، ص 116—117 .

الاقتصادية • وأما القصـور فسندرسها في الفصل الذي خصصناه للفنـون •

5 — **العيون والجباب والصهاريج والآبار :**

كانت المدن تستهلك مياه العيون والجباب والصهاريج والآبار والجداول • لقد تعرفنا عن أسماء العيون الثلاثة التي كانت موجودة بأشير وهي عين مسعود وعين سليمان وعين تلانتيراغ ، كما نعرف اسم عين بقلعة بني حماد التي ذكرها ابن حماد في قصيدتين ، فقال في القصيدة الاولى :

« وهل أردن عـين السـلام علـى الصدى
فأبـرد مـن حـر الضـلوع النواهـل »

وقال في القصيدة الثانية :

« على عين السلام صب غذاه	غذاه ماؤهـا العذب النمـير
تأوّد ايكها وجـرت صباها	وشمالها كمـا فتـق العبـير
وابـرد ما يكون المـاء فيها	وأندى حين يحتدم الهجـير
وما أدري أيجري فـوق در	أم ابتسمت بمنبعها الثغور »

ونعرف اسم عين مشهورة بالجبـال التي تحيط بمرسى سبيبة قرب بجاية وهي عين الاوقات • فقال البكري عنها : ان « عين الاوقات معروف اذا كانت أوقات الصلاة جرى الماء •• فاذا خرجت الاوقات قلص وانقطع »[1]•

وكانت الجباب موجودة بمجانة وقلعة بني حماد • فقال البكري وهو يحدثنا عن المدينة الاولى : « ان مجانة لها قلعة مبنية بالحجر فيها ثلاثمائة وستون جبا »[2]وبقلعة بني حماد عثر الاثريون على عدة

---

(1) البكري ، كتاب المغرب ، ص 33و82 •
(2) نفس المرجع ، ص 145 •

جباب وصهاريج ندرسها في الفصل الخاص بالفنون .

ونجد بطبنة « صهريجا يقع فيه نهرها ومنه تسقى بساتينهم » و « جداول الماء العذب »[1] و « داخل مدينة بسكرة آبارا كثيرة عذبة منها في الجامع بئر لا تنزف »[2] وبمدينة تاهرت « مياها متدفقة وعيونا جارية تدخل أكثر ديارهم ويتصرفون بها »[3] .

ب) السكان :

قبل وصول بني هلال الى المغرب الاوسط كان سكان هذه الناحية في أغلبيتهم ينقسمون الى تلكاتة وكتامة وزناتة .

كانت تلكاتة ، قبيلة بني حماد ، تسكن ناحية المغرب الاوسط التي تمتد من شرشال الى مرسى الدجاج ومن وادي شلف الى القبائل الكبرى ومن وادي شلف الى البيان وناحية الحضنة تتولى الامر في أشير ومليانة والجزائر والمدية وحمزة والمسيلة غير أنه في سنة 1120/514 أصبحت أشير تحت سلطة الثعالبة ، فرع من قبيلة معقل .

وكانت كتامة تسكن ناحية القبائل الصغرى الحالية ونجدهم خصوصا في جبال بجاية قبل تأسيس هذه المدينة من طرف الناصر وبسطيف والقل وجيجل وايكجان وقسنطينة . وقال الادريسي انه في كتامة ناحية القل وجبالها المتصلة باقليم قسنطينة « كرم وبذل طعام لمن قصدهم أو نزل بأحدهم وهم أكرم الرجال للاضياف حتى استسهلوا مع ذلك أولادهم للاضياف النازلين . ولا تتم عندهم الكرامة البالغة الا بمبيت ابنائهم مع الاضياف ليتلقوا منهم الارادة ولا ترى كتامة بذلك عارا ولا ترجع عن ذلك البتة وقد أصابتهم

---

(1) البكري ، كتاب المغرب ، ص 50—51 .
(2) نفس المرجع ، ص 52 .
(3) الادريسي ، وصف افريقية والمغرب ، ص 70 .

الملوك بذلك وبالغت في نكاياتهم فما أقلعوا ولا امتنعوا عن عادتهم في ذلك ولا تحولوا عن شيء منه » وواصل الادريسي حديثه قائلا : « لم يبق من كتامة في وقت تأليفنا لهذا الكتاب الا نحو أربعة آلاف رجل وكانوا قبل ذلك عددا كثيرا وقبائل وشعوبا » وأعف قبائل كتامة واقلهم فعلا لهذا الفن من كان من جهة سطيف لانهم من القدم لا يرون ذلك ولا يستجزونه ولا يستحسنون فعل شيء من هذه المنكرات[1] .

وقد رأينا أن بعد فتح الموحدين لمدينة بجاية تحالف كتامة هذه الناحية مع ابي قصبة وصنهاجة ليحاربوا عبد المؤمن . ومن قبائل كتامة نذكر أيضا بني زلدوي أو بني زندوي الذين كانوا يسكنون الجبال وراء جيجل وامتازوا بشجاعتهم وحبهم للحرية . فقال الادريسي وهو يحدثنا عنهم : « لهم منعة وتحصن وهم أهل خلاف وقيام بعض على بعض والجبايات التي تلزمهم لا تؤخذ منهم الا بعد نزول الخيل والرجال عليهم في تلك النواحي ومن عوائدهم التي هم عليها ان صغيرهم وكبيرهم لا يمشي من موضع الى موضع غيره الا وهو شاكي السلاح بالسيف والرمح والدرقة اللمطية »[2] .

وأما القبائل الزناتية فكنا نجدها بالمسيلة وبسكرة وجبل أوراس ونقاوس وطبنة وباغاية وسطيف وعلى الطريق التي تؤدي من أشير الى تنس وبين برشك وشرشال وبين تاهرت وتلمسان .

وكانت القبائل الزناتية الرئيسية هي : هوارة التي كانت تسكن بجبل أوراس والغدير وتهوذة وناحية المسيلة ومكناسة الموجودة بجبل أوراس وتهوذة ونقاوس وأوربة بناحيتي نقاوس وبونة الحديثة وصدراتة بالمسيلة وبسكرة ومزاتة بالمسيلة وباغاية وبنو زنداج

---

(1) الادريسي ، وصف افريقية والمغرب ، ص 70—71 .
(2) نفس المرجع ، ص 69 .

بالمسيلة ومغراوة وغمرت بناحية الزاب وبنو برزال بالمسيلة وسطيف وطبنة ولواتة بجبال بجاية وربيعة بين برشك وشرشال ومطغرة على الطريق التي تؤدي من تنس الى أشير وبنو يلومي في ناحية شلف وعدة قبائل أخـرى كانت تسـكن بين تلمسان وتاهـرت أفادنا الادريسي[1] باسمائها وهي : « بنو مرين وبنو ورتطغير وزير وماني واومانو (أو ومانو) وسنجاس وغمرة ويلومان وورماكسين وتجين ومغراوة وبنو راشد وتوطلاس ومنان ومنانة وزقارة » . وأضاف الادريسي الى اسماء القبائل الزناتية التي كانت تسكن بين تلمسان وتاهرت الملاحظات التالية : « هم (أي زناتة) أصحاب هذه الفحوص وهم قوم رحالة ظواعن ينتجعون من مكان الى مكان غيره لا كنهم متحضرون وأكثر زناتة فرسان ويركبون الخيل ولهم عادية لا تؤمن ولهم معرفة بارعة وحذق وكياسة ويد جيدة في علم الكتف لا يدري أن أحدا من الامم أعلم من زناتة بعلم الكتف » .

تلك هي تشكيلة سكان المملكة الحمادية في عهد حماد والقائد ومحسن . أما في عهد بلقين بن محمد وصلت قبائل بني هلال وانضمت قبائلها الى القبائل الموجودة. ومن القبائل الهلالية نذكر: الاثبج الذين كانوا يسكنون بناحية الزاب وقلعة بني حمـاد والجزائر ، وجشم الذين كانوا موجودين بالجزائر وبنو عدي الذين نزلوا بناحية شـلف . وكانت هذه القبائل تولت الامر في الارياف بعد الاتفاق الذي أبرم بينهم وبين وبني حماد . ثم في عهد يحيى بن العزيز أصبحوا يحمكون في المدن بجانب بني حماد .

وبالاضافة الى قبائل تلكاتة وكتامة وزناتة كنا نجد عددا قليلا من عرب الفتح والجند العربي منهم قريش بتهوذة ويمنيون وقيسيون

---

(1) الادريسي ، وصف افريقية والمغرب ، ص 60—61 .

بطولقة وبنو جرف الذي كان أصلهم من الفرس ببنطيوس وعساكر الجند بميلة كما نجد سكان من مختلف البلدان : اندلسيون بالجزائر ومرسى الدجاج وتنس وبونة وقرويون بتنس وفرنج بقلعة بني حماد وبجاية ويهود في نفس المدينتين وعبيد في صفوف الجيش الحمادي •

هذا فيما يخص تشكيلة سكان المغرب الاوسط في عهد بني حماد • أما فيما يتعلق بحياتهم فنذكر انها كانت ، في أغلب الاحيان مضطربة من أجل الحروب التي كانت تقع بين الحماديين وبني هلال وزناتة وبني هلال داخل البلاد وبين الايطاليين والصقليين من جهة وبني حماد من جهة أخرى على ساحل البلاد • فذكر الادريسي في هذا الصدد ان عدد سكان مرسى الدجاج قليل « وربما فر عنها أكثر أهلها في زمان الصيف ومدة السفر خوفا من قصد الاساطيل اليها »[1] وان سكان القل « في أيام سفر الاسطول يدخلون الى الجبال ولا يبقون بها شيئا من آثارهم وانما يبقى بالقل في زمن الصيف الرجال فقط »[2] • وقال وهو يحدثنا عن مدينة جيجل : « لما ظفر بها اسطول الملك المعظم رجار ارتفع الى الجبل على بعد ميل من المدينة وبنوا هناك مدينة حصينة فاذا كان زمان الشتاء سكنوا المرسى والساحل واذا كان زمان الصيف ووقت سفر الاسطول نقلوا أمتعتهم وجملة بضائعهم الى الحصن الاعلى البعيد من البحر وبقي الرجال باليسير من التجائير في الضفة يتجرون وهي الى الآن خراب مهدمة الديار مثلمة الاسوار ليس بها ساكن ولا بقربها قاطن »[3] •

ج) المأكـولات :

ليس لنا معلومات كثيرة عن المأكولات الحمادية وما نستطيع أن

---

(1) الادريسي ، وصف افريقية والمغرب ، ص 62 .
(2) نفس المرجع ، ص 73—74 .
(3) نفس المرجع ، ص 69 .

نقوله هو أن سكان المغرب الاوسط كانوا يأكلون الحنطة والشعير والبقول واللحم والتمور والفواكه والزيت والسمن والعسل وان في عهد العزيز كانت الخمر تباع في سوق باب البحر ببجاية • وفيما يخص الاطعمة فلا نعرف الا اسم طعام واحد وهو المركاز الذي ذكره علي ابن الزيتوني الشاعر • وجاء في تعليق هذه الكلمة : « المركاز : النتافق بلغة أهل المغرب وهي الضفادع أو الغزلان تحشى باللحم المدقوق وتغلى »[1] ولكن لحسن حظنا ، لنا بفضل الاستاذ ادريس ، عدة معلومات عن المأكولات والاطعمة الموجودة بافريقية في عهد الزيريين •

فبين الاستاذ ادريس ان الكسكس غير مذكور في النصوص الزيرية وان الخبز كان يعجن في الدار ثم يحمل الى فرن المدينة وان الشعير والحنطة والفول والحمص كانت تحمص في أغلبية الاحيان • ثم حدثنا الاستاذ ادريس عن الاطعمة وذكر ان أشهرها كانت : البسيسة التي كانت تصنع بسميد الشعير المحمص والزيت والماء والهريسة التي كانت تطبخ بالقمح واللحم المرحيين ولحم الدجاج بزيت الزيتون والعصيدة التي كانت تطبخ بالقمح والماء والسمن والعسل والبيسار وهو الفول المطبوخ في اللبن والسمن وأوراق السلق المطبوخة بالحمص أو الجزر أو الفول والدشيش وهو شربة مصنوعة بالشعير المدشش والثريد وهو الخبز المفتت في المرقة • وكانت الحلويات المعروفة : الكعك والسفنج بالعسل واللوزينج والقطائف الحالية والقرص بالسميد والعسل والقباط الذي كان في بعض الاحيان يحشى باللوز وقصب السكر الذي كان يقطع قطعا صغيرة ويمضغ •

وأخبرنا الاستاذ ادريس من جهة أخرى أن في الارياف كان كل شخص يأكل مدا من القمح يوميا أو أكثر من مد من الشعير يوميا

---

(1) العماد الاصفهاني ، خريدة ، القسم الرابع ، الجزء الاول ، ص 213 •

ويأكل اللحم مرتين وثلاث مرات في الاسبوع ويستهلك ست أثمان من الدينار للزيت والبقول[1] .

د) الملابس :

قد ذكرنا فيما سبق بعض الملابس المصنوعة ببجاية وقلعة بني حماد وهي : العمائم والاقراق الزرارية والفتوحيات وشواشي الخز والاكسية . بجانب هذه الملابس يمكن أن سكان المغرب الاوسط الحمادي كانوا يلبسون مثل جيرانهم الزيريين الجبة الطويلة والقميص والسروال والفرو والبدن[2].

هـ) السكن :

كان سكان المغرب الاوسط الحمادي يسكنون في دور مبنية بالحجر في قلعة بني حماد وتبسة أو بالطوب في ناحية الزاب حيث أن الاسواق كانت مشيدة بهذه المادة البنائية .

2 ــ الحياة الدينية :

في عهد بني حماد كنا نجد بالمغرب الاوسط : شيعيين وسنيين واباضيين ومسيحيين ويهود .

آ) الشيعيون :

ان كتامة الذين كانوا قد ساعدوا الفاطميين في فتحهم للمغرب كانوا قد اعتنقوا المذهب الشيعي لذلك نستطيع أن نقول أن سكان القبائل الصغرى كانوا في أغلبيتهم على المذهب الشيعي . ولكن عندما فتح الفاطميون مصر وغادروا افريقية رافقهم عدد كبير من كتامة ولم يبق منهم الا عدد قليل : نحو أربعة آلاف حسب الادريسي .

---

(1) Idris, La Berbérie Orientale sous les Zirides, t. 2, pp. 591 - 593.

(2) البكري ، كتاب المغرب ، ص 82 .

ب) السـنيون

يبدو أن أغلبية زناتة كانت على المذهب السني لانهم كانوا في أول الامر في خدمة الخليفة الاموي الاندلسي كما كانت كتامة في خدمة الفاطميين • فذكر البكري وجود أهل السنة ببنطيوس وطولقة التي كان سـكانها يمنيين وقيسيين بدون أن يذكر مذهبهم ، وبمدينة بسكرة حيث كان السكان على المذهب المالكي بينما كان أهل تهوذة على المذهب الحنفي •

ج) الاباضيـون :

كان الاباضيون موجودين بباغاية وتاهوذة واحدى مدن بنطيوس ومدراتة قرب ورقلة حيث لجأ الرستميون بعد فتح تاهرت من طرف الفاطميين •

د) المسـيحيون :

كان المسيحيون يسكنون بقلعة بني حماد وبجاية وعـلى قول ماس-لاتري كانت لهم كنيسة بقلعة بني حماد في سنة 507—1114 وذكرنا أن العلاقات بين الناصر والبابا غريغوار السابع كانت حسنة وهذا نص الرسالة التي وجهها البابا الى الامير الحمادي :

« من غريغوار الاسقف عبد عباد الله الى الناصر ملك موريتانيا وناحية سطيف بافريقيا عليكم السلام والبركة البابوية •

كتبت لنا نبالتكم لتطلب منا سيامة الكاهن سـرفاند كأسقف حسب القوانين المسيحية وأسرعنا في تلبية طلبكم لانه كان عادلا • وفي نفس الوقت بعثتم لنا هدايا وأمرتم بفدي المسيحيين الذين كانـوا أسرى عندكم وأوعدتمونا بفدي جميع الاسرى الذين يوجدون فيما بعد وذلك احتراما لبطرس الطوباوي أمير الحواريين ومحبة لنا • ان الله خالق جميع الاشياء الذي لا نستطيع أن نعمل أي شيء بدونه

وفي الحقيقة هو الذي أوحى لكم هذه الحسنة ومكن قلبكم لهذا العمل الكريم •

والله القدير الذي يريد أن كل عباده ينجون وأن لا يهلك أحد منهم ، لا يوافق شيئا أكثر من حب الغير بعد حبه وتطبيق هـذا المبدأ : « اعملوا للآخرين ما تريدون أن يعملوا لكم » •

وعلينا أن نمارس الفضيلة في محبة الغير أنتم ونحن أكثر من الشعوب الاخرى لاننا نعبد بطرائق مختلفة نفس الله الواحد ونمدحه كل يوم ونوقر فيـه خالق القرون ورب العالم •

ان نبلاء مدينة رومة لما أخبرتهم بالعمل الذي أوحاه الله عليكم تعجبوا مـن سمو لطفكم ويذيعون ثناءكم ومـن بينهم ألبيريك وسنسيوس وهما من خاصتنا المألوفين وتربيان منذ شبابهما معنا في قصور رومة ويريدان صداقتكم والاحسان المتبادل معكم • ويسعدهما ان استطاعا أن يعملا ما يرضيكم في هذه البلاد • ويبعثان اليكم بعض رجالهما الذين يقولون لكم الى أي حد يقدران خبرتكم وعظمتكم والى أي حد يرضيان أن يكونا في خدمتكم هنا • اننا نوصي جلالتكم على رجالنا القادمين اليكم ونطلب منكم اليهم المحبة والتفاني اللذين يكونا لنا دائما في سبيلكم وكلما يخصكم • والله يشهد أنه هـو القادر الذي أوحى الولاء الذي اقطعناه اليكم والى أي حد نتمنى سلامكم ومجدكم في هذه الدنيا وفي الآخرة • ونرجوه من صميم قلبنا أن يستقبلكم بعـد حيـاة طويلة في حضن سعادة الاب القدوس ابراهيم »[1] •

---

(1) Idris, La Berbérie Orientale sous les Zirides, t. 2, pp. 591 - 593.
Mas Latrie, Traités de paix et de commerce, Introduction, p. 32.

هـ) اليهـــود :

كان اليهود موجودين بقلعـــة بني حماد خصوصا بعد فتـــح القيروان من طرف بني هلال وكانوا تجارا أو أطباء أو صياغ أو خبراء بالامور المالیـــة .

ومن الجدير بالذكر هو أن سكان المغرب الاوسط الحمادي من شيعيين وسنيين واباضيين ومسيحيين ويهود كانوا متفقين رغم اختلافهم في المذاهب والعقائد .

الفصل الرابع

الحياة الثقافية

ا ـ الشعر :

من الشعراء المشهورين في العهد الحمادي نذكر :

النهشلي
وابن أبي سهل الخشني
وابن الفضل النحوي
وابن رشيق
وابن حمديس
وعمر بن فلفول
وعلي بن الزيتوني
وابراهيم الهازي
وعلي بن الطبيب
ويوسف بن المبارك
وابن مليح الطبيب
وعلي بن مكوك التطيبي
وحماد بن علي (الملقب بالبين)
وعبد الحق البجائي
وأبو الطاهر عمارة

1 — عبد الكريم النهشلي[1]:

ولد أبو محمد عبد الكريم النهشلي بالمحمدية (المسيلة الحالية) التي كانت في عصر الفاطميين عاصمة بني حمدون فأخذ النهشلي عن شيوخها وأصبح شاعرا مقدما . وله مدح في الامير الزيري باديس ، وتوفي سنة 405/1014—1015 .

ومن شعره نذكر ثلاث قطع :

في القطعة الاولى يصف فيلا .
وفي الثانية يرثي صاحبا له
وفي الثالثة يصف نهرا في روضة

قال يصف فيلا أهدي الى الامير باديس الصنهاجي :

وأضخم هنديّ النجار تعدّه	ملوك ساسان رايها أمر
يجيء كطرد جائل فوق أربع	مضبّرة لمّت كما بمّت الصخر
له فخذان كالكثيبين لبّدا	وصدر كما أوفى من الهضبة الصدر
ووجه به أنف كراووق خمرة	ينال به ما تدرك الانمل العشر
وأذن كنصف البرد يسمعه الندا	خفيفا ينقص العيب مزوّر
ونابان شقّا لا يريك سواهما	قناتين سمراوين طعنهما بتر
له لون ما بين الصباح وليله	اذا نطق العصفور أو غلس الصقر

وقال يرثي صاحبا له تناول دواء فمات بسببه :

منايا سددت الطرق عنها ولم تدع	لها من ثنايا شاهق متطلّعا
فلما رأت سور المهابة دونها	عليك ولما لم تجد فيك مطعما

---

(1) عن عبد الكريم النهشلي ، انظر : حسن حسني عبد الوهاب ، المنتخب المدرسي من الادب التونسي ، الطبعة الثانية ، ص 55—57 . أحمد حماني ، عباقرة من رجالنا تزهر منها عواصمنا الصنهاجية ، الاصالة ، عدد خاص ببجاية عبر العصور ، ص 245 .

ترقّت بأسباب لطاف ولم تكد تواجه موفور الجلالة أروعا
فجاءتك في سرّ الدواء خفية على حين لم تحذر لداء توقّعا
فلم أر مالا يتقى مثل سمها ولا مثلها لم تخش كيدا فترجعا

وقال يصف نهرا في روضة :

سلام على طيب روغننا . الى القصر والنهر الخضرم
الى مزبد الموج طاف لعباب يهدف في ألبان والساسم
تحال به قطما مغرما يكرّ على قطم مغرم
ويسخو فيسحب في ذابل يمان تسهم بالانجم
كان الشمال على وجهه بها سقم وهي لم تسقم
اذا درجت فوقه درّجت على حبب الزرد الحكم
وقد جلّلته بأوراقها فروع جلّت ناطق اليمّم
علتها الحمام بتغريدها كما سجع النوح في مأتم
كأن شعاع الضحى بينها على السوسن العضّ والحيزم
وشائع من ذهب سائل على خسروانية نعّم
ربا تتفقأ من فوقها عز الى الربيع لدى المرهم
على كل مخبية خلة تسدى على جدول مفعم
كما قتل الوقف أصداغه وكالارقم انساب للارقام

2 — ابن أبي سهل الخشني[1] :

ولد أبو عبد الله عبد العزيز بن أبي سهل الخشني الضرير بالمحدية فقال ابن رشيق وهو يحدثنا عنه « لم ير ضرير قط أطيب نفسا منه ولا أكثر حياء ، مع دين وعفة ، أدركته وقد جاوز التسعين

(1) عن أبي سهل الخشني ، انظر : ابن رشيق العمدة ، ج1 ، ص 161 . صلاح الدين خليل أيبك الصفدي ، نكت الهميان في نكت العميان ، ص 194—195 . أحمد امين ، ظهور الاسلام ، ج1 ، ص 305 .

والتلاميذ يكلمونه فيحمر خجلا وكان شاعرا مطبوعا يلقي الكلام القاء وسلك طريق أبي العتاهية في سهولة الطبع ولطف التركيب ولا غنى لاحد الشعراء الحذاق عن العرض عليه والجلوس بين يديه أخذا للعلم عنه واقتباسا للفائدة منه وتوفي رحمه الله تعالى سنة ست وأربعمائة » .

ومن شعره :

قال العوازل قد طولت حزنك اذ — أو شئت اخراجه عن سلوة خرجا

ولن أطيق خروج الحزن عن جلدي — لانني أنا لم آمره أن يلجا

ومن شعره أيضا :

العين من وجهك في لهو — والقلب من صدك في شجو

تناصف الحسن الذي حزته — لم يفتقر عضو الى عضو

ولم يفد منك محب سوى — قلب شج في جسد نضو

3 — ابن النحوي[1] :

هو أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف ويعرف بابن النحوي التوزري القلعي نسبة الى قلعة بني حماد قرأ ببلده وبالقيروان ثم دخل المغرب وطاف في أنحائه واستقر أخيرا بقلعة بني حماد سنة 394 وتصدر للتدريس وكان لا يقبل من أحد شيئا ، وانما يعيش

---

(1) عن ابو الفضل النحوي ، انظر : حسن حسني عبد الوهاب ، المنتخب المدرسي ، ص 91—19 . عمار طالبي ، الحياة العقلية في بجاية ، الاصالة ، عدد ببجاية عبر العصور ، ص 160 . احمد حماني ، عباقرة من رجالنا تزهر بها عواصمنا ، عدد خاص ببجاية عبر العصور ، ص243 (الاصالة)
Lucien Golvin, Le Maghrib Central à l'époque des Zirides, p. 162.
Idris, La Berbérie Orientale sous les Zirides, t. 2, p. 778.

من دخل ضيعة له بتوزر « وأخذ نفسه بالتقشف فترك اللين من اللباس والاكل ولبس جبة صوف الى ركبته • وتوفي بقلعة بني حماد في محرم سنة 513 عن الثمانين سنة ، ومن أقواله نذكر قطعتين من المنفرجة وقطعة من قصيدة مدح فيها مدينة فاس :

القطعة الاولى من المنفرجة : في انتظار الفرج :

اشتدي أزمة تنفرجي ... قد آذن ليلك بالبلج [1]
وظلام الليل له سرج ... حتى يغشاه أبو السرج [2]
وسحاب الخير له مطر ... فاذا جاء الآبان تجي
وفوائد مولانا جمل ... لسروح الانفس والمهج
ولها أرج محي أبدا ... فاقصد معيا ذلك الارج
فلربما فاض الحيا ... بحور الموج من اللجج
والخلق جميعا في يده ... فذوو سعة وذوو حرج
ونزولهم وطلوعهم ... فالى درك وعلى درج
ومعائشهم وعواقبهم ... ليست في المشي على عوج
حكم نسجت بيد حكمت ... ثم أنسجت بالمنتسج
فاذا اقتصدت ثم انعرجت ... فبمقتصد وبمنعرج
شهدت بعجائبها حجج ... قامت بالامر على الحجج

اما القطعة الثانية من قصيدة المنفرجة فهي حكم :

... مدح العقل الآتية هدى ... وهوى متول عنه هجي
وخيار الخلق هداتهم ... وسواهم من همج الهمج
واذا كنت المقدام فلا ... تجزع في الحرب من الرهج
واذا أبصرت منار هدى ... فاظهر فردا فوق الثبج
والرفق يدوم لصاحبه ... والخرق يصير الى الهرج

---

(1) البلج : صباح الصبح .
(2) ابو السرج : هو الشمس .

وله يمدح مدينة فاس :

يافاس منك جميع الحسن مسترق — وساكنوك ليهناهم بما رزقوا
هذا نسيمك أم روح لراحتنا — وماؤك السلسل الصافي أم الورق
أرض تخللها الانهار داخلها — حتى المجالس والاسواق والطرق

4 — ابن رشيق[1] :

ولد ابن رشيق بالمحمدية بين سنة 370 و 390 وقرأ عن شيوخها. وفي سنة 406/1015—1016 سار الى القيروان فأخذ عن النهشلي وابن أبي سهل الخشني والقزاز . فاتصل بابن أبي رجال امام الكتابة والانشاء والادب ثم بالامير الزيري المعز بن باديس وأصبح من شعرائه وعندما حاصر بنو هلال القيروان انتقل ابن رشيق الى المهدية مع المعز في سنة 444/1057 ، فوقع صراع عنيف بينه وبين ابن شرف ولم يتصالح الشاعران الا بجزيرة صقلية حيث توفي ابن رشيق بمدينة مزارة في أول ذي القعدة 450/15 أكتوبر 1064 .

لابن رشيق ديوان يشتمل على 214 قصيدة نذكر منها رثاء القيروان ورثاء قاضي المسيلة وما قاله في المشمش والنارنج والتفاحة والموز والباذنجان وشقيقة النعمان والزرافة وفحل الاوز والحجل والبغل وادي المحمدية والشعر :

ومن قوله في رثاء القيروان :

والمسلمون مقسمون تنالهم — أيدي العصاة بذلة وهوان
ما بين مضطر وبين معذب — ومقتل ظلما وآخر عان
يستصرخون فلا يغاث صريخهم — حتى اذا سئموا من الارنان

---

(1) عن أبي رشيق ، انظر : ابن رشيق ، ديوان . ابن رشيق العمدة . أحمد حماني ، عباقرة ، الاصالة ، ص 244 .
حسن حسني عبدالوهاب ، المنتخب المدرسي ، ص 75—77 .

بادوا نفوسهم فلما أنفذوا ما جمعوا من صامت وصوان

واستخلصوا من جوهر وملابس وطرائف وذخائر وأوان

خرجوا حفاة عائذين بربهم من خوفهم ومصائب الالوان

هربوا بكل وليدة وفطيمة وبكل أرملة وكل حصان

ومنه ايضا :

أعظم بتلك مصيبة ما تنجلي حسراتها أو ينقضي الملوان

لو أن ثهلانا أصيب بعشرها لتدكدكت منها ذرا ثهلان

حزنت لها كور العراق بأسرها وقرى الشام ومصر والخرسان

وتزعزعت لمصابها وتنكدت أسفا بلاد الهند والسندان

وعفا من الاقطار بعد خلائها ما بين أندلس الى حلوان

وأرى النجوم طلعن غير زواهر في أفقهن وأظلم القمران

وأرى الجبال الشم أمست خشعا لمصابها وتزعزع الثقلان

والارض من وله بها قد أصبحت بعد القرار شديدة الميلان

وقال يرثي قاضي بلدة المحمدية طاهر بن عبد الله :

.. توفي الطاهر القاضي فوا أسفا ان لم يوف تباريحي وأوجاعي

فللديانة فيه لبس ثاكلة وللقضاء عليه قلب ملتاع

وقال في المشمش :

كأنما المشمش لما بدت أشجاره وهو بها يلتهب

خضر قباب الملك حفت بها جلاجل مصقولة من ذهب

وقال في النارنج :

ودوحة نارنج بهتنا بحسنها وقد نسرت أغصانها للتاوّد

ونارنجها فوق الغصون كأنه نجوم عقيق في سماء زبرجد

وقال يصف تفاحة :

تفاحة شامية من كف ضبي أكحل

ما خلقت مذ خلقت ... تلك لغير القبل
كأنما حمرتها ... حمرة خدّ خجل

وقال في الموز :

موز سريع أكله ... من قبل مضغ الماضغ
مأكلة الآكل ... ومشرب لسائغ
فالفم من لين به ... ملآنٌ مثل فارغ
يخال وهو بالغ ... للحلق غير بالغ

وقال في الباذنجان :

واذا صنعت غذاءنا ... فاجعله غير مبنذج
اياك هامة أسود ... عربان أصلع كوسج

وقال في شقيقة النعمان :

رأيت شقيقة حمراء باد ... على أطرافها لطخ السواد
يلوح بها كأحسن ما تراه ... على شفة الصبي من المداد

وله يصف زرافة :

وأتتك من كسب الملوك زرافة ... شتى الصفات للونها أثناء
جمعت محاسن ماحكت فتناسبت ... في خلقها وتنافت الاعضاء
تحتثها بين الحوافق مشية ... باد عليها الكبر والخيلاء
وتمد جيدا في الهواء يزينها ... فكأنه تحت اللواء لواء
حطت مآخرها وأشرف صدرها ... حتى كأن وقوفها اقعاء
وكأن فهر الطيب ما رجمت به ... وجه الثرى لو لمت الاجزاء
وتخيرت دون الملابس حلة ... أعيت بصنعه مثلها صنعاء
لونا كلون الذبل الا أنه ... حلى وجزّع بعضه الجلاء
أو كالسحاب المكفهرة خططت ... فيه البروق وميضها ايماء

أو مثلها صدئت صفائح جوشن ... وجرى على حافاتهن جلاء
نعم التجافيف الذي أدرعت به ... من جلدها لو كان فيه وقاء

وله يصف فحل أوز :

نظرت الى فحل الاوزّ فخيلته ... من الثقل في وحل وماهو في وحل
ينقل رجليه على حين فترة ... كممتنعل لا يحسن المشي في النعل
له عنق كالصولجان ومخطم ... حكى طرف العرجون من يانع النخل
يداخله زهر فيلحظ من عل ... جوانبه الحاظ متهم العقل
يضم جناحيه اليه كما ارتدى ... رداء جديدا من بني البدو ذو جهل

ومن قوله في وصف الحجل :

ما أغربت في زيّها ... الا يعاقيب الحجل
جاءتك مثقلة الترا ... ئب بالحلى وبالحلل
حفر الجفون كأنما ... باتت بتبر تكتحل

وقال في البغل :

فأوصيكم بالبغل شرا فانه ... من العير في سوء الطباع قريب
وكيف يجيء البغل يوما بحاجة ... تسر وفيه للحمار نصيب

وقال قلت في وادي المحمدية وكان يعجب ابا اسحق الحصري :

تحكي غوارب بزّل ... جاءت بغير قوادم وهوادي

وقال يمدح الشعر :

الشعر شيء حسن ... ليس به من حرج
أقل ما فيه ذها ... ب الهم عن النفس الشجي
يحكم في لطافة ... حلّ عقود الحجج
كم نظرة حسنها ... في وجه عذر سمج
وحرقة بردها ... عن قلب صب منضج

ورحمـــة أوقعهـــا	في قلـــب قـاس حـرج
وحاجــة يســـرها	عنـــد غـــزال غنـــج
وشــاعر مطـــرّح	مغـــلق بـاب الفـــرج
قرّبـــه ـ لســـانه	مـــن ملـــك متـــوج

5 — ابن حمديس الصقلي :[1]

هو أبو محمد عبد الجبار بن حمديس الازدي ، ولد في سرقوسة بجزيرة صقلية سنة 447/1055 ، ثم سافر الى الاندلس سـنة 471/1088 ، واتصل **بالمعتمـد** بن عباد ومدحه ثم استقر ببجاية حيث أصبح شاعر المنصور بن الناصر .

لابن حمديس ديوان شـعر يشتمل على عدة قصائد في مواضيع مختلفة اخترنا منها مدح المنصور ، ورثاء علي بن حمدون وقصيدتين تصف لنا قصرين ببجاية[2] الحمادية وعدة قصائد أخرى في وصف الازهار والحيوانات والاشياء البسيطة والزهد .

قال ابن حمديس يمدح المنصور ، وبدأ هذه القصيدة الطويلـة بوصف الخمر قبل ان ينتقل الى ممدوحــه :

أمـدام عـن حبـاب تبتسـم	أم عقيـق فوقـــه درّ نظـم
أعـلى الهـم بعثنـا كأسـنا	أم بنجـم الافق شيطان رجـم
أظـلام لضيـــاء طبـــق	أم على الكافـور بالمسك ختـم
أندى في الزهر أم مـاء الهـوى	حار في أعـين حور لـم تنـم
أعمـود الصبـح في الغيهب أم	غـرة الاشقر في الغيـم الاحـم
أمـرآة أم غديـــر دائـــم	مقشعر الجـلد بالقـر شبـم

---

(1) عن أبي حمديس ، انظر : ابن حمديس ، ديوان . اسماعيل العربي ، ابن حمديس الصقلي شاعر بني حماد ، الاصالة ، عدد خاص ببجاية عبر العصور ، ص 317—327 .

(2) نقدم القصيدتين اللتين تصفان قصرين ببجاية في الفصـل الخاص بالفنون .

قدرت منه الصبا سردا فما ... رفعت عنه بدا حتى انفصم
كل ذا يد عوالي مشحولة ... فذر اللوم عليها أو فلم
وأغتنم من كل عيش صفوه ... فألذ العيش صفو يغتنم
وأشكل الاوثار عن نغمته ... لا تسوغ الخمر الا بالنغم
ومدام قدمت فهي اذا ... سئلت تخبر عن عاد ارم
سكنت أجواف في جوف الثرى ... نسج الدهر عليه ورقم
خالفت أفعالها أعمارها ... فأتت قوتها بعد الهرم
فهي في الراووق روقتها ... لهب جار وماء مضطرم
أفنت الاحقاب منها جوهرا ... ما خلا الجزء الذي لا ينقسم
فهي مما أفرطت ريقتها ... تجد الريّ بها وهي عدم
لا ينال الشرب من كأساتها ... غير لون يسرع السّكر وشم
وكأن الشمس في ناجودها ... من سواد القار في قمص ظلم
فأدر للروح أختا والزرا ... جين بنتا وسرور النفس أم

ثم انتقل الى مدح المنصور فقال :

فهي مفتاح اللذات لنا ... وبدا المنصور مفتاح الكرم
حل قصر المجد منه ملك ... بدىء المجد به ثم ختم
يحتبي في الدست منه أسد ... وهلال وسحاب وعلم
يترك النقمة في جانبه ... واذا عاقب في الله انتقم
واذا قال نعم ، وهي له ... عادة ، اسبغ بالبدل النعم
ذو أياد بأياد وصلت ... كتوالي ديم بعد ديم
واذا مله بخل الغيم سخا ... واذا ما عبس الدهر بسم
تنتمي السادات عزا كلما ... قربت من عنده صارت خدم
يذعر الجبار منه فعلى ... شفة يمشي اليه لاقدم
فالق الهام اذا كرّ سطا ... مسعر الحرب اذا هم اعتزم
كلما وطأ حربا شبكا ... حمى المذع وشب المقتحم

واذا حاول في طعن الكلى ... صرف اللهذم تصريف القلم
يطأ الهام التي فلقها ... بلهام للاعادي ملتهم
يرجع الليل نهارا بالظبا ... ويعيد الظهر بالنقع عتم
فضياء الشهب من قسطله ... ويعيد الظهر ديال في نيم
انما حمير أسد لم تزل ... من قناها ساكنات في أجم
كل شهم القلب مرهوب الشبا ... مرتض الاخلاق محمود الشيم
يستظلون بأوراق الضبا ... وأوراق الروع فيهم محتدم
وعروس لبك أهديتها ... تكلم الحساد منها بالكلم
في تقاصير من الدر اذا ... حاولوا تحصيلها فهي حكم
يضرب الامثال فيها بكم ... أمم في المدح من بعد أمم
أسكنت ذكراك حكما خالدا ... أبدا بنيانه لا ينهدم

رثاء القائد الحمادي علي بن حمدون :

فبدأ ابن حمديس قصيدته هذه بذكر الموت الذي لم يستطع أحد أن يهرب منه • ثم ذكر فضائل الراحل : شجاعته في ساحة القتال وتشجيعه للعلماء والادباء وأتم قصيدته بتعزية أهل الفقيد فقال :

أي الموت أعين التصبر بالدم ... وقال لحسن الصبر بين الحشادم
على القائد الاعلى الذي فل عزمه ... كما فل عن ضرب الطلى حد مخذم
أرى زمن الدنيا ينقل أهلها ... الى دار أخرى من غنى ومعدم
وحان أمين الملك فيما أنطوى له ... على حفظ أسرار الجلال المكتم
وصادرة الحتف الذي حطه الى ... حشا القبر عن صدر الخميس العرمرم
وما شاءه العرش جل جلاله ... يدق ويخفي عن خفى التوهم
فما دفعت عنه جنود جنوده ... على أنها في القرب كاليد للفم
لو يغن الضرب من كل مرهف ... ولا نافذات الطعن من كل لهذم
بأيدي كمات منهم كل مقدم ... باقدامه يحمي حماة ويحتمي
يهيل في فضفاضة فارسية ... تحدث عن أبطال عاد وجرهم

على ابن حمدون الذي كان حمده ترفـع منـه همـــة المتكلـم
خلت منـــه يوم الروع كل كتيبة وكم عمـرت من بأســه بالتقدم
كـأن عليهـا لعجـاج مـلاءة مطيرة في الجوف كـل قشـعم
متى تعيش الهيجا له في لقـائه رأت منـــه في الاقحام سن تبسم
تنقل من ســرج الكمية بحتفـه الى حفـرة في جوف لحد مسنم
وكم مكرم بالعـز فوق أريكة يصير الى بيت العلـى المتهدم
وكـأن صفو الجـو يوم عطائه مشوب بشؤبوب الغمـام المديم
فظللـت منـه في توحش غربـة بظـل جناح بـين غرباء مظلـم
وأرضعنـي ثدي المنـى فكأنني وليد أتى عمران شـيخ التقـدم
وما أبـت عن جدواه الا مشيعا بأفضال ذي فضل وأنعام منعـم
فيا سـيدا زرنـاه حيـا وميتا فما زال في هذا الحباب المعظـم
نردد تســـليما عليـك محبـة وان كنت لم تردد سلام المسلـم
وذي خفقات بالقرى تسحق الحصى لها امتراء مـن حديد التحـدم
وراجي الندى من غيره كمعوض من الماء اذ صلّى تراب التيمـم
ويبدي عـلاه من آسرة وجهـه سناء نسـيم الخـير للمتوسـم
وقد كان ذاك البشـر منه مبشرا بأكبر مأمـول وأوفـر مغنـم
وما زال ميالا الـى البر والتقى تقـي القلب مـن كـل مأثـم
تنقّل الاكـرام مـن ربـه لـه الى جنّـة فيها له دار مكـرم
لـه كـل ناد بالوقـار مكـرم بغير وقـور منه مقول أبكـم
وصفح عن الجاني بشيمة صفحه وحلم حكى في الغيظ هضب يلملم
ومدرسـة أبناؤهـا فقهاؤهـا فمن عالم منهـك ومـن متعلـم
ضراغم في الجيش اللهـام وانما فوارسهم في الحرب من كل ضيغم
وقد كان في نصر الشريعة مسرعا عن الحق ما يشغى به كل مسلـم
أرى قائد القـواد أعطى مقـاده لحكم قضاء في البرايا محكـم
وأسـلم للحتف المقـدر نفسـه وقد كان لا يرقى اليـه بسلّـم

اذا الملك نجاه توحى اشارة — رأيت له نهض العقاب المحرّم
فتستهدف الاعراض أراؤه كما — تقرطس أغراضنا صوائب أسهم
وتهدى له كفّ تصول على العدى — الى كفّ ميمون المضاء المصمّم
وأبناؤه أنتم سراة أكابر — فكلكم من مكرم وابن مكرم
وأنتم سيوف للسيوف مواضيا — وأيمانكم فيها نواة تختّم
عزاء جميل في (المصاب) فانكم — جبال حلوم بل طوالع أنجم
فدام لكم في العز شمل منظم — وشمل الاعادي منه غير منظم

وقال يصف الشقائق :

نظرت الى حسن الرياض وعيمها — جرى دمعه منهن أعيون الزهر
فلم تر عيني بينها كشقائق — تبابلها الارواح في القضب الخضر
كما مشطت غيد القيان شعورها — وقامت لرقص في غلائلها الحمر

وقال يصف النيلفر :

أشرب على بركة نيلوفر — محمرة النوار خضراء
كأنما أزهارها أخرجت — ألسنة النار من الماء

ومن قوله في الناقه :

هي القوس انى لسهم لها — أصيب لكل فلاة غرض

وقال يصف الذباب :

ومودع في المطايا لسعة حمة — فيزعج الروح تعذيبا من الجسد
يغشى السوام مناقيرا فتحسبها — مباضعا مدميات كل مفتصد
يحك من دمعها القاني — حك الطريف بحنّاء بنان يد

وقال يصف البق والبرغوث والباعوض :

نومي على ظهر الفراش منغص — والليل فيه زيادة لا تنقص

مــن عاديات كالذئاب تذاءبــت وسرت عــلى عجــل فما تتربص
جعلت دمي خمــرا تداوم شربها مسترخصات منــه ما لا يرخص
فترى الباعوض مغنيــا بربابــه والبــق يشرب والبراغث ترقص

وقال في رحــى :

وآخــــذة في دورة فلكيــــة ترى القطب منها ثابتا وهي تضطرب
اذا أطعمت حبا مــن البر أطعمت وقامت بأمر البر فهو كما يجب
تحسبها تلقي لنــا رمــل فضة اذا أدمن الالقاء فيها حصى ذهب

وقال يصف شــمعة :

خليفــة الملــك تــرى عنــده خليفة الشمس تجلــي الظلــم
ذابلــــة في الصفــر مركــوزة لهــا مــن النــار سنان خــدم
تبدي من الشــمع قرا مدمجــا اولا نخــاع القطــر لم يستقم
فجســمها مــن ذهــب جامــد يذيبــه روح لــــه مضطــرم
تقطــف مــن هامتهــا فضــلة قطفك بالمقراض رأس القــلــم
فنورهــا مــن ذاك مســتأنف كأنــه الصحــة بعــد السقــم
يأكلـــه وهــي غــذاء لــــه منها لســان وهو في غــير فــم
كــأنهــــا راقصـــــة بيننــا لم تنتقل في الرقص منها قــدم
قــائمــة في ملبــــس أصفــر قــد حركت منــه لنا فرد كــم

وقال في العصــــا :

ولي عصا من طريق الذم أحمدها بها أقــدم في تأخيرهــا قدمــي
كأنما وهي في كفي أهش بهــا على الثمانين عامــا لا على غنمي
كأنني قوس رام وهي لي وتــر أرمي عليها رمى الشيب والهرم

وقال وهو يذكر الثقــة بالله :

كــن واثقا بالله مســـبحا لــه فهو الذي يصرف عنك الخطوب
وأصرف اليــه الوجه عن معشــر قد صرفوا عنك وجــوه القلوب

وقال في الزهـد :

يا ذنـوبي ثقّلت والله ظهـري　　بان عذري فكيف يقبـل عذري

كلمـا تبت سـاعة عدت اخرى　　لضروب من سوء فعلي وهجري

6 ــ ابو حفص عمر بن فلفول[1]:

كان أبو حفص عمر بن فلفول ، كمـا ذكرناه ، كاتبا في عهـد العزيز ابن المنصور ثم في عهد يحيى بن العزيز .

وقال عنه ابن بشرون « انشدني لـه الامير عبد الله بن العزيز الحمادي عند الاجتماع به في جزيرة صقلية :

وقالوا نأى عنكالحبيب فما الذي　　نراه اذا بـان الحبيب المواصل

قال أنت أحببت التصبر بعـده　　لم تستطع صبرا فما أنـت فاعل

فان الهوى ــ مهما تمكن الحشى　　وحل شغاف القلب ــ ليس بزائل

فكم رام أهل الحب قبلك سلوة　　وزادهم عنهـا هـوى متواصل

فقلت الا للصبر مفزع عاشـق　　وللصبر أحرى بي وان غال غائل

سأصبر حتى يفتح الله في الهوى　　بوصل حبيب طال فيها الطوائل

7 ــ علي بن الزيتوني الشاعر[2] :

قال ابن بشرون وهو يحدثنا عن علي بن الزيتوني الشاعر « انه

---

(1) عن أبي حفص عمر بن فلفول ، انظر : العماد الاصفهاني ، خريدة القصر وجريدة العصر ، القسم الرابـع ، الجـزء الاول ، ص 210 . رشيد مصطفاي ، الحركة الادبية في بجاية ، الاصالة ، عـدد خاص ببجايـة عبر العصـور ، ص 276 .

(2) عن علي بن الزيتوني الشاعر ، انظر : العماد الاصفهاني ، نفس المرجع ، ص 213 . رشيد مصطفاي ، نفس المرجع ، ص 276 .

شاعر المغرب الاوسط وأديبه والمعيه وأريبه، وهو صاحب توشيح وتوشيع وتقصيد وتطليع وقد سار شعره غناء ، وأورد من شعره في ذم المركاز :

لا آكــل المركاز دهــري ولو تقطعه كفــي بــروض الجنــان
لانـــه أشـــبه فيمـــا يــرى أضالع المصلوب بعــد الثمــان

وقوله في قصيدة في مدح بعض القضاة :

نهــاه عــن محارمــه نهــاه وقربـــه لخـــالقـــه تقـــاه
وقـــال الله ليـــس سواي رب ولا لشـــريعتي أحـــد ســـواه
هو البر العطوف علـــى البريــا وبالايتـــام يرحـــم مـــن أتـــاه
وشد بــه عرى الاســـلام حتى رأينا النجـــح وانعقـــدت عراه
أمـــين عدلـــه غمـــر البريـــا فما يخشـــى عـــلى أحد قضـــاه
فســـيح خطـــوه في كـــل عـــلم ومن ذا يقتفـــي أبـــدا خطـــاه
أبـــى شـــأنـــه طلـــب المعـــالي ومـــن يحصى ثنـــاه أو نـــداه
لقد ظفـــرت يـــد علقت نـــداه ومـــن ناواه قـــد تبـــت يـــداه

8 — **ابراهيم بن الهازي[1] :**

ذكر ابن بشرون انه صاحب توشيح مليح وربما قصر اذا قصد وأحسن اذا قطع .

ومن شـــعره :

الا فدعوا عذلي فما اسمع العذلا كفاكم ، فان العذل قد زادني خبلا

وهي قصيدة واهية ومقطعها :

فواصل وقاطع لست أبغي تحولا فان شئتم جورا ، وان شئتم عدلا

---

(1) عن ابراهيم بن الهازي ، انظر : العماد الاصفهاني ، نفس المرجع ، ص 214 .

9 — علي بن الطبيب[1]:

ذكر ابن بشرون انه ورد من شعره قوله :

يا جملة الحسن هب لي منك حسانا أي أحبك أسرارا واعلانا

ومنه :

اني لعبدك لا أبغي بكم بدلا ولا أحب سواك الدهر انسانا

10 — يوسف بن المبارك[2]:

ذكر ابن بشرون « انه من موالي بني حماد ، وله في مدائحهم من الشعر ما انسحب عليه ذيل حماد من ذلك قوله :

هناكم النصر ونيل النجاح في يومكم هذا بسمر الرماح
فأنتم الصيد الكرام الاولى شادوا العلى بالنائل المستماح
ما منكم الاهمام حوى مناقبا جلّى ومجدا مراح
لا ترهبون الدهر أعداءكم تمنعون العرض من أن يباح
وتبذلون الرفد يوم الندى وتسعرون الحرب يوم الكفاح
وترفعون الجار فوق السهى وتكرمون الضيف مهما استماح
لا زلتم تجنون زهر العلى في معرض العز بحد الصفاح

11 — ابن ابي المليح الطبيب[3]:

ذكر ابن بشرون ان له مقطعات جالبة للحب سالبة للب ، وبه من

(1) عن أبي المليح الطبيب ، انظر : العماد الاصفهاني ، نفس المرجع ، ص 215 .

(2) عن يوسف المبارك ، انظر : العماد الاصفهاني ، نفس المرجع ، ص 210 . رشيد مصطفاي ، نفس المرجع ، ص ، 276 .

(3) عن ابن ابي المليح الطبيب ، انظر : العماد الاصفهاني ، نفس المرجع ، ص 217 . رشيد مصطفاي ، نفس المرجع ، ص 277 .

قصيدة عيدية في الامير عبد الله بن العزيز الحمادي يصف جنائبه وقضاءه ، حق العيد وواجبه :

وجالت بـه جرد المذاكي كأنها ... عذارى ولكن نطقهن تحمحم
بصفراء كالتبر العتيق صقلية ... ودهماء يتلوها كميت وأدهم
وأشقر لو يجري والبرق جهده ... لكان له يوم الرهان التقدم
وأقام لواء النصر يتبع راية ... بها العز معقود عليها متمم
فلما قضى حق الصلاة معظما ... ثنى والهدى في وجهه يتوسم
فلا زال يقضي نفله وفروضه ... وبرد علاه بالمدائح معلم

12 — **علي بن مكوك التطيبي**[1]:

ذكر ابن بشرون انه أورد له هذه الابيات :

الا ليت شعري هل من الدهر عودة ... ليقرب ناء ليس يدرى له أين
تكدر صفو العيش مذ جد بيننا ... وأي التذاذ لا يكدره البين
لعلي الذي يلبي ويشفي من الاسى ... يعيد الذي ولى فكل به هين
غدوت من الايام في حال عسرة ... تطالبني دينا وليس لها دين

13 — **حماد بن علي الملقب بالبين**[2]:

ذكر ابن بشرون انه له :

لمن اشتكي ما أراب من الدهر ... وقد ضاق بي عن حمل ايسره صدري
وقل الذي يجدي التشكي، وأين من ... أرجّية في يومي لقاصمة الظهر
أراني قد أصبحت في قطر باجة ... غريبا وحيدا في هوان وفي قهر
فقيرا لمن قد كنت أغنى بنيله ... وأنعم في أيامه جلوة العمر
وأرمق عيشا كدر الدهر صفوه ... وصيره بعد انجبار الى الكسر

(1) عن علي بن مكوك ، انظر : العماد الاصفهاني ، نفس المرجع ، ص 218 .

(2) عن حماد بن علي الملقب بالبين ، انظر : العماد الاصفهاني ، نفس المرجع ، ص 219 .

وعهدي به روضا اريضا وجنـــة مذللة الاكناف رائقـــة الزهـــر
وان رمت أن أعدوا لاهلي عاجلا بلا مهل في أول الركب والسفر
ثناني عنـــه عامـــل الثغر وأنثنى يقابلني بالعنـــف منـــه وبالزجر
وقـــال اقتنـــع بـــرزق تنالـــه بلطف لعـــل اليسر يذهب بالعسر
وأطرق اطراق البغات لدى الصقر كأن لم أكن اذ ذاك منه على فكر

14 — محمد بن البين[1] **:**

قال ابن بشرون وهو يحدثنا عنه « أورده الرشيد بن الزبير في كتاب الجنان من الاندلسيين ولم أعرفه الا منه ، وأورد له :

جعلوا رضابك كي يحرّم راحـــا ورأوا به قتل النفـــوس مباحـــا
نشروا عليك من الذوائب حندسا فملأتـــه مـــن وجنتيك صباحـــا
ومتى أحسوا منـــك طيفا طارقا مـــلأوا أعنتهـــن الـــى رباحـــا
ضربوا عليك مـــن القتام سرادقا ركزوا شعاع الشمس فيه رماحا
وجلوا ظلام الليل بالصبح الذي قسموه بـــين حيادهم أوضاحـــا
وأتـــو بغدران الميـــاه جوامـــدا قـــد فصلوها ملبســـا وسلاحـــا

هذا معنى حسن قد جوده الاعشى النحوي مـــن شعراء المغرب ولا أدري أيهما أسبق اليه :

ملك اذا أدّرع الدلاص حسبته لبس الغدير وهـــز منـــه منصلا

ولمحمد ين البـــين :

برود قـــد خلقـــن علـــي حتى حكـــين الصبر في يـــوم الوداع
فجـــددها ليشـــــهد كـــل راء بأنـــي مـــن هباتـــك باتســـاع
وحمـّــل عاتقـــي ثقـــل المعالي فانـــي بالتحمـــل ذو اضطـــلاع

(1) عن محمد بن البين ، انظر : العماد الاصفهاني ، نفس المرجع ، ص 220 .

15 — عبد الحق البجائي[1]:

هو أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين الازدي الاشبيلي • فقال الاستاذ عمار طالبي وهو يحدثنا عنه : « ولد عبد الحق سنة 510/1117 ، ونزل بجاية بعد سنة 550 وتوفي بها سنة 582 هـ ، بعد محنة نالته من السلطة السياسية في ذلك العهد وكتب تاريخ وفاته على رخام على قبره ، خارج باب المرسى » •

وذكر الاستاذ عمار طالبي من بين مؤلفاته ديوان شعر •

16 — أبو الطاهر عمارة[2]:

عاش أبو الطاهر عمارة بن يحي بن عمارة الشريف الحسين في القرن السادس الهجري ، فقال : « الغبريني في حديثه عنه له علم وأدب وفضل ونبل ، قضى في بعض النواحي ببجاية وكان متقدما في علم العربية والادب وله تأليف في علم الفرائض منظوم وتواشيحه في نهاية الحسن وبها يضرب المثل وقد ذكر لي أن شعره قد جمع في ديوان ولكني لم أطلع عليه وقد رأيت بعض قطع مستحسنة من شعره » •

---

(1) عن عبد الحق البجائي ، انظر : الغبريني ، عنوان الدراية ، ص 73—75 . عمار طالبي ، الحياة العقلية في بجاية ، الاصالة ، عدد خاص ببجاية عبر العصور ، ص . رابح بونار ، عبد الحق الاشبيلي البجائي محدث القرن السادس الهجري ، الاصالة ، عدد خاص ببجاية عبر العصور ، ص 259—271 .

(2) عن أبي الطاهر عمارة ، انظر : الغبريني ، عنوان الدراية ، ص 76—80 .

2 ــ النقـد الادبـي :

من الادباء الذين اشتهروا في النقد الادبي في عصـر بني حماد نذكر النهشلي وابن رشيق •

آ ــ النهشـلي :

اننا تحدثنا عنه في الباب الذي خصصناه للشعر وله في النقد الادبي كتاب عنوانه : « كتاب الممتع في علم الشعر وعمله » قـد ارتاد بـه « أفقا من آفاق النقد وهيأ لغيره السبيل لكي يمضي فيه ويوضح أساليب النقد ومناحيه » •

ومن خلال ما جاء عن الممتع في كتاب العمدة لابن رشيق نرى ان النهشلي كان دقيق التحليل وصحيح الرأي وأنه كان له تأثير كبير فيمن خلفه من المؤلفين في النقد الادبي •

وقال عنه ابن رشيق في باب القدماء والمحدثين لكتابه العمدة [1]:

« ولم أر في هذا النوع أحسن من فصل أتى به عبد الكريم بن ابراهيم فانه قال : قد تختلف المقامات والازمنة والبلاد فيحسن في وقت ما لا يحسن في آخر ، ويستحسن عند أهل بلد ما لا يستحسن عند أهل غيره ونجد الشعراء الحذاق تقابل كل زمان بما استجيد فيه وكثر استعماله عند أهله ، بعـد أن لا تخرج من حسن الاستواء وحـد الاعتدال ، وجودة الصنعة ، وربما استعملت في بلد ألفاظ لا تستعمل كثيرا في غيره ، كاستعمال أهل البصرة بعض كلام أهل فارس في أشـعارهم ، ونوادر حكاياتهم ، قال والذي اختاره أنا التجويـد والتحسين الذي يختاره علماء الناس بالشعر ويبقى غابره على الدهر ويبعد عن الوحشي المستكره ، ويرتفع عن المولد المنتحل ويتضمن المثل السائر والتشبيه المصيب والاستعارة الحسنة » •

---

(1) ابن رشيق ، العمدة ، ج1 ، ص 75—76 •

ب ـ ابن رشيق :

قد تحدثنا عن ابن رشيق في دراستنا للشعر في عصر بني حماد وذكرنا قطعا من ديوانه ولكن شهرة ابن رشيق ترجع الى مؤلفاته في النقد الادبي فنذكر منها : « قراضة الذهب » كتاب في انتحال الشعر و « أنموذج الزمان في شعراء القيروان » و « الروضة الموشية في شعراء المهدية » ولا سيما « العمدة » التي تعتبر من أعظم الكتب التي تألفت في النقد الادبي العربي . ونظرا الى أهمية هذا الكتاب اخترنا أربع قطع منه تفيدنا ببعض أفكار ابن رشيق في قضايا « القدماء والمحدثين » و « اللفظ والمعنى » و « المطبوع والمصنوع » و « المخترع والبديع » .

قال ابن رشيق في القدماء والمحدثين :

« كل قديم من الشعراء فهو محدث في زمانه بالاضافة الى من كان قبله » وقال في اللفظ والمعنى : « اللفظ جسم وروحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم ، يضعف بضعفه ويقوى بقوته ، فاذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر وهجنة عليه ، كما يعرض لبعض الاجسام من العرج والشلل والعور وما أشبه ذلك ، من غير أن تذهب الروح ، وكذلك ان ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ ، كالذي يعرض للاجسام من المرض بمرض الارواح ولا تجد معنى يختل الا من جهة اللفظ ، وجريه فيه على غير الواجب ، قياسا على ما قدمت من أدواء الجسم والارواح ، فان اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتا لا فائدة فيه ، وان كان حسن الطلاوة في السمع ، كما ان الميت لم ينقص من شخصه شيء في رأي العين الا أنه لا ينتفع به ولا يفيد فائدة وكذلك ان اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى لانه لا يجد روحا في غير جسم البتة » .

وقال في المطبوع والمصنوع : « لسنا ندفع أن البيت اذا وقع مطبوعا في غاية الجودة ثم وقع في معناه بيت مصنوع في نهاية الحسن لم يؤثر فيه الكلفة ولا ظهر عليه التعمل كان المصنوع أفضلها ، الا اذا توالى ذلك وكثر لم يجز البتة أن يكون طبعا واتفاقا اذ ليس ذلك في طباع البشر وسبيل الحاذق بهذه الصناعة ـ اذا غلب عليه حب التصنيع ـ أن يترك للطبع مجالا يتسع فيـه » .

وقال في المخترع والبديع : « والفرق بين الاختراع والابداع وان كان معناهما في العربية واحدا ـ ان الاختراع : خلق المعاني التي لم يسبق اليها ، والاتيان بما لم يكن منها قط . والابداع : اتيان الشاعر بالمعنى المستظرف ، والذي لم تجر العادة بمثله ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له بديع وان كثر وتكرر فصار الاختراع للمعنى ، والابداع للفظ فاذا تم للشاعر أن يأتي بمعنى مخترع في لفظ بديع فقد استولى على الامد وحاز قصب السبق » .

3 ـ النثر الفنـي :

فقد اشتهر في النثر الفني زيادة عن الشعر أبو حفص عمر بن فلفول فقال عنه ابن بشرون هو كاتب « يحيى بن العزيز الحمادي وخالصه وصاحب سره وله اليد الطولى في الانشاء الدال واعجازه فيه على البلاغة الودية بسحره في نثره » .

واشتهر كذلك أبو عبـد الله محمد الكاتب المعـروف بابـن دفرير[1] الذي كان على قول ابن بشرون « أحد كتاب الدولة الحمادية المتصرفين في الكتابة السلطانية » . وذكرنا فيما سبق الرسالة التي

(1) عن أبي عبد الله محمد الكاتب المعروف بابي دفرير ، انظر : العماد الاصفهاني ، نفس المرجع ، ص 211 .

وجهها الى أمراء بني هلال ليستنجدهم بعد فتح بجاية من طرف عبد المؤمن •

ومن كتاب الدولة الحمادية البارعين أبو القاسم عبد الرحمن الكاتب المعروف بابن العالمي الذي له هذه الرسالة[1]:

« ولما كتب في مضمار سلفك جاريا ولنا مواليا وفي قضاء طاعتنا متباهيا ، رأينا أن نثبت مبانيك ونؤكد أواخيك ونوجب لك ولخلفك ، ما أوجب سلفنا لسلفك ، تمييزا لهم عن الاكفاء ، ومجازاة لهم عن محض الصفاء والولاء فاستدم هذه النعمة العظيم خطرها بالشكر ، فأنت به جدير ، ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور » •

4 ـ الفلسفة والعلوم الدينية :

ومن مشاهير الفلسفة والعلوم الدينية أبو عبد الملك البوني كما ذكره الاستاذ عبد الرحمن الجيلالي « هو العلامة الفقيه المحدث أبو عبد الملك مروان بن علي الاسدي القطاني البوني ـ نسبة الى بونة • وهو خال أبي عمر القطان الفقيه» •عاشر مدينة قرطبة وفيها روى عن أبي محمد الاصيلي والقاضي أبي المطرف عبد الرحمن ابن محمد بن فطيس ، ثم ارتحل الى المشرق فأخذ عن أبي الحسن القابسي ولازم أبا جعفر أحمد بن نصر الداودي • وبعد هذه الرحلات العلمية واتصاله بأكابر العلماء في المشرق والاندلس ، تجرد « الى خدمة العلم بالتدريس والتأليف فكتب شرحه المختصر لموطأ الامام مالك ، وقد كان معول الناس يومئذ في دراسة الموطأ » • وكان

(1) عن ابي القاسم عبد الرحمن الكاتب ، انظر : العماد الاصفهاني ، نفس المرجع ، ص 212 . رشيد مصطفاي ، نفس المرجع ، ص 278 .

رجلا حافظا نافذا في الفقه والحديث ، وقال عنه أبو عمر توفي ببونة « وذكره الحميدي ، فقال : كان فقيها محدثا وله كتاب كبير شرح فيه الموطأ ، مات قبل الاربعين وأربعمائة »[1] •

ومنهم الشيخ أبو علي حسن بن علي بن محمد ،المسيلي الاصل ، المعروف بأبي حامد الصغير • فدرس ببجاية مدة طويلة وولي القضاء بها ، وقال الغبريني انه « جمع بين العلم والعمل وبين علمي الظاهر والباطن » وله من المصنفات الحسنة والقصص العجيبة المستحسنة ، له « التذكرة في أصول علوم الدين » وهو كتاب حسن طالعته وكررت النظر فيه • فرأيته من أجمل الموضوعات في هذا الفن ، وله « النبراس في الرد على منكر القياس » وهو كتاب مليح على ما أخبرت عنه » وله كتاب في علم التفكير ، سماه « التفكير فيما يشتمل عليه السور والآيات من المبادىء والغايات » وهو كتاب جليل سلك فيه مسلك أبي حامد في كتاب الاحياء وبه سمي أبا حامد الصغير[2] •

ومنهم عبد الحق البجائي الذي ذكرناه من بين الشعراء الذين عاصروا الدولة الحمادية ، ومن مؤلفاته في علوم الدين كتاب « العاقبة » وكتاب « التهجد » وكتاب « الرقائق والانيس » في المواعظ والامثال والحكم والآداب ، وكتاب « التوبة » ومقالة في « الفقر والغنى » و « الاحكام الكبرى » و « الاحكام الوسطى » و « الاحكام الصغرى » •

وكان لكتابه « العاقبة » تأثير كبير في المتصوفة الذين جاءوا من بعده •

---

(1) عن أبي عبد الملك البوني ، انظر : عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج1 ، ص 355 .

(2) عن أبي الحسن بن علي المسيلي ، انظر : الغبريني ، عنوان الدراية ، ص 66—72 .

ومنهم أبو مدين شعيب بن الحسين الذي ولد بأشبيلية حوالي سنة 1100/520 • وبعد أن رحل الى المغـرب الاقصى وصل الى بجاية واستقر بها وذكره الاستاذ عمار طالبي « ومن المدرسة الغزالية في بجاية نجد أشهر متصوفيها على الاطلاق ، أبا مدين امام الزهاد والعباد وشيخ الشيوخ » الذي كان يقول « طالعت كتب التذكير فما رأيت مثل كتاب الاحياء » فكان أبو مدين « يلازمه ويعكف عن قراءته » • ومن كلماته الطيبة التي ذكرها الغبريني : « اجعل الصبر زادك والرضا مطيتك والحـق مقصدك ووجهتك » ، « من أهمل الفرائض فقد ضيع نفسه » ، « أبناء الدنيا يخدمهم العبيد والاماء ، وأبناء الآخرة يخدمهم الاحرار والكرماء » ، « من خدم الصالحين ارتفع بخدمته » ، « مروءتك اعطاؤك عن تقصير غيرك » ، « الغيبة عن الحق خيبة » ، « من أراد الصفاء فليلزم الوفاء »[1] •

ومن رجال العلوم الدينية النازلين ببجاية ذكر الاستاذ عمـار طالبي : « أبا بكر بن الحسين الانصاري الميورقي تلميذ الطرطوشي » الذي « كان ذا نزعة زهدية وظاهرية » هرب من المغرب الاقصى في عهد المرابطين ، بعد أن حمل اليـه هـو وأبو العباس بن العريف (ت 538) هـ وأبو الحكم بن برجان (ت 530) هـ وهم جماعة عرفوا بالتصوف فخشيت منهم السلطة[2] •

ومنهم أيضا نذكر أبا القاسم البسكري[3] و« هو العلامة الامام

(1) عن شعيب ابـي بومديـن ، انظـر : الغبريني ، عنـوان الدرايـة ، ص 55—65 •

(2) عن أبي بكر بن الحسين الانصاري ، انظر : عمار طالتي ، الحياة العقلية ، الاصالة ، العـدد الخاص ببجاية عبـر العصور ، ص 159—160 •

(3) عن أبي القاسم البسكري ، انظر : عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج1 ، ص 340—342 •

الرحالة المقرىء الشيخ أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة بن محمد ابن عقيل الهذلي المغربي البسكري ، ولد سنة ثلاث وأربعمائة للهجرة ، أخذ العلم عن مشيخة بلده ثم ارتحل للطلب مستزيدا من العلم سنة خمس وعشرين فطوف بلاد الشرق والغرب فقرأ على المشائخ بأصبهان ، منهم الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الاصبهاني وغيره ودخل بغداد فقرأ بها على القاضي أبي العلاء محمد بن علي بن يعقوب الواسطي وورد نيسابور سنة ثمان وخمسين فحضر دروس أبي القاسم القشيري في الاصول وأبي بكر بن منصور وغيرهما » .

« قال عنه ابن الجزري : فلا أعلم أحدا في هذه الامة رحل في القراءات رحلته ، ولاقى من لقى من الشيوخ ... ذاع ذكر الشيخ على الافواه وقرع صيته الاسماع فاستدعاه الوزير نظام الملك سنة ثمان وخمسين واربعمائة الى الاقراء بمدرسة نيسابور وقرره استاذا فيها ، فمكث فيها الشيخ ناشرا علمه بها الى وفاته سنة خمس وستين واربعمائة وقد عمي في آخر عمره رحمه الله » .

« وله من التأليف كتاب الكامل في القراءات .. الى أن قال والفت هذا الكتاب فجعلته جامعا للطرق المتلوية والقراءات المعروفة ونسخت به مصنفاتي كالوجيز الهادي » .

ومنهم أيضا أبا محمد الاشيري وابن الرمامة ويوسف الورجلاني الذين ذكرهم الاستاذ عبد الرحمن الجيلالي فقال صاحب « تاريخ الجزائر العام » وهو يحدثنا عن الامام المحدث الفقيه الاديب الشيخ أبي محمد عبد الله بن محمد الاشيري : « كان امام أهل عصره في الفقه والحديث والادب فانتقل الى الشام وسكن حلب الشهباء ففاق بها جميع علمائها . كما قال ياقوت : امام أهل الحديث والفقه والادب بحلب خاصة وبالشام عامة ، يتسابق الناس الى الاخذ عنه والتشرف

بالانساب اليه ويتفاخر الوزراء والملوك بمجالسته والاسترشاد بعلمه وآرائـه » .

« أستدعاه الوزير أبو المظفر عون الدين يحيى بن هبيرة وزيـر المقتفي والمستنجد الى بغداد وطلبه من الملك العادل نور الدين محمود ابن زنكي لاقراء بالاجلال والاكرام .. فأقرأ هنالك كتاب « الافصاح عن شرح معاني الصحاح » بمحضر الوزير مؤلف الكتاب نفسه وهو شرح يحتوي على تسـعة عشـر كتابا شـرح بها الوزير أحاديث الصحيحين[1] .

وقال الاستاذ عبد الرحمن الجيلالي في حديثه عن ابن الرمامة : « العلامة النظار الحكيم الفيلسوف الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي المشهور بابن الرمامة ، ولد بعاصمة الجزائر الحمادية (قلعة بني حماد) في رجب سنة 478/1085 ، روى عن أبي الفضـل النحوي بالقلعة وتفقه به وعن أبي محمد المقري ببجاية وابي اسحاق ابراهيم بن حماد وعن خاله أبي الحسن علي بن طاهر بن محشوة بمدينة الجزائر .

ارتحل الى الاندلس تاجرا وطالبا للعلم فلقي بقرطبة الفيلسوف الحكيم القاضي أبا الوليد بن راشد وأبا محمد بن عتاب وأبا بحر الاسدي وأبا الوليد بن طريف فأخذ عنهم ثم انتقل الى المغرب فنزل مدينة فاس وتولى بها خطة القضاء سنة 536/1142 ، وعكف هنالك على الدرس والنظر في الاحكام فأخذ الناس عنه وكان يميل الى مذهب الشافعية . له من التآليف كتاب « تسهيل المطلب في تحصيل المذهب » وكتاب « التفصي عن فوائد التقصي » وكتاب « التبيين في شـرح التلقين » وبذل وسـعه في تحقيق كتاب البسـيط للغزالي وتحرير نكته ومباحثه .

---

(1) عن أبي محمد الاشيري ، انظر : عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج1 ، ص 341—342 .

ومن أشهر من روى عنه أو أخذ عنه كتبه الحافظ أبو در الخمسي وأبو الحسن بن المفضل وأبو القاسم بن بقي وغيرهم ، وكانت وفاته رحمه الله بمدينـــة فاس يوم الاثنين 11 رجب سنة 10/567 مارس 1172 »[1] •

أما يوسف الورجلاني فقال صاحب « تاريخ الجزائر العام » وهو يحدثنا عنــه :

هو العلامة المتبحر أبو يعقوب بن ابراهيم الورجلاني ولد بمدينة ورجلان ورقلة بالجنوب الجزائري سنة 1106/500 • أخذ العلم ببلدته ثم ارتحل عنها الى الاندلس طالبا الاستزادة فدخل قرطبة خاصر العلم يومئذ وكان هنالك بـين المثقفين مثالا للنبوغ النــادر والادب الجم والاطلاع الواسع والعلم الغزير حتى كان الاندلسيون مع حداثة سنه يسمونه بالجاحظ ثم عاد الى وطنه وجدد منه الرحلة أيضا الى المشرق فدخل عواصمه العلمية اللامعة وتضلع فيها بجميع ما كان متعارفا مشهورا في وقته من العلوم الاسلامية معقولها ومنقولها وأكثر من الرحلة في سبيل العلم فتوغل في أواسط افريقيا حتى بلغ الى قريب من خط الاستواء قبل ما تبجح باكتشافه الاوربيون ولما عاد من رحلته لزم داره بورقلة منكبا على الدرس والتأليف •

ومن تآليفه تفسير القرآن العظيم في سبعين جزء ، و « الدليل لاهل العقول » وهو أحد كتبه الممتعة ، طبع بمصر سنة 1306 — 1888 • فجمع فيه فنونا من الحكمة والفلسفة والالاهيات وعلم الكلام والمنطق والهندسة ومناقشة المذاهب والتفسير ولــه أيضا كتاب « العــدل والانصاف » في أصول الفقه « وترتيب مسند الربيع بن حبيب »[2] •

---

(1) عن ابن الرممامة ، انظر : عبد الرحمن الجيلالي ، تاريـخ الجزائر العام ، ج1 ، ص 342 •

(2) عن يوسف الورجلاني ، انظر : عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج1 ، ص 356—357 .

5 ـ النحـو واللغـة :

ومن العلماء الذين اهتموا بالنحو واللغة عبـد الكريم النهشلي وابن أبي سهل الخشني اللذين تحدثنا عنهما في الباب الذي خصصناه للشعر • ومنهم أبو القاسم يوسف البسكري الذي ذكرناه في باب العلوم الدينية ، ويحيى بن عبد المعطي النحوي ، وبرع في علم اللغة زيادة على العلوم الدينية عبد الحق البجائي الذي على قول الاستاذ عمار طالبي ، ألف كتاب في اللغة عنوانه « الواعي » •

ومن العلماء الذين اهتموا باللغة والنحو ذكر الاستاذ عبد الرحمن الجيلالي الحسن بن علي التيهرتي فقال : « هو العلامة اللغوي الامام النحوي الحسن بن علي بن طريف تخرج على أئمة علماء الاندلس وكبار أساتذتها في القرن الرابع الهجري وكان ممن اخذ عنهم الحجاج ابن المأمون وابن سعدون ومروان بن عبد الملك والقاضي بن سهل وأبو محمد بن قحافة وأبو تمام القطبي وغيرهم • وعنه أخذ علامة المغرب أبو الفضل القاضي عياض وذكره في فهرسته وأثنى عليه يقول : شيخ بلدنا في النحو مشهور الصلاح درس عمره النحو وأخذ عنه جماعة أصحابنا وجماعة شيوخنا توفي رحمه الله تاسع ذي الحجة سنة احدى وخمسمائة (8 يوليو 1108) » •

وقال الاستاذ يحيى بو عزيز عن يحيى بن عبد المعطي النحوي انه « من قرى جبال جرجرة ، وقد رحل الى المشرق وولاه الملك المعظم شؤون جامع دمشق ثم طلب منه الملك الكامل بمصر ليقوم بالتدريس هناك فالتحق بها واعتكف على القاء الدروس وتخرج عـلى يديـه عدد من رجال الثقافة ويشتهر بمؤلفاته الكثيرة أشهرها « الفتية في النحو » وقواعد اللغة التي شرحها عدد من العلماء • وله الى جانبها عدد من الكتب والشروح مثل : « الفصول والعقود » و « القوانين في النحو » و « حوائش على أصول ابن السراج في النحو وشرح

على كتاب الجمل للزجاجي في النحو ، ومنظومات أخرى في اللغة والعروض والحديث » كلها تعتبر ذخرا ورصيدا في التراث الفكري العربي وقد توفي ابن معطي عام 1238م/628هـ ، وعلى غراره فعل ابن مالك النحوي الاندلسي تقليدا له فوضع الفية في النحو »[1].

6 ـ العلوم الاخرى :

آ) العلوم اليهودية[2] :

كانت قلعة بني حماد مركزا هاما للثقافة اليهودية في سنة 1013/403 ، فولد بها اسحق بن يعقوب الفاسي الذي أصبح بعد وفاة حنانائل ونسيم مدير الدراسات اليهودية بالمغرب ، اضطر اسحق ابن يعقوب الفاسي الى مغادرة القلعة سنة 1088 ، واستقر بفاس حيث أخذ عنه عدد كبير من الطلبة ثم سافر الى الاندلس حيث توفي سنة 1103/497 — 1104 .

ومن تآليفه « الهلخوت » وهو مختصر جزء من التلمود وهو سنة اليهود الذي كان يعتمد على التقاليد البابلية والتقاليد الفلسطينية . ونال هذا الكتاب شهرة كبيرة وفاق الكتاب الذي كان ألفه ربّي القيروان حنانائل بن حوشيئل (ت 1050 م) .

ب) التاريخ :

نذكر في علم التاريخ عالمين هما : النهشلي الذي كان علما في

---

(1) عن يحيى بن عبد المعطي ، انظر : يحيى بوعزيز ، جهود الجزائر الفكرية ، في موكب الحضارة العربية ، الاصالة ، عدد خاص ببجاية عبر العصور ، ص 293—294 .

(2) عن العلوم اليهودية ، أنظر :
Idris, La Berbérie Orientale sous les Zirides, t. 2, pp. 802 - 808.

أيام العرب والورجلاني الذي ألف كتاب عنوانه « فتوح العرب » ، وقصيدة عنوانها : « القصيدة الحجازية » نظم فيها رحلته العلمية الى افريقيا الوسطى في 350 بيتا جمع فيها كثيرا من فنون العلم •

ج) الطـــب :

في ميدان الطب اشتهر علي بن الطبيب وابن أبي المليح الطبيب اللذان تحدثنا عنهما في الباب الذي خصصناه للشعر •



شكل 7 ــ سور بجاية الحمادي

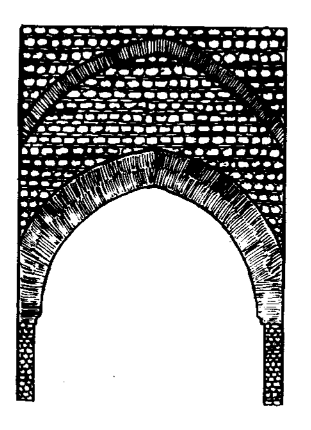
الفصل الخامس

الفنـــون

ا ـ المبـاني العسـكرية :

أسس بنو حماد مباني عسكرية ببجاية وقلعة بني حماد •

آ) **مباني بجـاية** : السـور وباب البحـر وشـوف الرياض (شـكل 7 وشـكل 8)



شكل 8 ـ باب البحر ببجاية

أشرنا الى سور بجاية في حديثنا عن المدن فما زالت آثاره الى أيامنا هذه . فكان ينحدر من الناحية الشمالية للمدينة المسماة حاليا ببرج بوليلة الى الجنوب ثم يتبع شط البحر نحو الشمال ويتراوح عرضه بين 1ر70 و 2ر50 م وارتفاعه بين 4 و 6 م ونجد في أعلاه ممرا للحراس تكلله شرفات . وكان هذا السور مبنيا بالحجر وسافات من الآجر مكلسا بالجير والسمنت . وحوالي كل 25 م نجد بروجا ناتئة مستطيلة القواعد ذات المقاسات التالية : الطول 4 م والعرض 3 م والارتفاع 6 م وكان نتوء البروج يبلغ 2ر5 م وكان لباب البحر قوسان مكسورتان مبنيتان بالآجر تعتمد القوس السفلى على دعامتين من الحجر أما القوس العليا فهي ناتئة بالنسبة الى الاولى وكان ممر الحراس موضوعا فوقها . وكانت المساحة الموجودة بين القوسين وبين القوس الثانية وممر الحراس مبنية بالحجر وسافات من الآجر . وعلى يمين الباب ويساره نجد برجا مستطيلا وبجانب السور والابواب هناك بناء آخر اسمه (شوف الرياض) وصفه فيرو في الكتاب الذي خصصه لبجاية[1] كان (شوف الرياض) برج يحرس ثلاثة أبواب منها باب البنود وبقمة هذا البرج كانت توجد آلة بمرايا تستعمل للمراسلة مع بروج مماثلة مبنية في المدن الحمادية الرئيسية الاخرى . وفي الليل كانوا يستعملون النيران ولذلك القي على هذا البرج اسم المنارة .

ب) مباني قلعة بني حماد : السور ، باب الاقواس ، وبرج المنار :

ما زالت آثار سور قلعة بني حماد موجود الى أيامنا هذه . فكان هذا السور على شكل رجل كبش فيتبع الشط الغربي لوادي فرج من جهة الشرق ثم يتجه نحو الشمال الى أن يصل الى جبل تاكربوست ثم ينحدر نحو جبل قرين وثم يتجه نحو الشمال ويعبر

(1) عن ابي القاسم عبد الرحمن الكاتب ، انظر : العماد الاصفهاني ، نفس المرجع ، ص 212 ، رشيد مصطفاي ، نفس المرجع ، ص 278 .

واديا ويتبع شطه الشرقي (شكل 9) وكان طول هذا السور المبني من الحجر يبلغ 7 كلم وعرضه يتراوح بين 1ر20 و 1ر60 م ويخبرنا ابن حماد بأن الذي بنى قلعة بني حماد وسورها هو مملوك رومي يقال له بونياش[1] •

— باب الاقــواس :

أثناء الحفريات التي قمنا بها بناحية باب الاقواس لم نجد أثرا للباب نفسه ولم يبق الا مكانه وآثار السور على يمينه وعلى يساره • وتبين لنا أن السور الموجود على يسار الباب كان محصن بدعائم كما نراه في الصورة (شكل 10) •

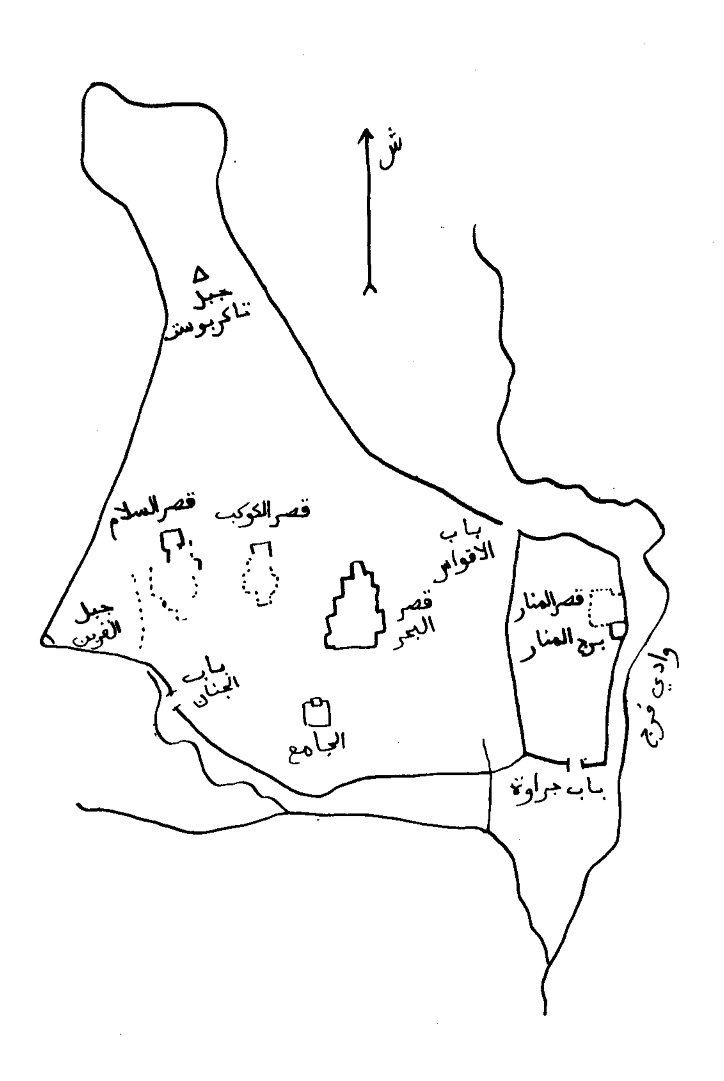
— برج المنــار : (شكل 11 و 12 و 13 و 14)

لهذا البرج قاعدة مربعة يبلغ ضلعها 20 م وواجهة مزينة بمشكوات نصف دائرية القعر • فيشتمل على قاعتين موضوعتين احدى فوق الاخرى • ان القاعة السفلى مربعة ومسقفة بقبة ، والقاعة العليــا صليبية الشكل • كان ممر الحراس يحيط بالقاعتين ويرتفع من مستوى القاعة السفلى الى أعلى البرج حيث نجد آلة بالمرايا مثل آلة شوف الرياض •

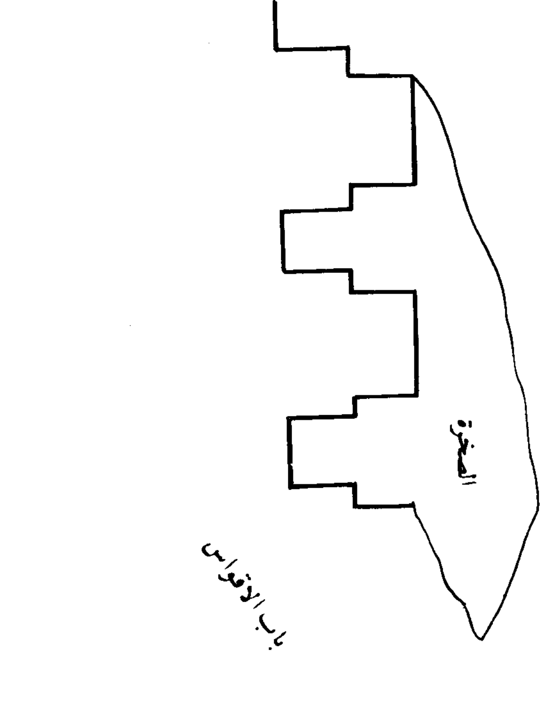
ويمكن أن آلة بالمرايا كانت موجودة بقلعة بني حماد قبــل تأسيسها من طرف حماد حيث أن ابن حماد عندما حدثنا عن الحرب التي شنت بين الخليفة الفاطمي المنصور وابي يزيد صاحب الحمار ، قال : « سمتها البربر قلعة المرى وانما هو المرآة لمرآة كانت منصوبة عليها في الزمان الاول »[2] •

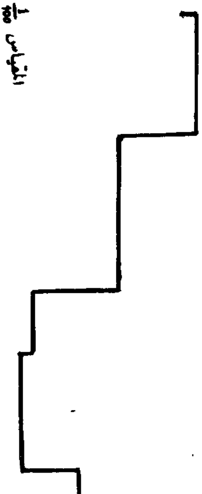
---

(1) ابن حماد ، أخبار ملوك بني عبيد ، ص 32 •
(2) نفس المرجـع •



شكل 9 ـ تصميم قلعة بني حماد





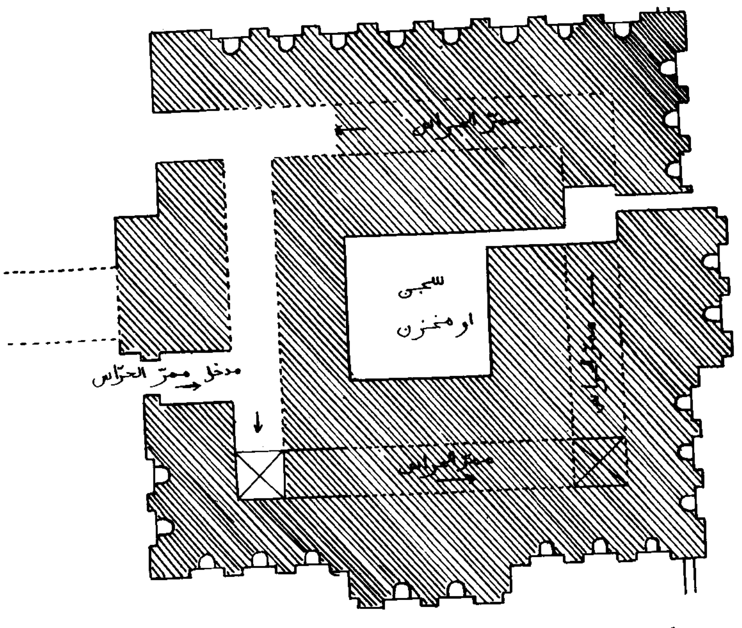
شكل 10 — سور قلعة بني حماد في ناحية باب الاقواس



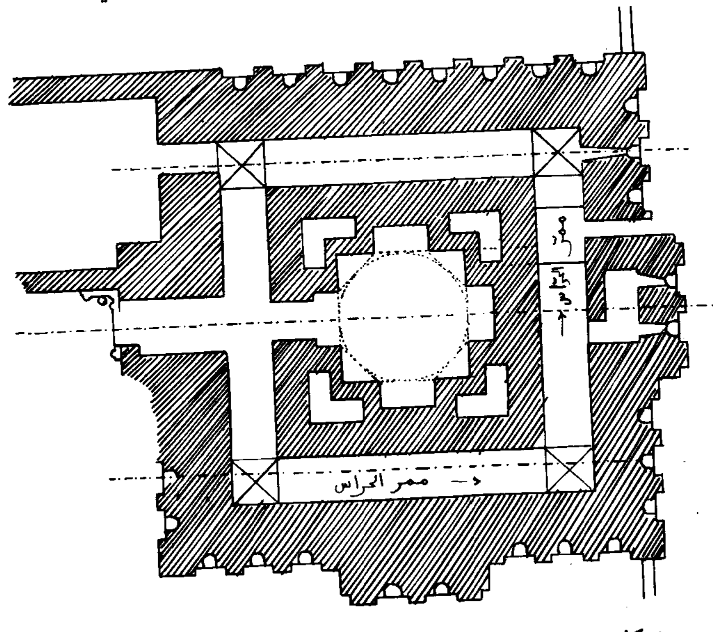
شكل 11 – وادي فرج



شكل 12 – بـرج المنـار



شكل 13 — برج المنار . تصميم القاعة التحتانية



شكل 14 — برج المنار . تصميم القاعة الفوقانية

2 ــ المبـاني الدينيـة :

أسس بنو حماد مسـاجد ببجاية وملالة وقلعـة بني حمـاد وقسنطينة •

آ) مساجد بجـاية :

لم يبق شيئا من مساجد بجاية الحمادية مثـل الجامع الاعظم ومسجد الريحانة ومسجد النطاعين ولكن أفادنا فيرو في كتـابه عن بجاية بوصف مفصل للمسـجد الاعظم • كان طول هـذا المسجد 220 ذراعا وعرضه 150 ذراعا وله واجهة مزينة بسبعة عشـر عقدا وباب كبير على يمينه ويساره الواح رخامية مزينة بكتابات رائعـة الشكل وبجانب هذا الباب الرئيسي كان للمسجد 22 باباً أخـرى أحدها يؤدي الى بيت صلاة مخصصة للنساء « كـان يحرسه شيخ كبير السن » • وداخل المسجد نجد 32 سارية مـن الرخام وقبـة عظيمة • وكانت أرض المسجد مفرشة بالرخام وجدرانه مغطاة بالزليج وعليها كتابات قرآنية • وكان ارتفاع مئذنة هـذا المسجد يبلغ 60 ذراعا وضلع قاعدته المربعة 20 ذراعا •

هذا ما وجدناه في كتاب فيرو عن المسجد الاعظم • هناك معلومات أخرى نجدها في الكتاب الذي خصصته وزارة الاعلام والثقافة لمدينة بجاية وفي كتاب للقائد ديبيلي فجاء في هذين الكتابين أن خطاطا من مدينة بجاية اسمه البجاوي نقل في سنة 1866 مخطوطا من القـرن الثاني عشر الميلادي • كان هذا المخطوط لاخيه وفقد من بعد نقله • وكان مؤلفه اسمه حماد وهو من ذرية الخليفة الموحدي عبد المؤمن • جاء في مخطوط البجاوي أن الامير الحمادي المنصور أتم بناء قصر اللؤلؤة في سنة 1100/494 وحوله الى مسجد ووضع الحجر الاساسي لمحرابه وزينه بعمودين من الرخام الاحمر والاصفر لم ير مثلهما وجدا في ردم كنيسة • لما سمع صاحب رومة بذلك أراد أن يشتريهما من

المنصور ولكن لم يقبل وبنى محراب المسجد بين العمودين • وذكر البجاوي أن الامير الحمادي شيد جباً في صحن المسجد لم ير مثله في الكبر ومئذنةقرب بئر البستانيبلغ ارتفاعها 70 ذراعا وعرضها 25 ذراعا وكان لهذه المئذنة بابان أحدهما من جهة الشـــرق والآخر من جهة الجنوب وكانت بابا المئذنة وقوائمهما وساكفهما من الرخام المنقوش • واشترى المنصور العمود الاخضر بمبلغ كبير ووضعه في المسجد • وكان المحراب وما يحيط به من الرخام الابيض وفي وسطه عصابة مستديرة نقشوا عليها آيات مـــن القرآن الكريم • وكانت جدران المسجد مزينة بالنقوش وتصاوير رائعة الجمال من أسفلها الى أعلاها من بينها كتابات تقرأ بسهولة وكانت الاعمدة مزخرفة هـــي الاخرى بأناقة كبيرة • أما العمودان الاحمران فهما موضوعان ازاء المحراب • وفوق القبة كانت مكتبة فيها كتب جاءت من البلدان البعيدة وكتب الاساتذة الذين يدرسون في المسجد وبجانبها غرف الاساتذة • وكان عدد أعمدة هذا المسجد يبلغ 412 عمودا ، وطوله 222 ذراعا وعرضـــه 150 ذراعا وفي مقدمة المسجد ، نجد مقصورة بابها قرب المنبر •

وأضاف صاحب المخطوط أن المنصور أنفق ستة وثمانين ألف مثقال من الذهب لاتمام بناء المسجد وسنة بعد ذلك كبره وشيد فيه قبة باب البهو في طرف اسكوب المحـــراب • كانـــت هذه القبة موضوعة على اثنين وثلاثين عمودا تشكل دائرة أهداها صاحب جنوى الى المنصور وأصحبها بأحد عشر رجلا من الصناع الخبراء كان قد طلبهم منه الامير الحمادي بعد الاتفاق الذي وقع بينهما • وكانت هذه الاعمدة من رخام ندير ومزخرفة بكتابات رائعة الجمال لم ير مثلها أحـــد •

وأمام الاروقة كان الصحن مفرشا على حوالي خمسة عشر ذراعا وكان للمسجد اثنى عشر بابا وقاعة خاصة للنساء موجـــودة شرقي

المسجد ومفصولة عنه بجدار متقن البناء • في هذه القاعة مئتا عمود وقبة كبيرة موضوعة وسط قباب صغيرة وعيون عديدة تسيل من الجدران •

ب) مسجد ملالة :

ذكرنا فيما سبق أن البيذق قال في حديثه عن مسجد ملالة « أن أبناء العزيز لما رأوا ابن تومرت بملالة قالوا له : « يا فقيه نريد أن نبني لك مسجدا هنا • فقال لهم : — رضي الله عنه — ان شئتم • فبنوا له مسجدا بها وأقبل الطلبة يصلون اليه من كل مكان » • وذكر المراكشي[1] من جهته ان هذا المسجد كان يحمل اسم ابن تومرت وكان ما زال موجودا في عصره ولكنه لم يعرف تاريخ بنائه » •

ج) المسجد الكبير ومسجد المنار بقلعة بني حماد :

أثناء الحفريات التي قمنا بها استطعنا أن نكشف تماما الجامع الكبير ومسجدا صغير بقصر المنار • ان المسجد الاعظم (شكل 15) لم يحتفظ الا بقواعد جدرانه ودعائمه وبمئذنته • فهو على شكل مستطيل طوله 63,20 م وعرضه 53,20 م يحيط به جدار سمكه 1,50 م محصن من الخارج بدعائم مستطيلة طولها 1,80 م وعرضها 1,30 م • لهذا المسجد بيت صلاة مستطيلة طولها 53,20 م وعرضها 34,20 م تحتوي على ثلاثة عشر أسكوبا وثماني أبلطة • وفي بيت الصلاة نرى بناء يحيط بالمحراب ويحتوي على خمسة أساكيب وأربعة أبلطة • اننا بينا في الكتاب الذي خصصناه للفن الاسلامي الديني في الجزائر[2] ان هذا البناء ليس بمقصورة كما زعم سلادين ودي بيلي وجورج مارسي وانما هو مسجد صغير بني داخل بيت الصلاة بعد ما

---

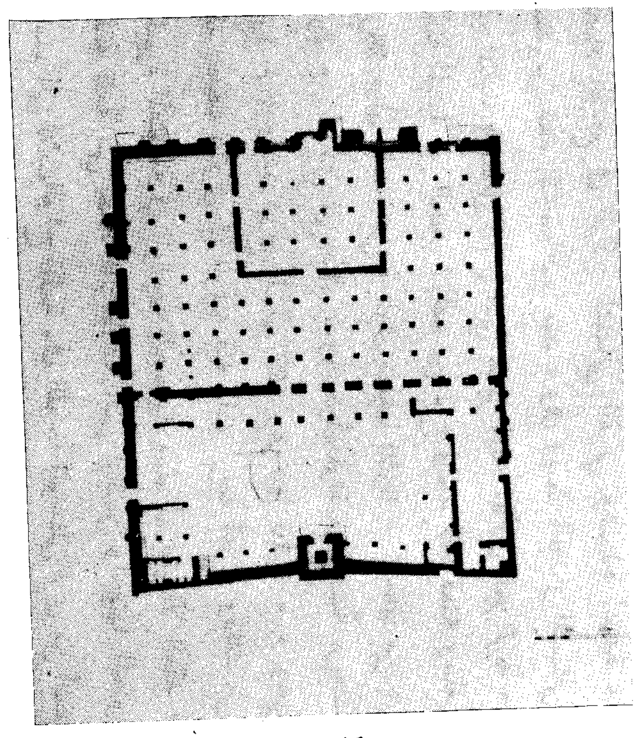
(1) المراكشي ، معجب ، ص 181 .

(2) R. Bourouiba, L'art religieux musulman en Algérie pp. 28 - 29.





شكل 16
مئذنة مسجد قلعة بني حماد



شكل 15
تصميم مسجد قلعة بني حماد

رحل بنو حماد الى بجاية وقل عدد سكان قلعة بني حماد • هذا فيما يخص بيت الصلاة • أما صحن المسجد فيبلغ طوله 20ر53 م وعرضه 90ر26 م • انه مفصول عن بيت الصلاة بجدار ذي أبواب • وكانت ثلاثة أبواب مفتوحة في السور الذي يحيط به أحدها شرقي والثاني غربي والثالث من جهة الشمال ، ان هذا الباب الاخير يؤدي الى سلم عدد درجه يبلغ تسعة • فهو مسدود حاليا • وكان الصحن مفرشا بالبلاط الابيض ومحاطا برواق • وفي وسطه نجد جبا يبلغ طوله 15ر11 م وعرضه 40ر5 م وارتفاعه الداخلي 80ر2 م مسقفا بعقد مكسور لم يبق الا جزء منه • وأثناء الحفريات التي قمنا بها وجدنا في بيت الصلاة دنانير ودراهم موحدية وحليا ندرسها فيما بعد وكشفنا في الصحن آثار قاعة طولها 40ر6 م وعرضها 40ر3 م مفرشة بالحجر تقسمها قوس نصف دائرية الى قسمين • يمكن أن هذه القاعة كانت تستعمل كمكتبة • وبالاضافة الى هذه القاعة وجدنا جرة في الميضاء الواقع في الركن الشمالي الغربي وعدة أعمدة وتيجان • فسندرس هذه التحف فيما بعد ، وفي وسط الجدار الشمالي للصحن نرى المئذنة (شكل 16) التي تعتبر أقدم المآذن الجزائرية • ان هذه المأذنة المبنية من الحجر تتألف من برج واحد فقد قمته ويبلغ ارتفاعها 70ر24 م لها قاعدة مربعة طول ضلعها 50ر6 م ندخلها من باب عرضه 40ر2 م يؤدي الى سلم يدور حول نواة مركزية مربعة ضلعها 50ر1 م ، وعدد درج السلم 127 وعرضها 10ر1 م • وهي مسقفة بعقد نصف دائري في طرفيه قبة ذات أربعة أجزاء وذلك الى النافذة الكبيرة المفتوحة في الواجهة الجنوبية • ثم لم يبق الا العقد • وتمتاز مئذنة قلعة بني حماد بالزخارف التي تزين واجهتها الجنوبية التي تنقسم الى ثلاث الواح قائمة • في اللوحة الوسطى نرى من أسفل المئذنة الى أعلاها باباً مستطيلا ارتفاعه يبلغ 70ر2 م فوقه خشبة من العرعر

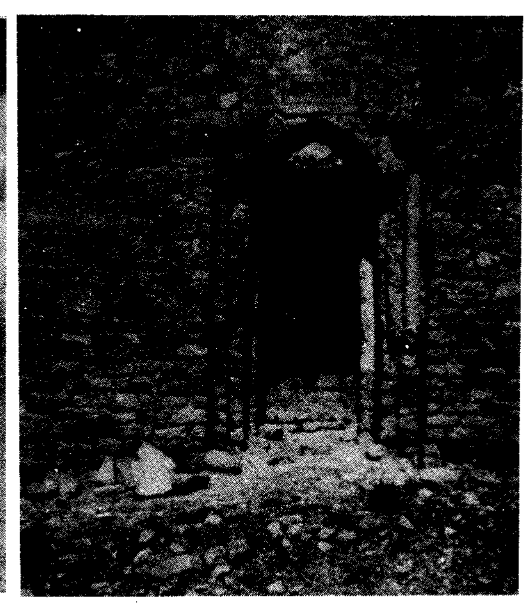
تكون ساكفا وعقد نصف دائري من الآجر كان موضوعا على عمودين موضوعين على يمين ويسار الباب • ثم نجد لوحة من الحجر يبلغ طولها 94ر0 م وعرضها 40ر0 م مزينة بزخارف نباتية وهندسية • فوق هذه اللوحة قوس خماسية الفصوص لم يبق منها الا جزء صغير ، ثم قوس نصف دائرية فوقها قوس مستقيمة منحنية ونافذة يبلغ ارتفاعها 10ر3 م وعرضها 55ر1 م جزؤها العلوي على شكل نصف دائرة ، ثم نافذة أخرى تساويها في الشكل والعرض يبلغ ارتفاعها 27ر2 م ثم ثلاث أقواس نصف دائـرية متحدة في المركـز ومدرجة (أشكال 17 و 18 و 19) •

هذا فيما يخص اللوحة الوسـطى أما اللوحتان الجانبيتان فكل واحدة منهما مزينة بمشكاة نصف دائرية القعر مكللة بقبة نصفية من الجص على شكل صدفة مثل المشكوات التي تزخرف برج المنار ، تعلوها مشكاتان مسطحتا القعر موضوعتان احدى فوق الاخرى كان جزؤهما العلوي مزينا بالآجر والخزف •

تلك هي الزخارف التي تزين الوجه الجنوبي لمئذنـة قلعة بني حماد • أما الوجوه الاخرى فلا نرى فيها الا نوافذ ضيقة •

هذا وصف مئذنة قلعـة بني حماد في أيامنا هـذه • فالسؤال المطروح هو : كيف كانت في عهد بني حماد • هل كانت تشتمل على ثلاثة بروج مثل مئذنتي القيروان وصفاقس أو على برجين مثل المآذن الموحدية • اننا قد بينا في كتاب آخر[1] ان الافتراض الثاني أقرب الى الحقيقة من الاول وان مئذنة قلعة بني حماد أثرت في المآذن الموحدية وخصوصا في مئذنة جامع اشبيلية التي لها زخارف منظمة حسب ثلاث ألواح قائمة • بالاضافة الى الجامـع الكبير اكتشفنا أثناء حفريات سبتمبر 1968 مسجدا صغيرا بقصر المنار (شكل 20) يبلغ طول هذا

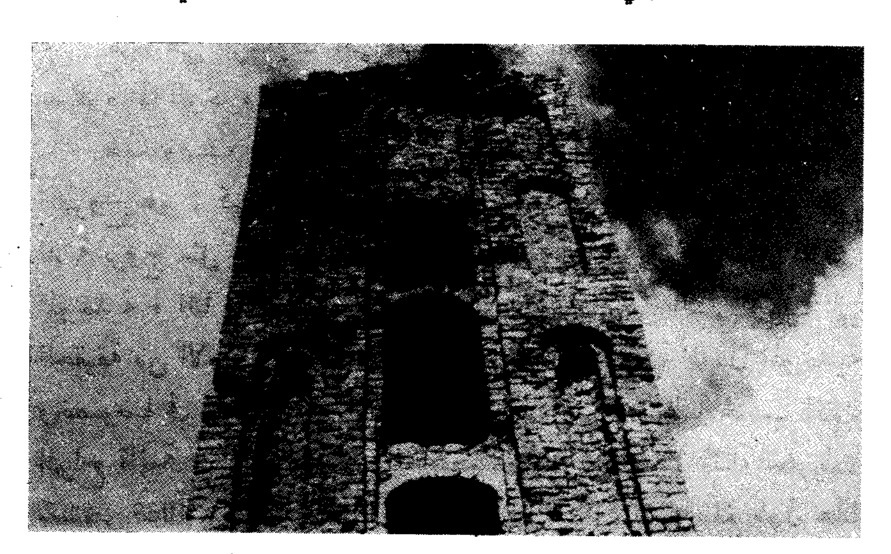
(1) R. Bourouiba, op. cit. pp. 45 - 46



شكل 17 ـ القسم السفلي لمئذنـــة قلعة بني حماد



شكل 18 ـ القسم الاوسط لمئذنـــة قلعة بني حماد



شكل 19 ـ القسم العلوي لمئذنـــة قلعة بني حماد



شكل 20 ـ مسجد قصر المنـار

المسجد 1ر80 م وعرضه 1ر70 م ندخله من باب عرضه 74 سم وارتفاع جداره الشمالي 76 سم ويبلغ عرضه 1ر02 م (شكل 21) ويفصل المسجد عن صحن القصر • فهو في وضعه الحالي عديم الزخارف ويبلغ ارتفاع الجدار الغربي 1ر03 م وعرضه 1ر80 م وسمكه 76 سم • فهو مزين بكتابة منقوشة في الجص فقدت بدايتها تحتوي على جزء من الآية 36 للسور 24 : « ••• اسمه يسبح له فيها بالغدو » • والجدار الجنوبي يبلغ ارتفاعه 2ر20م ونرى فيه محرابا ذا مشكاة نصف دائريةالشكل يبلغ عرضها 86سم وعمقها 53سم• كانت هذهالمشكاةمكللة بقبة نصف دائرية انهدمت قمتها ذات قاعدة مزينة بأخدود نصف دائري عرضه 6 سم وضفيرة تساوي الاخدود في العرض (شكل 22) وفي وسط مشكاة المحراب نرى كتابتين تحتويان على آيات من القرآن الكريم : الكتابة الاولى (ج) أفقية وتشتمل على السورة 112 : « قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » • والكتابة الثانية (8) تحتوي على الآية 18 من السورة 3 منقسمة الى أربع قطع :

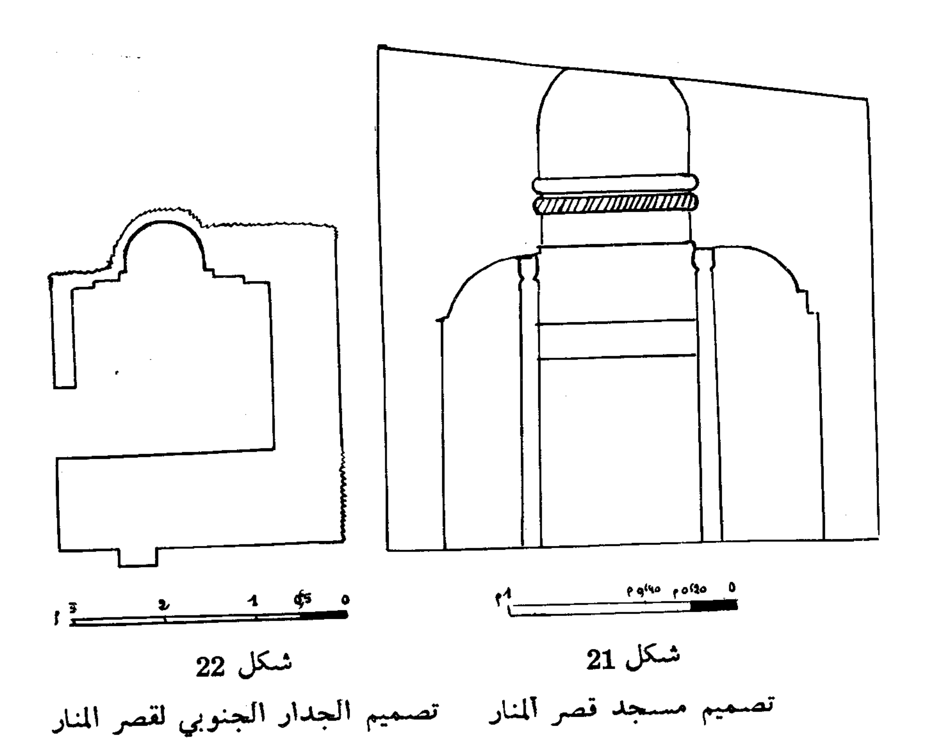
هـ 1 شـ(هد ال)له

هـ 2 : انه لا اله الا هو وا

هـ 3 : لملائكة وأولو (العلم) قائما بالقسط لا اله الا هو

هـ 4 : العزيز الحكيم

والجدير بالذكر هو أن توجيه هذه القطع تختلف : فالقطعتان هـ 1 و هـ 3 أفقيتان والقطعتان هـ 2 و هـ 4 قائمتان (شكل 23) هذا فيما يخص زخارف مشكاة المحراب • هناك زخارف أخرى تؤثث جدار المحراب على يمين المشكاة وعلى يسارها • تحتوي هذه الزخارف على كتابات متشبكة تحيط بزخرفة نباتية • نجد على يمين المحراب الكتابات التالية : بقية الآية 36 من السورة 24 التي كانت تزين



شكل 21

تصميم مسجد قصر آلمنار

شكل 22

تصميم الجدار الجنوبي لقصر المنار

شكل 23 ـ كتابات مشكاة محراب مسجد قصر المنار

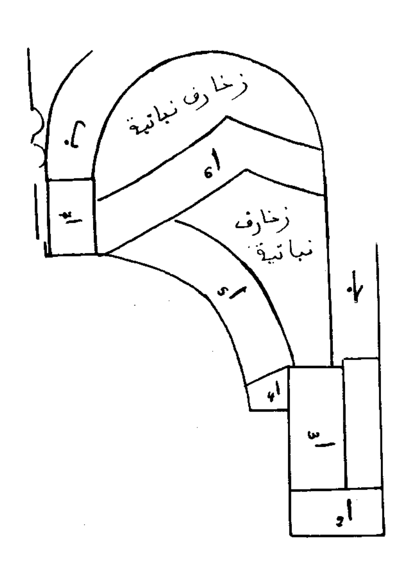
الجدار الغربي للمسجد فتنقسم هذه الكتابة الى ست قطع ذات توجيهات مختلفة (شكل 24) نصها وتوجيهها كما يلي :

أ 2 : والا (أفقية) •
أ 3 : صل رجال (قائمة موجهة من التحت الى الفوق) •
أ 4 : لا (أفقيـــة) •
أ 5 : تلهيهم تجا (على شكل قوس) •
أ 6 : رة ولا بيع عن ذكر (على شكل زاوية منفرجة) •
أ 7 : الله (قائمة موجهة من التحت الى الفوق) •

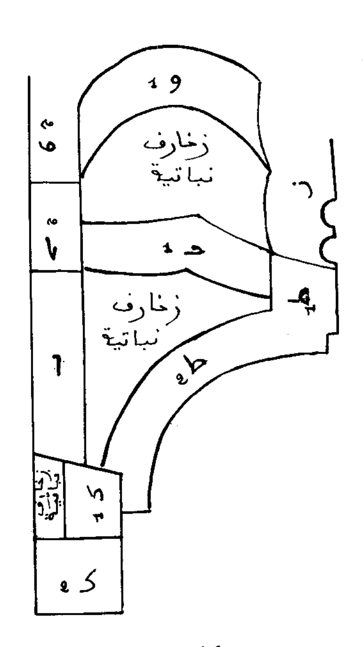
فتلي كتابتان الآية 36 من السورة 24 : احداهما (ب) تحتوي على بداية الآية 255 من سورة البقرة والاخرى (ج) جاء فيها : العز لله •

وأما الكتابات التي على يسار المحراب فتشتمل على كتابات نصها وتوجيهها كما يلي :

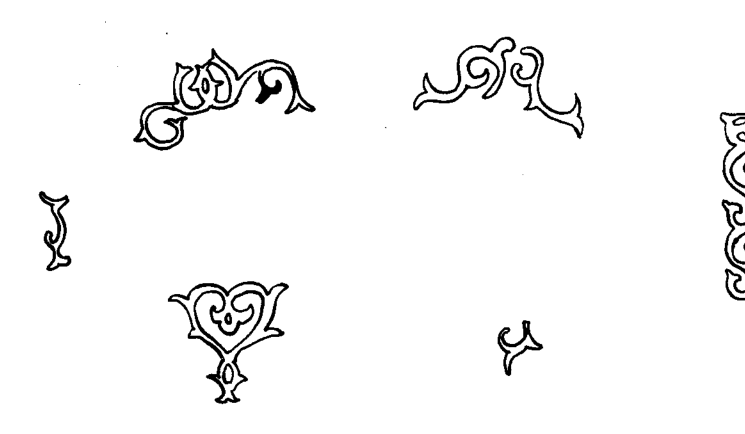
و 1 : الحمد لله رب (على شكل قوس) •
و 2 : العالمين (قائمة موجهة من الفوق الى التحت) •
ز : ما بقي منها الا كلمة الله (قائمة موجهة من الفوق الى التحت) •
ح : تحتوي على بداية الآية 59 مـــن السورة 6 وتنقسم الى قطعتين :
ح 1 : وعنده مفاتيح الغيب (على شكل زاوية منفرجة) •
ح 2 : الغيب (قائمة موجهة من التحت الى الفوق) •
ط : تشتمل على بداية الآيـــة 180 مـــن السورة 37 وتنقسم الى قطعتين :
ط 1 : سبحان (قائمة موجهة من الفوق الى التحت) •
ط 2 : ربك رب العزة عما ••• (على شكل قوس) •



شكل 24
كتابات على يمين محراب مسجد
قصر المنـــار



شكل 25
كتابات على يسار محراب مسجد
قصر المنـــار



شكل 26 — زخارف نباتية لمسجد قصر المنار

ش : الملك لله واحـد • العز (قائمة موجهة مـن الفوق الى التحت) •

ص : تحتوي على بداية الآية 62 من السورة 8 وتنقسم الى قسمين :

صـ1 : وان يريـ (قائمة موجهة من الفوق الى التحت) •

صـ2 : دوا (أفقيـة) •

هذا فيما يخص الكتابات التي تزين جدا رالمحراب • أما الزخارف النباتية فتشتمل على غصن وأوراق بسيطة أو مزدوجة وزهيرات ذات ثلاثة فصوص يحيط بها صف من اللآلىء (شكل 26) •

من جدار المحراب فلننتقل الى الجدار الشرقي ، فيبلغ عرضه 1,08 م ويساوي ارتفاعه ارتفاع جدار المحراب • وتزينه بقية الآية 62 من السورة 8 :

ص3 : ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي أيدك بنصره •

لمسجد قصر المنار أهمية كبيرة للاسباب التالية :

1) هو أصغر مسجد في العالم الاسلامي كله •

2) هو المسجد الجزائري الوحيد تابع لقصر يرجع تاريخه الى القرون الوسطى •

3) زخارف محرابه لا مثيل لهـا في الفـن الاسلامي : عقد محرابه النصف الدائري وأخدود المشـكاة وضفيرتها لم توجدا في أي مسجد آخر • والمحراب الوحيد الذي يشابهه هو المحراب الموجود بقبـة الصخرة بالقدس الذي يرجع تاريخه الى عبد الملك بن مروان •

4) لم نجد كتابات متشبكة الى هذا الحد الا في الجامع الكبير بقسنطينة الذي شيد هو الآخر في العصر الحمادي •

د) الجامع الكبير بقسنطينة :

يقول المؤرخ شاربونو معلقا على كتابة منقوشة فوق ضريح كان قد عثر عليها في الجامع الكبير بقسنطينة ، وتحمل تاريخ 1221/618 : « وجود هذا القبر الاثري في هذا المكان يدعونا الى الاعتقاد بأن الجامع الكبير تم في نهاية القرن الثالث عشر على أقل تقدير »[1] . ويقول المؤرخ ميرسي بصدد الحديث عن نفس الكتابة : « ان القسم الذي توجد فيه تلك الكتابة بالجامع الكبير قد هدم وحلت محله عمارات فرنسية ، ولذلك لم نعثر على تلك الكتابة المنقوشة » . وكان الجامع في القديم يحتل مساحة أكبر من التي يحتلها اليوم ، فلم يبق منه سوى بيت الصلاة ، واسعة بعض الشيء ، وهي موجودة في الدور الارضي ، وبها عدة صفوف من السواري العديمة الجمال ، المطلية بالجير . أما الواجهة ، فقد أعيد بناؤها تماما على حسب الهندسة المعمارية الفرنسية وهي بالتالي عديمة الاهمية من الناحية التاريخية ... على أن بقية بناء هذا الجامع يرجع الى عام 1236/653[2].

عندما كنا نقوم بتحضير دكتوراه الدور الثالث عن « الكتابات التذكارية في المساجد الجزائرية » أتيح لنا أن نزور الجامع الكبير بقسنطينة وأن ندرس ما فيه من المعالم الاثرية ، وكانت دهشتنا عظيمة عندما عثرنا على ثلاث كتابات تذكارية لم تنشر ، الاولى منها موجودة داخل المحراب وهي بالخط الكوفي وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد وعلى

(1) Cherbonneau, Recueil de la Société Archéologique de Constantine 1856 - 1957, pp. 78 - ss.

(2) Mercier, Corpus des Inscriptions arabes et turques de l'Algérie, II Département de Constantine pp. 5 - 6.

آله وسلم تسليما • هذا عمل محمد بن بو علي الثعالبي سنة ثلاثين وخمسمئة » •

وقد نقشت الكتابتان الباقيتان على صفيحتين من الجص موضوعتين احدى فوق الاخرى • ان الكتابة السفلى وضعت بالخط الكوفي ، وكتب تاريخها بالحروف لا بالارقام وهو 455/1063 •

أما الكتابة العليا فقد وضعت بالخط اللين وبها تاريخ يتألف من أربعة أرقام ، أحدها ، وهو رقم المئات مكسر ، أما بقية الارقام ، فهي : 1 للالوف و 8 للعشرات و 0 للآحاد • ويستنتج من ذلك أن التاريخ المذكور يمكن أن يكون اما 1080/1669 ، أو 1180/1066 ، أو 1280/1853 • والشيء المؤكد هـو أن الكتابة الموجودة داخل المحراب هي وحدها الكتابة المنسوبة الى الجامع الكبير بقسنطينة • ونحن اذن سنعتمد عليها لكي نقيم الدليل على أن هذا البناء ، أو على الاقل محرابه ، هو من صنع بني حماد •

بقي علينا بعد هذا أن نجيب على السؤال الآتي : ما هو القسم الذي يرجع الى القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي في الجامع الكبير ؟ •

نحن نرى أن الجدار الجنوبي يعود الى العهد الحمادي ، لأن المحراب الذي أنشىء فيه يحمل تاريخ 530/1136 • ومن المؤكد أيضا أن الجدار الشمالي يعود الى نفس العهد لأن الابواب الخشبية التي فتحت فيه توجد بها زخرفة شبيهة بالزخرفة التي تزين نقش الجدار الشرقي • ويرجع تاريخها الى 455/1063 • على أن الجدار الشرقي ليس من العهد الحمادي وذلك أن الجامع تهدم من ناحيته الشرقية أسكوب واحد على الاقل ومن الملحوظ اليوم أنه توجد ثلاثة أساكيب في الجانب الغربي للمحراب أسكوبان في الجانب الشرقي • أما الجدار الغربي فلا نعرف على وجه التحقيق الى أي عهد من عهود التاريخ يعـود •

هذا فيما يخص بيت الصلاة للجامع • أما الصحن فقد حدثت فيه تعديلات الى درجة أنه يصعب على الانسان معرفة ما كان عليه في الاصل •

بعد هذه التوضيحات سندرس على التوالي : مخطط بيت الصلاة ووسائل التدعيم والمحراب والابواب الخشبية والمئذنة والاشكال الزخرفية •

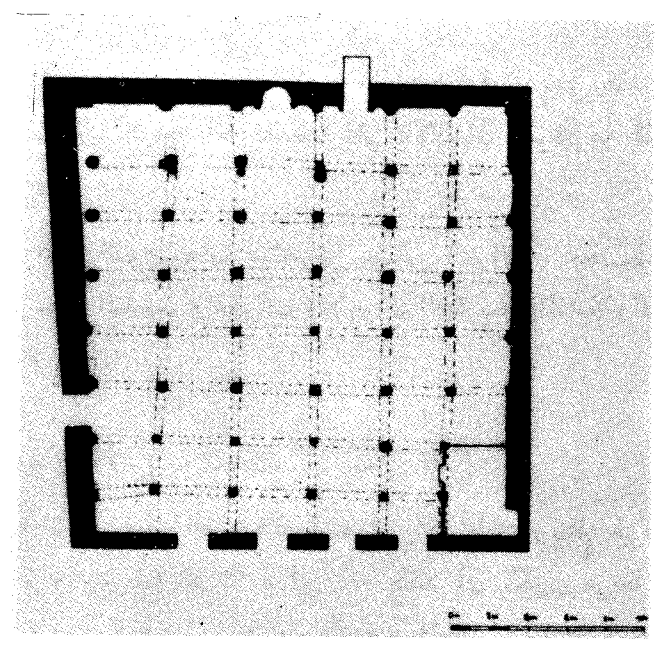
1 — **مخطط بيت الصلاة :** (شكل 27) :

يشبه شكل بيت الصلاة المنحرف المستطيل ويبلغ طوله في الداخل 24 م وعرضه 1ر22 م أي أنه يكاد أن يكون مربعا • وبه ستة أساكيب عمودية على المحراب وثمانية بلاطات متوازية للمحراب • وهناك جدار يفصل الصحن عن بيت الصلاة كما هو الامر في جامع قلعة بني حماد وفي جامع سيدي ابي مروان بعنابة • وتوجد بهذا الجدار أربعة أبواب عرضها 60ر1 م •

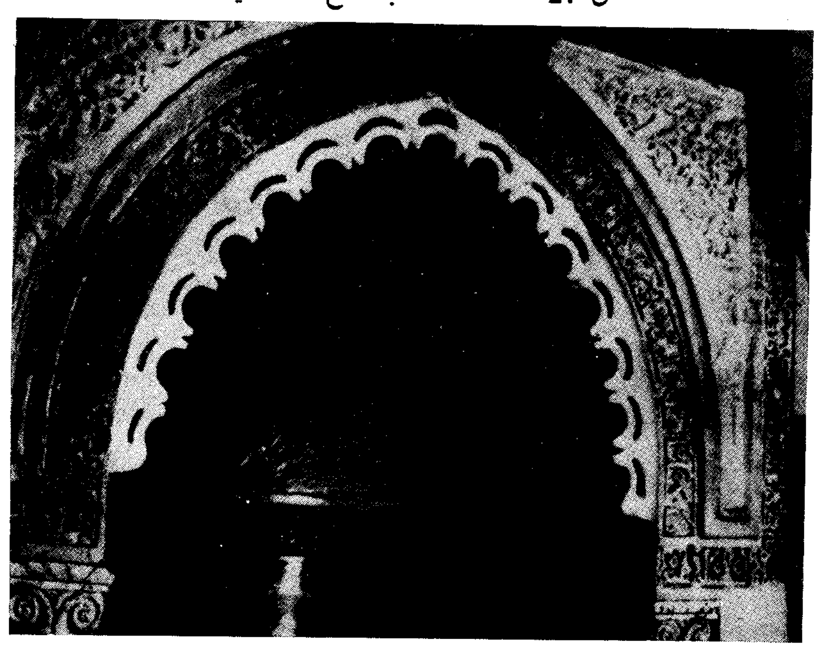
2 — **وسائل التدعيم :**

آ — **السواري والتيجان :**

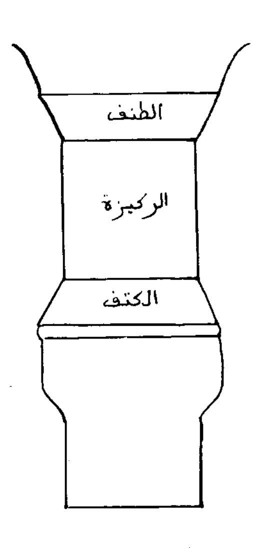
ان الجامع الكبير بقسنطينة لا يقل روعة عن أي أثر معماري آخر ، لما يوجد به من السواري القديمة • ومن هذه السواري ما هي اسطوانية الشكل ومدورة ومخروطية ، ومنها ما هي ملساء أو منقوشة بأخاديد يقدر عددها ، بحسب السواري ، اما بعشرين أو أربعة وعشرين ، أو ثمانية وأربعين ، ومنها ما ليس أملس ولا بمنقوش نقشا بديعا • وقطر الواحدة منها يتراوح ما بين 30 و 60 سم ، وسواري المحراب هي وحدها التي تعد من العهود الاسلامية • ولم تصنع لهذه السواري قاعدة ترتكز عليها • وستة منها مجمعة مثنى مثنى •

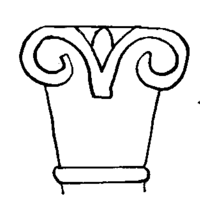


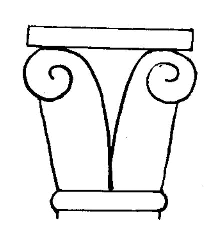
شكل 27 ـ مخطط جامــع قسنطينة .



شكل 28 ـ محراب الجامع الكبير بقسنطينة



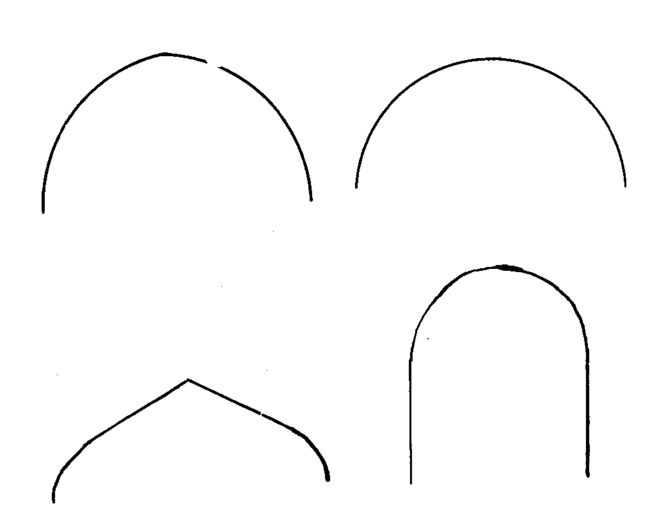




شكل 28
تاج عمـود محراب
الجامع الكبير بقسنطينة

شكل 29
تاج عمود مئذنة
قلعة بنـي حماد

شكل 31
العناصر المعماريةالموجودة
بين التاج والقوس



شكل 30 ـ اقواس الجامع الكبير بقسنطينة

أما التيجان ، فليس منها ما هو من العهود الاسلامية سوى التي ترتكز عليها قوس المحراب (شكل 28 مكرر) هذان التاجان لهما دوائر جانبية شبيهة بالتي عثر عليها المؤرخ جورج مارسي في باب مئذنة القلعة (شكل 29) • ولسنا على يقين من كونها من العهد الحمادي لأنه عثر على تيجان مماثلة لها تماما وهي من العهد التركي •

ب ـــ الاقــواس : (شكل 30) :

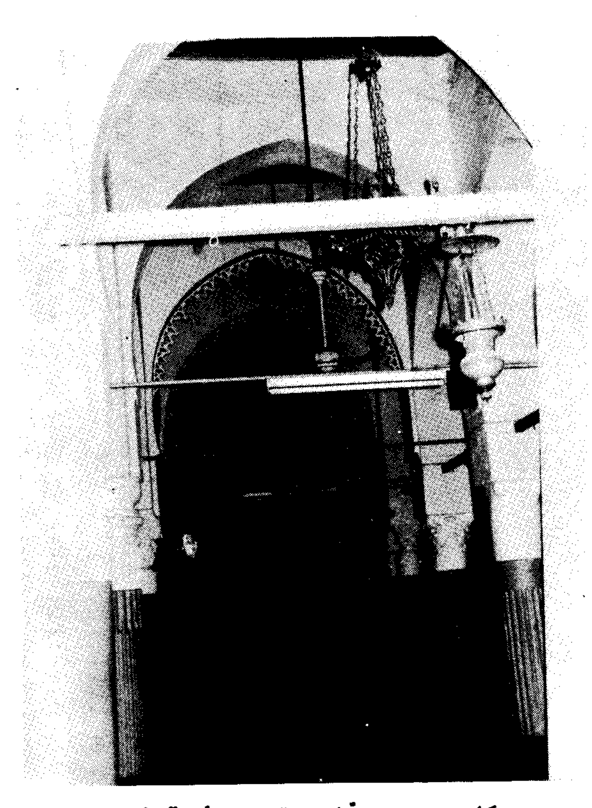
نجد في الجامع الكبير بقسنطينة أنواعا كثيرة من الاقواس ومنها القوس نصف الدائرية وما سماه جورج مارسي بالقوس المحرفة في القمة وليزين بالقوس نصف الدائرية المضغوطة في العرض ومنها أيضا القوس المكسورة المتعداة والقوس الايرانية •

ج ـــ العناصر المعمارية الموجودة بين التيجان والاقواس :

من الملاحظ أن المهندسين المسلمين عمدوا الى استحداث عناصر معمارية بين التيجان والاقواس لكي يزيدوا من ارتفاع سقف بيت الصلاة• وهذه العناصر ثلاثة وهي الكتف والركيزة والطنف• ان الكتف يشبه الهرم المقطوع ، بحيث أن القاعدة الصغرى منه تعلو على السطحية والقاعدة الكبرى متصلة بالركيزة• وتشبه الركيزة المتوازي السطوح وقاعدتها لها نفس المقياس التي للكتف(شكل 31)• قد ظهرت هذه العناصر المعمارية أول ما ظهرت في الجامع الكبير بالقيروان حيث نجدها كلها اما في قسنطينة فهي مقصورة في الغالب على ركيزة شبيهة بالمتوازي السطوح (شكل 32) وكنا نعتقد أن هذه الركيزة مبنية بالحجر • ولكن تبين لنا أنها من الخشب عندما سقطت الطبقة من الجير التي كانت تغطيها • وبعض التيجان لا يعلوها الا كتف مـــن الخشـــب المنقوش (شكل 33) •



شكل 33 – جامع قسنطينة :
كتف من الخشب المنقوش



شكل 32 – جامع قسنطينة :
النوادي والركائز والاقواس والمحراب .

3 ـــ **المحــراب** :(الشكلان 28و 32) :

آ ـــ **داخل المحراب** :(شكل 33) :

ان الجامع الكبير بقسنطينة كأغلب جوامع المشرق والمغرب التي بنيت قبله له محراب على شــكل قوس معــلاة • وبداخل المحراب ساريتان يعلوهما تاجان سبق وصفهما وارتفاع السارية 1,84 م بما في ذلك التاج ، وقطرها 15 سم •

ومشكاة محراب جامع قسنطينة مزينة بالكتــابة الكوفية التي أوردنا نصها في بداية دراستنا تعلوها قبة نصفية مزينة بأخاديد تنطلق وسط قاعدتها • ونجد نظير هذه القبة النصفية في محراب جامــع الخصاكي بمتحف بغداد ويرى المؤرخ كريسول بأنه منقول عن الجامع الذي بناه المنصور في بغداد عام 766[1] (شكل 34) •

كما نجد لها نظيرا في :

- محراب قديم قريب من ضريح « الشبيه » ويرجع تاريخه الى سنة 950[2] •
- ضريح الست كلثوم الذي بني عام 1166 م[3] •
- مسجد السيدة رقية الذي بني عام 1153 م[4] •
- ضريح الحصواتي 1125—1150 م[5] •
- ضريح يحي الشبيه 1150 م[6] •

---

(1) Creswell, Early Muslim Architecture, t. II, p. 7 et pl. 120.

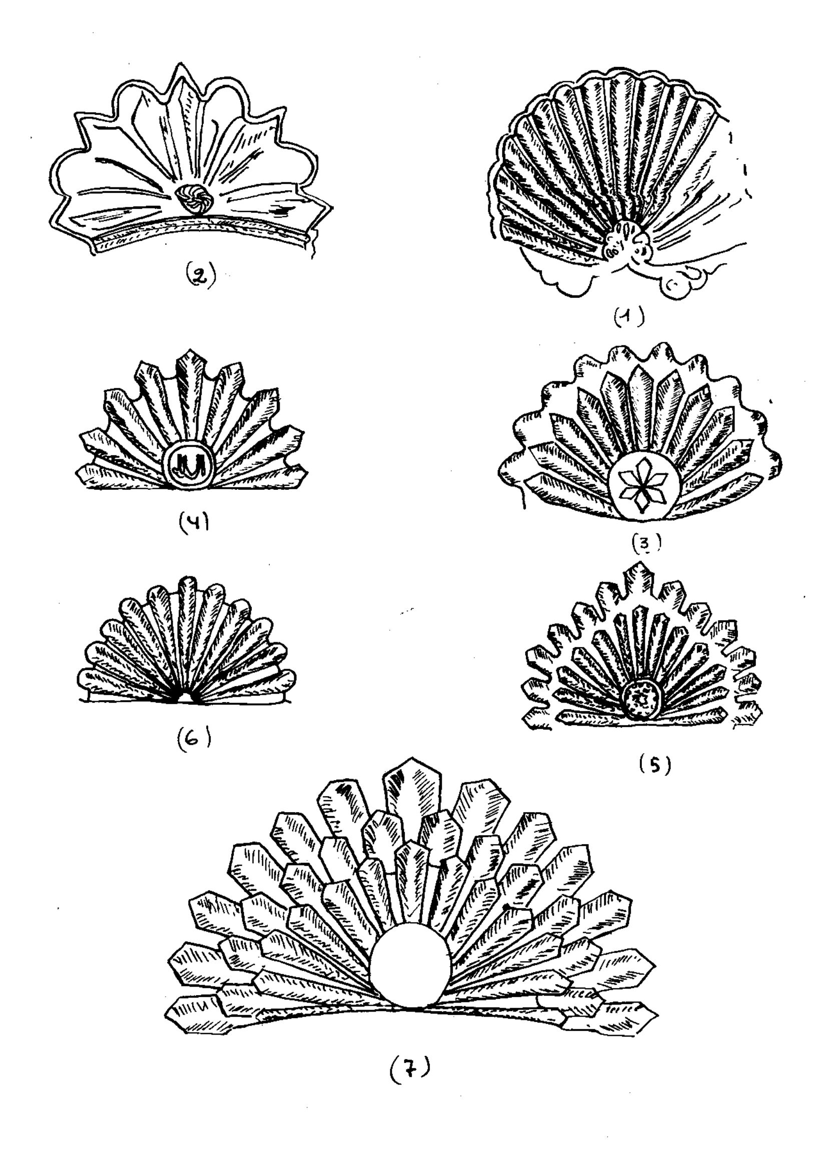
(2) Creswell, The Muslim Architecture of Egypte, pl. 3 (c) et 114 (c) .

(3) نفس المرجع ، اللوحتان 82 ب و 118 ب •

(4) نفس المرجع ، اللوح 87 ب و 119 أ ب ج د ، و120 (1)

(5) نفس المرجع ، اللوحتان ، 188 ب و 120 ب •

(6) نفس المرجع ، اللوحتان ، 121 ب و ج •



شكل 34 ــ قباب نصفية ذات أخاديد

وهذه القبة النصفية موجودة أيضا في مونستير بجامع الدز الذي قال عنه الاستاذ مصطفى سليمان زبيس[1] بأنه يعود الى القرن الخامس الهجري (1009 — 1106) • والفوارق الموجودة بين هذه القباب تتعلق بالقوس والاخاديد والزخرفة (شكل 34) •

فالقوس نصف دائرية في الجامع الخصاكي وهي من نوع القوس نصف الدائرية المتعداة في ضريح الست كلثوم ومسجد السيدة رقية والمحراب القريب من ضريح الشبيه • أما في مونستير فان القوس مكسورة قليلا ، بينما نلاحظ أن الكسر أقوى وأوضح في الجامع الكبير بقسنطينة • أما في المحاريب الاخرى فالقوس من النوع الايراني •

والاخاديد المنقوشة في جوامع بغداد ومونستير وقسنطينة ، عبارة عن أنصاف دوائر ، وعددها في المدينة الاولى السالفة الذكر سبعة عشر وفي الثانية أحد عشر وفي الثالثة خمسة عشر • وفي ضريح الست كلثوم تتناوب خمسة أخاديد مثلثة الشكل مع أربعة أخاديد على شكل أنصاف دوائر • أما في المحراب القريب من ضريح الشبيه فهي من النوع المثلث وعددها أحد عشر • وشكلها في المحاريب الاخرى شبيه بشكل الخماسي الاضلاع •

وأخيرا فان الزخرفة الرئيسية الموجودة على القبة النصفية عبارة عن قوس اهليجية الشكل[2] وسعف النخل[3] ودائرة مرسوم في داخلها نجمة سداسية الاطراف[4] وقفل لولبي[5] ونوط بيضوي الشكل[6] •

---

(1) سليمان مصطفى زبيس ، عبر المباني التونسية ، ص 29 •
(2) في محراب الجامع الكبير بقسنطينة •
(3) في محراب جامع الخاصكي •
(4) في المحراب القريب من مشهد الشبيه •
(5) في محراب ضريح الست كلثوم •
(6) في المحاريب الواقعة في رواق ضريح السيدة رقية •

ب ـــ اطار المحـراب :

ـــ قوس الانفتـــاح :

ان هذه القوس عبارة عن قوس مكسورة ذات فصوص غـير متساوية ومتراكبة على بعضها ومتشابكة وهذه فيما نعلم ـــ أول مرة يصنع فيها مثل هذه القوس .

ـــ الحنيـــة :

تقع الحنية بين قوس الانفتاح وقوس مكسورة متحدة معها في المركز وعرضها 13 سم مزخرفة بكتابة مرسومة بالخط الكوفي ، وهذه الكتابة متداخلة مع الكتابة الموجودة على الحافة المستطياة ، عـلى الصورة التالية : ان الكتابة التي تزين النصف الايمن مـن الحنية ممتدة كذلك الى القسم الايسر من الحافة المستطيلة ، بينما نجد أن الكتابة التي تشغل النصف الايسـر هي تتمة الكتابة المزينة للقسم الايمن من الحافة المستطيلة ، وسنتعرض لهما بالدراسة .

ولهذه الحنية خاصية أخرى ، وهي أنها متصلة بالحافة المستطيلة بواسـطة حلقـة .

ـــ الركنيتـان :

هناك ركنيتان عليهما زخرفة تمثل الازهار ، وهذه الزخرفة تكاد تختفي عن الانظار بسبب ما تراكم فوقها من طبقات الطـلاء .

ـــ الحافـة المستطيلة :

وهي مزينة بكتابات مرسومة بالخط الكوفي . وقد رأينا أن هذه الكتابات انما هي تتمة لكتابات الحنية وهذا نص الكتابات الموجودة في الحافة وفي الحنية التي تربط بينهما :

- الافريز الافقي الاسفل الايمن
تبتدىء منه الكتابة المنقوشة على المحراب وقد سبق عنها الحديث.
- الافريز العمودي الايمن
كتب عليه الآية 28 من السورة 13 : « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله » .
- الافريز الافقي العلوي الايمن
كتب عليه بقية الآية 28 من السورة 13 وبداية الآية 29 : « تطمئن القلوب . الذين آمنوا » .
- القسم العلوي من الحلقة
كتب عليه تتمة الآية 29 من السورة 13 : « وعملوا الصالحات ».
- القسم السفلي من الحلقة والناحية اليسرى من الناحية
كتب عليهما نهاية الآية 29 من السورة 13 والآية 126 من السورة 16 : « طوبى لهم وحسن مآب ، ان الله مع الذين اتقوا ، والذين هم محسنون » .
- الناحية اليمنى من الناحية
كتب عليها الآية 41 من السورة 33 : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا » .
- الافريز الافقي العلوي الايسر
كتب عليه الآية 42 من السورة 33 وبداية الآية 43 : « وسبحوه بكرة وأصيلا . هو الذي يصلي » .
- الافريز العمودي الايسر
كتب عليه تتمة الآية 43 من السورة 33 : « عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور . وكان » .
- الافريز الافقي الايمن
كتب عليه : « الله » .

— القسم العلوي مــن الاطــار :

توجد في هذا القسم زخرفة معمارية تتألف مــن ثلاثة أقواس معلاة ومتحدة المركز ومستندة عــلى الافريز الافقي مــن الحافة المستطيلة ، وهي تحد حنيتين ونافذة نصف دائرية •

ان الحنية الخارجية مزينــة بأقواس صغيرة ثلاثيــة الفصوص مصنوعة من الجص مرتبة كما يلي :

قوس من الصف العلوي موضوعة بين قوسين من الصف الاسفل مما يذكرنا بالزخرفة المسماة بالشبكة المعيّنة التي نجدها في المــآذن الموحدية •

أما الحنية الداخلية فهي مزينة بزخرفة هندسية على أرضية من الزجاج • والاشكال الهندسية هنا هي المربع والمربع الثماني الاسنان •

وأخيرا فان النافذة نصف الدائرية متألفة من زخارف زجاجية ويوجد فوقها تنميق يمثل بعض النباتات وسنتحدث عنه فيما بعد •

ويعلو الاقواس الثلاث المعــلاة ، قوس ترتكز عــلى ساريتين كبيرتين قائمتين على جانبي المحراب وهذه القوس تبدو نافرة بالنسبة الى المحراب ، تزين الباطن منه أشكال هندسية من نوع المعين • الا أن هــذه الزخرفة لا تكاد ترى بسبب ما يغطيها مــن الجير • ومما يسترعي الانتباه فيــه ، كتابة مرسومة في وسطه ، ومتصلة بكتابة أخرى مرسومة على افريز أفقي •

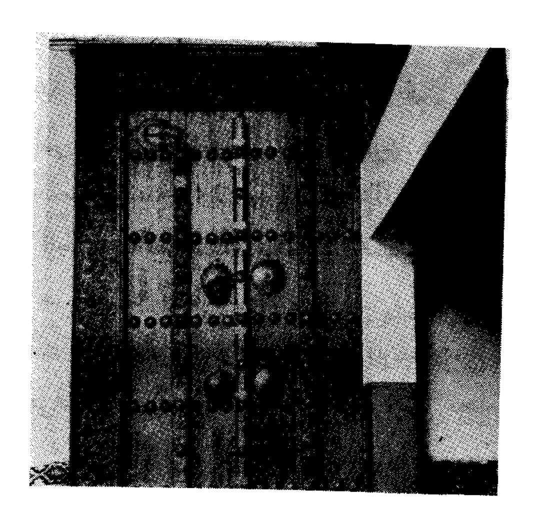
4 — الابــواب الخشبية : (شكل 35) :

للجامع الكبير بقسنطينة أربعة أبواب خشبية مفتوحة في الجدار الفاصل بين بيت الصلاة والصحن •

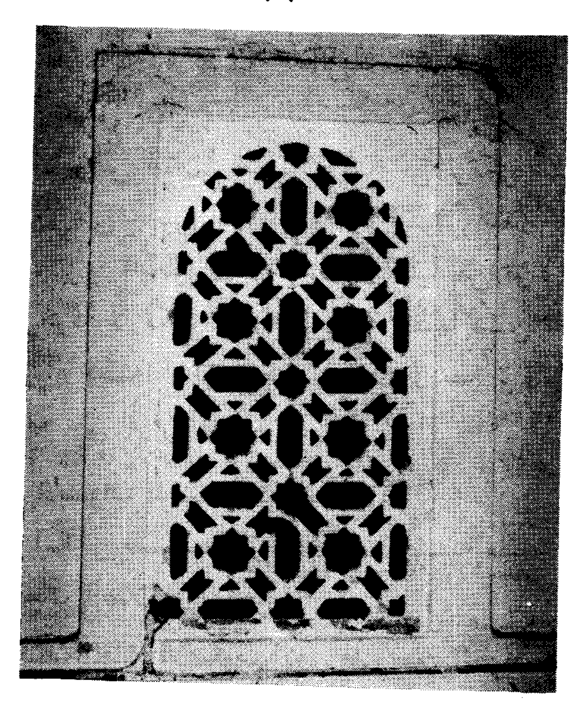
آ — الباب المقابل للاسكوب الاول على يمين المحراب :

— الاطــــار :

يتألف اطار هذا الباب من قائمتين ارتفاعهما 3ر33 م وعرضهما



أ ــ باب



ب ــ نافذة للجدار الشمالي

شكل 35 ــ جامع قسنطينة

27 سم ومن خشبة عارضة عرضها 1ر81 م وارتفاعها 27 سم • وقد زينت كل قائمة بمايلي :

— خيطية عرضها سنتمتر واحــد •

— ربعية عرضها 2 سم •

— لوحة مأطورة منقوشة ، عرضها 2 سم وهي مزينة بأغصان ملتفة محمولة على ساق نبات ، مشقوقة في الوسط بواسطة تلم ينتهي بورقة من الاقنتة وهذه الورقة مطوية عند حد التعريقة الوسطى ، ولها فص علوي يشبه الرمح وفص أسفل على شكل حلزوني •

— خيطية أخرى عرضها سنتمتر واحد •

— لوحة مأطورة ثانية ، منقوشة ، عرضها 13 سم• وهي مزخرفــة بصفوف من القلوب مرتبة كما يلي : قلب من صف موضوع بين قلبين مــن الصف الذي يعلوه ، أو يوجــد تحته • أما الخشبة العارضة فهي مزينة بتشبيك زهري •

ـــ الباب في حــد ذاتــه :

ان الباب في حــد ذاته مكون مــن مصراعين : مصراع أيمن ومصراع أيسر •

المصــراع الايســر :

عرضه 78 سم وهــو مزين بقضيب منقوش وغطــاء للوصلات عرضهما 75 سم وسمكهما 5 سم • ولا يشغل القضيب ارتفاع الباب كله كما أنه غير منقوش في وسط المصراع وهو مزين بثلاثة عشر من المسامير ذات الرأس المدور ، وقطر الرأس الواحد 5ر6 سم وارتفاعه 8ر1 سم • أما غطاء الوصلات فيشغل ارتفاع الباب كله • والقسم الاعلى منه مزين بشيء أشبه ما يكون بنخلة ، والباقي منه منقسم الى لوحات مأطورة صغيرة تتناوب فيها الاشكال المربعة والمستطيلة والاولى منها مسطحة ومزينة بمسمار • والاخرى محفورة في الجزء

الاكبر من ارتفاعهما ، وليست مسطحة الا في أطرافها • ويوجد بوسط كل منها مسمار وتوجد بين القضيب وغطاء الوصلات لوحتان مزينتان بسبعة صفوف من المسامير المماثلة للمسامير السابقة الذكر •

وعدد مسامير الصف ستة : ثلاثة في كل لوحة • وقد وضعت على نفس الخط الذي توجد فيه مسامير القضيب وغطاء الوصلات غير أن المسافة الفاصلة بين صف وآخر هي ضعف ما هي عليه في القضيب وفي غطاء الوصلات •

واللوحة المأطورة اليسرى مزينة في قسمها الاعلى بتلوين يمثل شكلا له ثلاث أسنان • وتوجد سبعة مسامير مرتبة بطريقة نصف دائرية ، وهذه المسامير تربط بين رأسي السنين الواقعتين في أقصى اليمين واليسار • كما توجد أربعة مسامير أخرى ، أحدها تابع لنصف الدائرة ، وقد رتبت على نفس الخط الذي تقع عليه السن الوسطى •

واللوحة المأطورة اليمنى مزينة بمطرقتين على شكل حلقة قطرها الخارجي 9 سم وسمكها سنتمتر واحد وهما موضوعتان داخل صفيحة مماثلة لهما في الشكل ، محفوفة بمسامير صغيرة وقطرها 19 سم • وتقع المطرقة العليا بين الصفين الثاني والثالث من المسامير ، والمطرقة الاخرى بين الصفين الرابع والخامس •

ـــ المصراع الايمن

ان هذا المصراع له زخرفة مماثلة للمصراع السابق ولكنه أقل منه في العرض اذ ليس له غطاء للوصلات •

ب ـــ الباب المقابل للاسكوب الثاني ، على يمين المحراب :

حالة هذا الباب أحسن من الباب السابق وذلك ان لوحته المأطورة التي ترجع الى العهد الحمادي لا تزال محتفظة بزخرفتها • وزيادة على هذا فان تنميق المصراعين يصل الى أسفل الباب بينما نرى

أن القسم الاسفل من الباب السابق غير منقوش • كما أن هذا التنميق أغنى من حيث الاشكال ، اذ نجد العناصر الزهرية مرسومة في أشرطة عرضها 2 سم • تتناوب فيها مربعات ثمانية الاسنان ومضلعات سداسية ممطولة • واخيرا ان هذا الباب مزين بحديدتين احداهما تقع في الزاوية اليسرى من المصراع الايمن والاخرى في الزاوية اليمنى من المصراع الايمن • وبالمقابل ، فان هذا الباب لم يبق فيـه الا ثلاثة مطارق ، اثنتان منهما في الاعلى ، وواحد فقط في الاسفل •

ج ـــ الباب المقابل للاسكوب الثاني على يسار المحارب :

ليس لهذا الباب أهمية كبرى • واطاره الذي لم يزين بالنقوش ، يرجع الى عهد قريب •

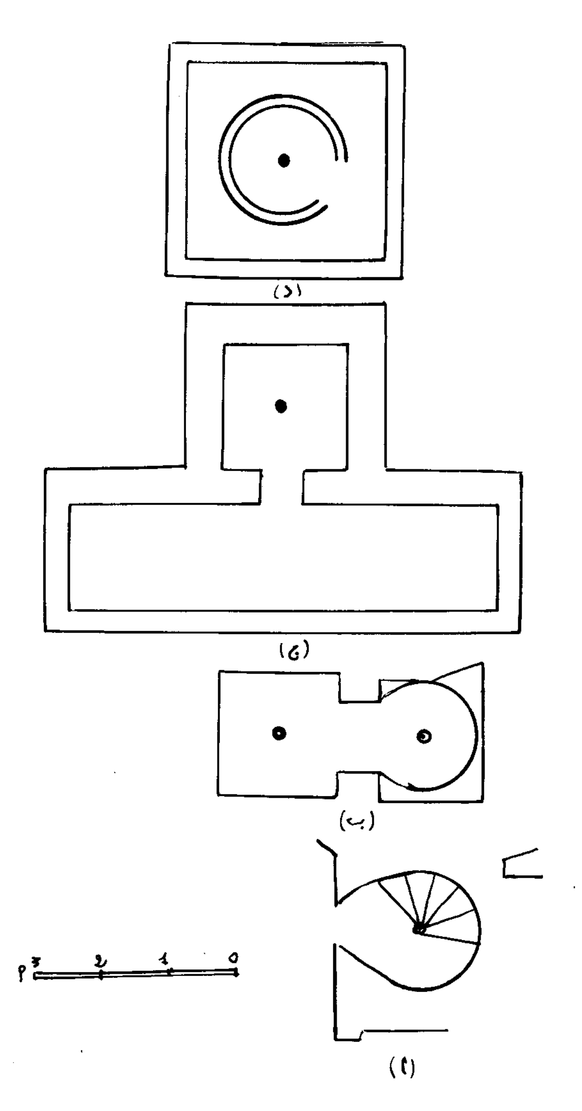
د ـــ الباب المقابل للاسكوب الثاني على يسار المحراب :

هذا الباب يشبه في زخرفة مصراعيه الباب الثاني الذي سـبق عنه الحديث • فهذه الزخرفة كتلك موضوعة في مربعات ثمانية الاسنان تتناوب مع مضلعات سداسية •

5 ـــ المئذنـة : (شكل 36) :

هذه المئذنة ذات سطح مربع ، وبهـا طابقان الثاني منهما أقل بروزا من الاول ، ولها أيضا مصطبة تحيط بها شرفة مخرمة ، وفانوس صغير أسطواني الشكل ينتهي بقبة شبيهة بالبصلة • واذا نظرنا الى داخل المئذنة ، فاننا نجد سلما مستديرا في قاعدته درجاته متصاعدة حول نواة مركزية تتألف من أخشاب أسطوانية قطرها 20 سم موضوعة احدى على الاخرى (شكل 36 أ) •

بعد خمسة وثلاثين درجة يصل الانسان الى سطح يؤدي الى مئذنة أخرى ، مربعة الشكل • وهي قائمة على نواة أسطوانية تشبه



شكل 36 ـ مئذنة جامع قسنطينة

السابقة ولها نفس المقاييس الا أن مركزها يقع على بعد 10ر2 م شرقي الاولى (شكل 36 ب) •

واذا صعدنا بعد ذلك ست عشرة درجة نجد أنفسنا أمام باب يؤدي الى سطح مستطيل يقع شمالي المئذنة ويبلغ طوله 25ر6 م وعرضه 56ر1 م (شكل 36 ج) •

لا بد بعد ذلك من صعود ثمانين درجة للوصول الى السطح العلوي • ولكن المئذنة التي كانت مربعة ، تتخذ شكلا دائريا قبيل الوصول الى ذلك السطح بثلاثين سنتمتر (شكل 36 د) • فالمئذنة بهذا الاعتبار غريبة الصنع وهي في معظمها ان لم تكن بكمالها ، مبنية بعد العهد الحمادي • ولا شك ان القسم الواقع فوق السطح الاول المستطيل لا يرجع الى القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي • وفيما يتصل بالقسم السفلي لا بد أن نلاحظ أن المآذن التي كانت في القرن السادس الهجري دائرية الشكل تعتبر نادرة • وقل منها ما له درجات متصاعدة حول نواة مركزية دائرية • ولا يوجد لها مثيل في المغرب وأما في المشرق فلا نعثر على مثل هذا الشكل الا في جامع الحكيم هذا ما يدعونا الى طرح السؤال التالي : هل المهندسون الحماديون استوحوا شكل المئذنة من الفن المعماري الفاطمي ؟ هذا غير مستحيل حيث أننا سنرى أن الزخرفة في العهد الحمادي لها نقاط تشابه مع الزخرفة الملحوظة في المساجد الفاطمية بالقاهرة • ولكننا لسنا على يقين تام من ذلك •

6 ــ الاشكال الزخرفية :

آ ــ الاقواس : (شكل 32) :

توجد في الجامع الكبير بقسنطينة أقواس زخرفية منوعة وهي : القوس ذات الفصوص الثلاثة عشر والقوس ذات الفصوص النفلية

والاقواس ذات الفصوص المتشابكة والاقواس المتراكب بعضها على بعــض •

ب ـــ المشـــكوات :

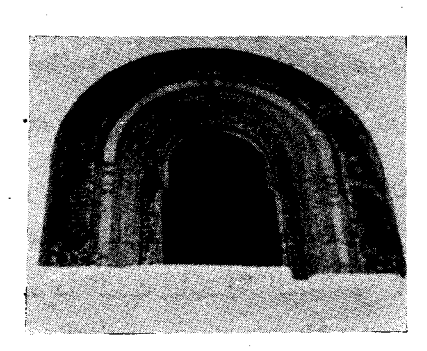
لا يوجد بالجامع الكبير بقسنطينة الا مشكاة واحدة ذات قاع مسطح ومحفورة في قسم من الجدار الجنوبي المقابل للاسكوب الثاني على يمين المحراب وقوسها القائمة عبارة عن قوس نصف دائرية الصقت بها قوس ذات فصوص عددها ثلاثة عشر •

ج ـــ النوافـذ : (من شكل 37 الى 40) :

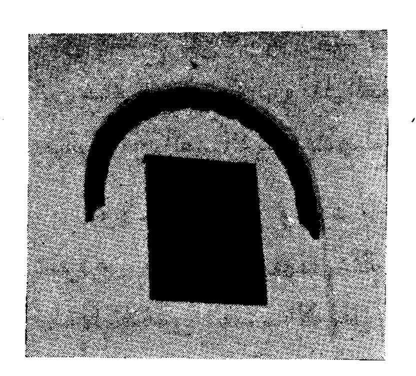
وجدنا منها تسعة ولكن لا نعرف هل هي من العهد الحمادي أم لا •

ـــ نافذتـا الجدار الجنوبـي :

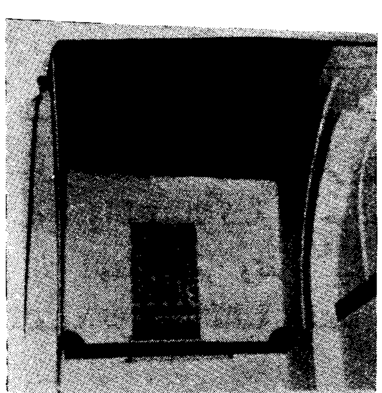
ان أحدهما في قسم الحائط المقابل للاسكوب الاول على يسار لمحراب • وهي محاطة بأربعة حنيات متحدة المركــز • ان الحنية الخارجية مزينة بكتابة مرسومة بالخط الكوفي المخرم وهذا نصها : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين • اللهم صل وسلم على سيدنا محمد » • والحنية الثانية مزينة بافريز هندسي دي أشكال سداسية الاضلاع وممطولة ولها نتوء مثلث في وسط أضلاعها الكبرى • والحنية الثالثة توجد بها كتابة لا يمكن فرز حروفها اليــوم • والحنية الرابعة مزينة بالعبارتين التاليتين : « العاقبة لله » و « الباقية لله » • أما بالنسبة الى النافذة في حد ذاتها فانها من صنع بديع • ففي القسم السفلي منها يوجد افريز هندسي تتناوب فيه مربعات ثمانية الاسنان وأنجم لها فروع أربعة • ونرى من بعد ذلك خطين متوازيين يمثلان لوحة ترتكز عليها مزهرية مفلطحة تقوم على رجلين ، وهي مزخرفة بعروتين ، ومن هذه المزهرية يخرج



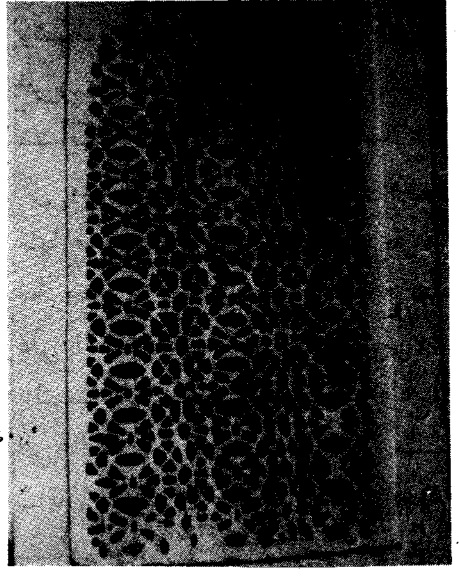
شكل 37 ـ نافذة الجدار الجنوبي على يسار المحراب



شكل 38 ـ نافذة الجدار الجنوبي على يمين المحراب



شكل 39 ـ النافذة الاولى للجدار الشرقي



شكل 40 ـ النافذة الثانية

ساق يتفرع الى أربعة أغصان أما غصنا الوسط فانهما ينتهيان بزهرة لها ستة تويجيات ، وأما الغصنان الجانبيان فهما معقوفان وينتهيان بعنقود من العنب شبيه بالمضلع السداسي .

ولاحظنا أيضا وجود تاج يقوم على المزهرية يتوسط ساقين عموديين ويرتقي فوقهما عنقود من عنب مثلث الشكل ، بحيث أن نهايتها تلامس القسم الاسفل من العنقود الشبيه بالمضلع السداسي . والتاج السابق الذكر متحد المركز مع الاغصان في قسمها الاسفل ، ومرتبط بقمة القوس الرأسية للنافذة بواسطة ضفيرة تزيينية .

أما النافذة الثانية فانها تزين المشكاة التي سبق عنها الحديث . وشكلها شكل القوس المعلاة الموضوعة في اطار مستطيل . ويحدها افريز من الدوائر والمستطيلات التي توجد بداخلها دوائر أخرى تشكل بتشابكها مربعات مقوسة الاضلاع . وهذه المربعات يوجد في وسط كل منها مربع ثماني الاسنان وورود لها أربعة فروع . وكل فرع منها مقسم الى طرفين بواسطة خيطية . وركنيتا هذه النافذة ليستا مخرمتين وزخرفتهما غير واضحة تماما للعيان . ففي الركنية الموجودة على اليسار نلاحظ زخرفة على شكل ورقتين مثلثتين ومتناظرتين بالنسبة الى الخط المنصف للزاوية القائمة . وأما في الركنية الموجودة الى اليمين ، فنلاحظ ورقتين مثلثتين الا أنهما أصغر وتقوم بينهما ساقان متناظران يتصالبان عند الخط المنصف للزاوية القائمة وينتهيان بشكل لولبي .

ـــ نافذتا الجدار الشرقي :

احداهما تزين قسما من الجدار الذي يقابل البلاطة الاولى . وهذه النافذة عبارة عن مستطيل ارتفاعه 1،61 م وعرضه 1،19 م ويحيط به اطار مستطيل سمكه 15 سم وزخرفتها منقسمة بحسب ثلاث طبقات أفقية .

الاولى منها ، ابتداء من الاسفل ، عبارة عن مجموعة من سبعة أقواس متعدية مرتبطة فيما بينها في الظاهر بواسطة خيطية وهي مرتكزة على دعائم صغيرة أسطوانية مفرغة في الداخل والثانية مزينة بافريز من المعينات •

والثالثة وهي أهمهما ، تشتمل على حافة مخرمة على شكل قوس معلاة، وبداخلها تشبيك زهري ذي خطوط مستقيمة ومقوسة بديعة الصنع وهذا التشبيك عبارة عن أشكال هندسية تشتمل على زاويتين قائمتين وزاويتين منفرجتين وزاوية حادة • والزوايا الحادة في المضلعات المخمسة الاربعة متقابلة في القمة وممتزجة في أضلاعها •

أما الركنيتان فقد زخرفتا بوردة ذات أربع فصوص مندرجة في دائرة مماسة للقوس المعلاة • ان هذا النوع من النوافذ كان موجودا في العهد التركي •

والنافذة الثانية تزين قسما من الجدار الذي يقابل البلاطة الاخيرة من بيت الصلاة وهي على شكل قوس معلاة ارتفاعها 36ر1 م وعرضها 67 سم كما أنها محاطة باطار سمكه 10 سم • وهي مزخرفة بتنميق على غاية من العمل بحيث أن الدوائر المتشابكة ترسم أشكالا متنوعة •

— نوافذ الجدار الشمالي : (شكل 35 ب) •

عددها أربع ، ولها نفس المقاييس ونفس الزخرفة وهي على شكل قوس معلاة ارتفاعها 10ر1م وعرضها 71 سم • وهذه القوس محاطة باطار مستطيل سمكه 15 سم• هذه النوافذ مزينة بمربعات نقشت بداخلها مضلعات سداسية ممطولة تتناوب مع مربعات ثمانية الاسنان • أما الفراغات فيوجد بداخلها مضلعات سداسية ممطولة ومقعرة • ويبدو ان هذه النوافذ وقع ترميمها •

د ـ نافذة الجدار الغربي :

تزين هذه النافذة قسما من الجدار الغربي يقابل البلاطة الاخيرة من بيت الصلاة وهي عبارة عن قوس معلاة محاطة باطار مماثل لها في الشكل ، سمكه 5 سم ويبلغ ارتفاع هذه النافذة 80 سم وعرضها 40 سم وزخرفتها تتألف من أوراق وأهلّة وسوق نباتات متشابكة على صورة أشكال هندسية معينة وجيبية .

هـ ـ الحنيتان الزخرفيتان :

احداهما موجودة في الجدار الجنوبي والاخرى في الجدار الغربي وهي شبيهة بحنايا الجامع الازهر وجامع الحكيم بالقاهرة .

مكان الحنية الاولى فوق المنبر وهي عبارة عن قوس معلاة محاطة باطار مماثل لها في الشكل ، سمكه 38 سم ويبلغ ارتفاعها 1,03 م وعرضها 93 سم . وهي شبيهة في زخرفتها بالنافذة التي درسناها سابقا الموجودة على يمين المحراب . كما أنها شبيهة الى حد بعيد بزخرفة جامع سدراتة[1] .

وأما الحنية الثانية فمكانها في قسم الجدار الغربي المقابل للبلاطة الاخيرة من بيت الصلاة على يسار النافذة التي سبق وصفها . وهي عبارة عن قوس معلاة ارتفاعها 45 سم وعرضها 50 سم وهذه القوس محاطة باطار مماثل لها في الشكل سمكه 5 سم . وزخرفته غير واضحة تماما بسبب طبقات الجير الكثيرة التي تغطيه . ومن الملاحظ في هذه الحنية وجود ورود ثلاثية الفصوص ودوائر صغيرة ومن الجدير بالذكر أن الحنايا ذات التنميق الزهري موجودة أيضا في الجامع الازهر .

---

(1) انظر :
G. Marçais, Architecture Musulmane d'Occident f. 53, p. 57.

و ـ الحنيتان المكفوفتـان :

تزينان الجدار الجنوبي عـلى مسـتوى الاسكوبين الاقصيين الايمن والايسر • وكل واحدة منهما عبارة عن قوس معلاة محاطة باطار مماثل لها في الشكل •

3 ـ المبـاني المدنيـة :

آ) قصـور بجـاية :

قام الامراء الحماديون بتشييد عدة قصور يحدثنا عنها صاحب « كتـاب الاستبصار » وابن خلـدون والحسن الوزاني الافريقي (Séon L,Africain) والبجاوي وابن حمديس •

ذكر صاحب « كتاب الاستبصار » أنه ببجاية « قصور من بناء ملوك صنهاجة لم ير الراؤون أحسن منها بناء ولا أنزه موضعا » ومن روائع هذه القصور تحدث عن « الطاقات المشرفة على البحر بشبابيكها الحديـدية والابواب المخـرمة المنحنية والمجالس المبنية حيطانها بالرخام الابيض من أعلاها الى أسفلها » التي « قد نقشت وأنزلت بالذهب واللازورد وقد كتبت فيها الكتابات المحسنة وأنزلت بالذهب وصورت فيها الصور الحسنة »[1] •

وسمى ابن خلدون القصور التي أسسها بنـو حماد في بجاية فذكر ان الناصر بنى « قصر اللؤلؤة وكان أعجب قصور الدنيا » كما ذكر المباني التي قام بتشييدها أو اصلاحها المنصور بن الناصر • فقال : « ان المنصور بنى قصر اللؤلؤة وقصر أميمون »[2] •

وجاء في مخطوط البجاوي ان المنصور بنى القصر الذي يوجد فيه عرشـه وهو معروف بقصر الكوكب • وهذا القصر من أجمل

---

(1) كتاب الاستبصار ، ص 21 •
(2) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 357—358 •

قصور العالم • فهو بنــاء عال مزين بتصاوير مرسومة بحجر الزنج ونبات اسمه الرجق يدقان معا ويزينون الجدران بهما بعد دقهما • ويلمع هذا القصر مثل أشعة الشمس • فكان له تسعة أبواب ذات مصراعين من الخشب المنقوش لا يفتح كل واحــد منها الا اذا دفعه عدة رجال أقوياء • في الطابق الاول توجد غرف وحسب فيرو[1] كان قصر الكوكب يشغل مكان برج موسى الذي اسسه الاسباني بيدرو نافارو في القرن السادس ولكن حسب البجاوي كان يقع بين القصبة وبرج موسى وقصر أميمون هو الذي كان في مكان برج موسى • وقال الحسن الوزاني عن هذا القصر الاخير : « من جهة الجبل نرى حصنا صغيرا محاطا بأسوار ومزينا بالفسيفساء والخشب المنقوش »[2] وأما قصر اللؤلؤة فكان واقعا في مكان التكن والمستشفى العسكري •

هذا ما جاء في كتب المؤرخين والرحالة عــن قصور بجــاية الحمادية • فلنترك المجال الآن الى الشاعر ابن حمديس الذي خصص قصيدتين لوصف قصر المنصور •

فعبر الشاعر في أول الامر عن جمال هذا القصر وقارنه بالمباني المشهورة التي شيدها العرب والفرس والروم •

فقــال في قصيدة :

قصــر لو أنك قد كحلت بنوره	أعمى لعــاد الى المقــام بصيرا
نسي الصحيح من المليح بذكــره	وســما ففاق خورنقــا وسديرا
ولو ان بالايوان قوبــل حسنه	ما كان شيئا عنــده مذكــورا
أعيت مصانعه على الفرس الاولى	رفعوا البنــاء وأحكموا التدبيرا
ومضت عــلى الروم الدهــور	وما بنوا لملوكهم شبها له ونظيرا

(1) Féraud, Bougie, p. 138.

(2) انظر : مولاي بلحميسي ، الاصالة ، عدد خاص ببجاية عبر العصور ، ص 129 •

وقال في القصيدة الثانية وهو يخاطب المنصور :

أعليت بين النجم والدبران قصرا بناه من السعادة بان
فضح الخورنق والسدير بحسنه وسما بقمته على الايوان
فاذا نظرت الى مراكب فلكه وبدت اليك شواهد البرهان
أوجبت للمنصور سابقة العلى وعدلت عن كسرى انوشروان
قصر يقصر وهو غير مقصر عن وصفه في الحسن والاحسان

وأشار ابن حمديس الى لمعان القصر وارتفاعه :

وكأنه من درة شفافة تغشى العيون بشدة اللمعان
لا يرتقي الراقي الى شرفاته الا بمعراج من اللحظان
عرّج بالناصرية كي ترى شرف المكان وقدرة الامكان

وذكر الشاعر ما يلاقيه الزائر من ترحيب من طرف خدام القصر .
فقال :

واذا الولائد فتحت أبوابه جعلت ترحب بالعفاة صريرا

ومن عجائب هذا القصر نذكر أبوابه الخارجية والداخلية وساحاته المفرشة بالرخام وسقفه المزين بصور الحيوانات وبساتينه ، فقال ابن حمديس وهو يصف الابواب الخارجية المزينة بالاسد :

عضت على حلقاتهن ضراغم فغرت بها أفواهها تكسيرا
فكأنها لبدت لتهصر عندها من لم يكن بدخوله مأمورا

وقال في الابواب الداخلية المصفحة بالتبر :

مصفح الابواب تبرا نظّروا بالنقش فوق شكوله تنظيرا
تبدو مسامير النظار كما علت تلك النهود من الحسان صدورا

وقال ابن حمديس وهو يحدثنا عن الساحات المفرشة بالرخام :

بمرخم الساحات تحسب أنه فرش المها وتوشح الكافورا
ومحصّب بالدر تحسب تربة مسكا تضوّع نشره وعبيرا

فلا تتعجب من وجود هذه الساحات المرخمة من حيث اننا وجدنا أثناء الحفريات التي قمنا بها بقلعة بني حماد ساحة مفرشة بالرخام في القسم الغربي لقصر المنار •

وقال الشاعر الصقلي عن سقف القصر المزين بصور الحيوانات :

واذا نظرت الى غرائب سقفه　　أبصرت روضا في السماء نضيرا
وعجبت من خطاف عسجده التي　　حامت لتبنى في ذراه وكورا

ثم بين ابن حمديس مهارة الفنانين الحماديين الذين قاموا بتنميق هذا السقف فقال :

وضعت به صناعه أقلامها　　فأرتك كل طريدة تصويرا
وكأنما للشمس فيه ليقة　　مشقوا بها التزويق والتشجيرا
وكأنما للازورد مخرّم　　بالخط في ورق السماء سطورا
وكأنما وشوا عليه ملاءة　　تركوا مكان وشاحها مقصورا

ان هذا السقف المزين بمناظر الصيد يذكرنا بسقف قصير عمرة الذي يقع على نحو 50 كلم شرقي عمان ويرجع تشييده الى العهد الاموي • وكما بيناه في مقال خصصناه لتأثير الفن الصنهاجي في فن نورماندي صقلية[1] نجد عددا كبيرا من مناظر الصيد تزين سقف كنيسة قصر الملك المسماة بـ Chapelle Palatine • وهكذا مع ان قصر المنصور اندثر ، نستطيع أن نتخيل الزخارف التي كانت تزين سقفه عندما نرى سقف الكنيسة الصقلية •

واذا خرجنا من قصر المنصور نجد بساتين عامرة بالازهار والاشجار في وسطها بركة محاطة بتماثيل تمثل مختلف الحيوانات •

---

(1) رشيد بوروبية ، الفن المعماري الصنهاجي وأثره في صقلية ، الثقافة العدد 19 محرم صفر 1394 هـ فيفري مارس 1974 م •

فوصف لنا ابن حمديس هـذه البساتين في القصيدتين اللتين خصصهما لقصر المنصور •

فقال في احداهما :

وبديعة الثمـرات تعبر نحـوها | عيناي بحـر عجائب مسـجورا
شـجرية ذهبيـة نزعـت الـى | سـحر يؤثـر في النهي تأثـيرا

وقال في القصيدة الاخرى :

في جنـة غنـاء فردوسـية | محفوفـة بالـروح والريحـان
وتوقدت بالخمـر من نارنجها | كأنمـا خلقـت مـن النيران
وكأنهـن كـرات تبـر أحمـر | جعلت صوالجهـا مـن القضبان
ان فاخر الاترج قال له : أزدجر | حتى تجـوز طبائـع الايمـان
لي نفحة المحبوب حين يشمني | طيبا ، ولـون الصب حين تراني
منى المصبغ حـين يبسـط كفّه | فبنـان كـل خريـدة كبنانـي

وفي وسط البساتين كانت بركة تجري اليها المياه من شاذروان ومن أفواه حيوانات من كل نوع • والشادروان هو لوحة من الرخام المنقوش يجري عليها الماء نصفها فيما بعد عندما ندرس التحف التي عثر عليها أثناء حفريات قلعة بني حماد •

فقال ابن حمديس وهو يصف الماء يسيل على الشاذروان :

والماء منه سبائك مـن فضـة | ذابـت على دوحـات شاذروان
كأنمـا سـيف هناك مشـطب | القتـه يـوم حرب كفّ جبان

ومن الحيوانات التي ترمي المـاء من أفواهها وضع ابن حمديس الاسد في المرتبة الاولى •

فقـال :

وضراغم سـكنت عريـن رئاسة | تركت خرير المـاء فيـه زئـيرا

فكأنما غشى النضار جسومها — وأذاب في أفواهها البلّورا
أسد كأن سكونها متحرك — في النفس لو وجدت هناك مثيرا
وتذكرت فتكاتها فكأنما — أقعت على أدبارها لتثورا
وتخالها والشمس تجلو لونها — نارا وألسنها للواحس نورا
فكأنما سلت سيوف جداول — ذابت بلا نار فعدن غديرا
وكأنما نسج النسيم لمائه — درعا فقدر سردها تقديرا

وبجانب الاسود وصف لنا الشاعر الصقلي الطيور

فقال في قصيدة :

من كل واقعة ترى منقارها — ماء كسلسال اللجين نميرا
خرس تعدّ من الفصاح فانشدت — جعلت تغرد بالمياه صفيرا

وقال في القصيدة الثانية :

قسّ الطيور الخاشعات بلاغة — وفصاحة من منطق وبيان
فاذا أتيح لها الكلام تكلمت — بخرير ماء دائم الهملان
كأن صانعها استبد بصنعة — فخر الجماد بها على الحيوان
أوفت على حوض لها فكأنها — منها الى العجب العجاب رواني

ثم ذكر ابن حمديس الزرافة فقال :

وزرافة في الجوف من أنبوبها — ماء يريك الجري في الطيران
مركوزة كالرمح حيث ترى له — من طعنة الحلق انعطاف سنان
وكأنما ترمي السماء ببندق — مستنبط من لؤلؤ وجمان
لو عاد ذاك الماء نفطا أحرقت — في الجو منه قميص كل عنان

ثم انتقل الى وصف الحيات والحيتان فقال :

وكأنما الحيات من أفواهها — يطرحن أنفسهن من الغدران
وكأنما الحيتان اذ لم تخشها — أخذت من المنصور عقد أمان

هذا ما جاء في القصيدتين اللتين خصصهما ابن حمديس لوصف قصر المنصور . بدون أن يذكر اسمه . ما هو هذا القصر ؟ هل هو قصر آميمون ؟ أم قصر اللؤلؤة ؟ أم قصر الكوكب ؟

لكي نستطيع أن نجيب عن هذا السؤال فلنبحث عن مميزات القصر الذي وصفه ابن حمديس ثم نقارنها بما جاء في كتاب البجاوي .

قد ذكرنا ان ابن حمديس أنشد : ارتفاع القصر ولمعانه ومثله بالدرة الشفافة ونضيف الى ذلك انه أشار الى محرابه وقبابه .

فقال :

... كأن المحراب من غمدان

فسماؤه في سمكها علوية وقبابه فلكية البنيان

وان كان كل من قصر الكوكب وقصر اللؤلؤة مشهورين بالارتفاع واللمعان في كتاب البجاوي فلا نجد في هذا الكتاب الا قصرا بني فيه المنصور جامعا وهو قصر اللؤلؤة . اذن في رأينا القصر الذي وصفه ابن حمديس في قصيدته هو قصر اللؤلؤة الذي قال عنه ابن خلدون انه « كان من أعجب قصور الدنيا » [1].

ب) قصور قلعة بني حماد :

عثر الاثريون على عدة قصور بقلعة بني حماد منها : قصر المنار وقصر البحر وقصر السلام وقصر الكوكب .

1 — قصر المنار :

يشتمل قصر المنار على عدة مباني متلاصقة بعضها في بعض منها جنوبية ومنها شمالية .

(1) ابن خلدون ، عبر ، ج6 ، ص 357 .

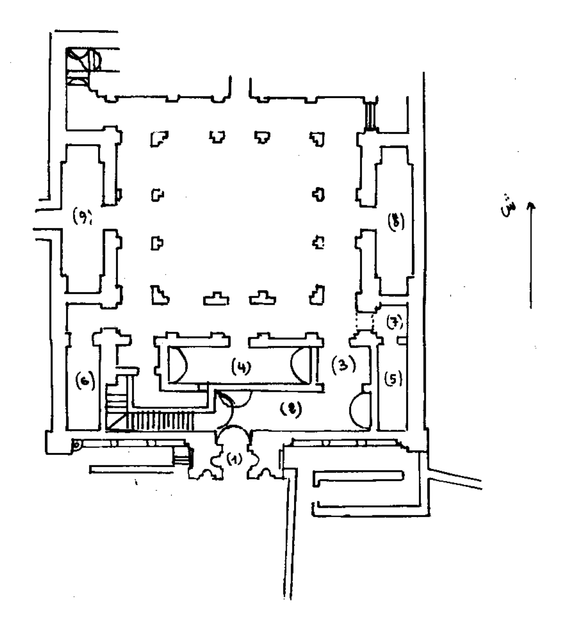
ان المباني الجنوبية تنقسم الى ثلاثة أقسام : القسم الاوسط والقسم الشرقي والقسم الغربي •

أ ـــ القسم الجنوبي الاوسط : (شكل 41) :

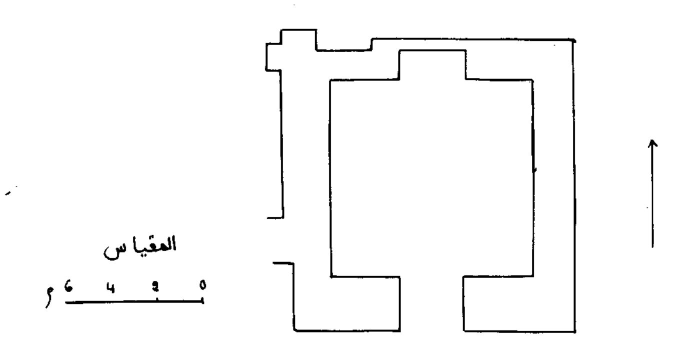
قام بحفرية القسم الاوسط أستاذنا الدكتور لوسيان قولفين الذي خصص كتابا هاما للابحاث التي قام بها بقلعة بني حماد عنوانه « أبحاث أثرية بقلعة بني حماد » فأفادنا الاستاذ لوسيان قولفين بوصف دقيق لهذا القسم من قصر المنار • ان لهذا القصر واجهة طولها 29,60 م محصنة في طرفيها بدعائم مربعة ومزينة بستة مشكوات مسطحة القعر مكللة بقوس نصف دائرية يبلغ طول كل مشكاة 2,30 م وعرضها 0,26 م لا تصل الى مستوى الارض وانما تقف على بعد 30 سم منه • وهذه المشكوات موضوعة على يمين وعلى يسار الباب • ثلاثة مشكوات من كل جهة[1] •

أما الباب فهو نتيء بالنسبة الى واجهة القصر ويبلغ تتوؤه 2,57 م وعرضه 7,50 م وما زال ارتفاعه الى أيامنا هذه ينيف على 3 م • لهذا الباب ثلاث واجهات ، واجهة شرقية وواجهة غربية مزينتان بمشكاة مسطحة القعر تشبه مشكوات واجهة القصر في الشكل الا أن عرضها لا يبلغ الا 1,60 م وواجهة جنوبية مزينة بمشكاتين نصف دائريتي القعر يبلغ قطرها 0,85 م احداهما على يمين المدخل والاخرى على يساره تشبهان مشكوات برج المنار في الشكل ونجد نفس المشكاتين تتقابلان على يمين وعلى يسار المدخل الذي يبلغ عرضه 2,20 م وطوله 4 م • والذي يؤدي الى الغرفة (2) التي يبلغ طولها 10,20 م وعرضها 3,30 م فنجد على يسارها سلما كان يؤدي الى الطابق الاول وعلى اليمين الى غرفة صغيرة (3) طولها 3,20 م وعرضها

(1) L. Golvin, Recherches Archéologiques à la Qal'a des Banu Hammad, pp. 83 - 90.



شكل 41 ـ القسم الجنوبي الاوسط لقصر المنار



شكل 42 ـ قاعة القسم الشرقي لقصر المنار

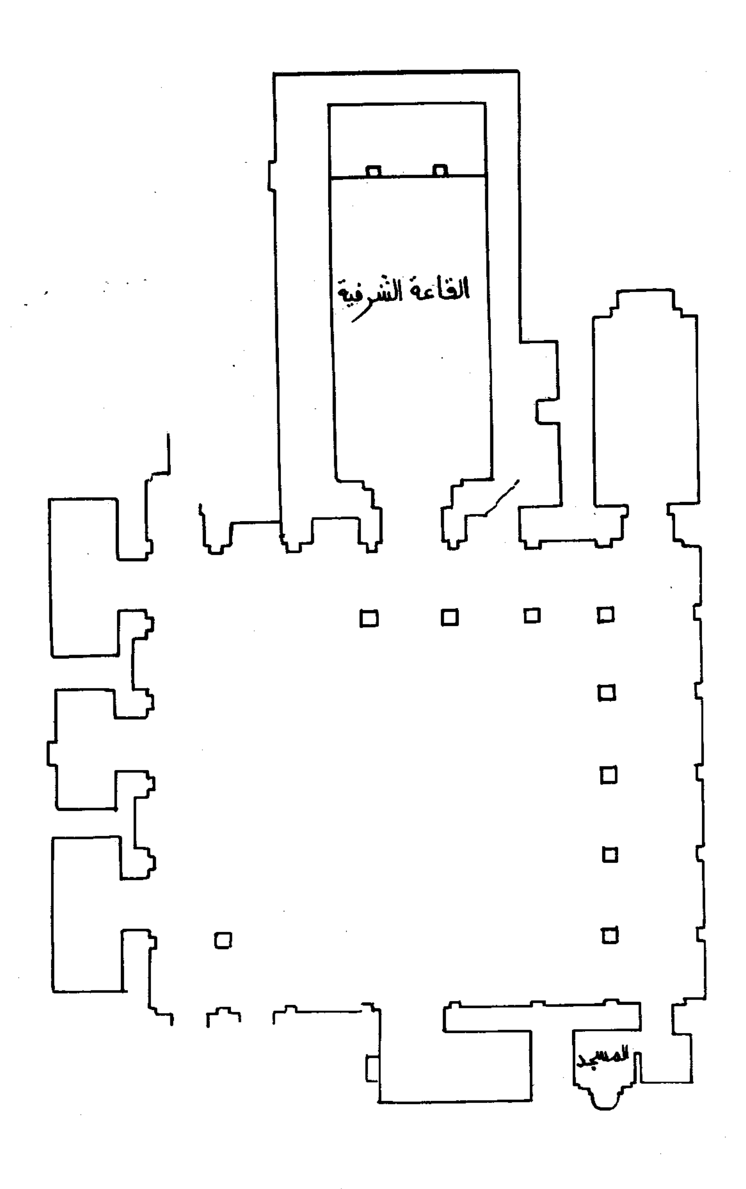
2ر80 م ثم الى رواق يحيط بصحن مربع • ومن الصحن نستطيع أن ندخل في قاعات مختلفة الشكل منها قاعات مستطيلة مثل القاعات (4) و (5) ر (6) ومربعة مثل الغرفة (7) أو صليبية الشكل مثل القاعتان (8) و (9) •

ب ـــ **القسم الجنوبي الشرقي** : (شكل 42) :

من هذا القسم الذي شيد على شط وادي فرج لم يبق الا قاعة مستطيلة يبلغ طولها 8ر09 م وعرضها 8ر65 م ، (شكل 42) جدارها الشمالي مزين بمشكاة مسطحة القعر طولها 3 م وعرضها 1ر21 م كانت هذه الغرفة مفرشة بالرخام • وأما الجدران فهي مزينة في أسفلها بألواح من الرخام مختلفة الالوان وفي أعلاها بكتابة تعلوها زخارف نباتية •

ج ـــ **القسم الجنوبي الغربي** : (شكل 43) :

لم تتم حفرياته الى أيامنا هذه • فيشتمل على صحن مربع كان مفرشا بالرخام يحيط به رواق من جهاته الاربع • ما زال هذا الرواق في جزئه الشرقي مفرشا بالخزف الاخضر والابيض حيث المربعات تتناوب مع المضلعات السداسية (شكل 44) • والصحن من جهاته الغربية والشمالية والجنوبية محاط بقاعات مختلفة الشكل منها المسجد الذي سبق الحديث عنه وقاعة رائعة الجمال يبدو أنها كانت القاعة الشرفية للقصر (شكل 45) • عثرنا على هذه القاعة أثناء الحفرية التي قمنا بها في يوليو 1971 • ندخل فيها من باب ناتىء موجود شمالي الصحن يتغير عرضه فيكون في أول الامر 2ر25 م ثم 3 م وأخيرا 3ر60 م • أما القاعة فهي واسعة جدا • يبلغ طولها 15ر50 م وعرضها 5ر95 م • وتذكرنا هذه القاعة بتصميمها ومقاساتها بالاواوين الثانوية التي نجدها حينما ندخل في قصر فيروزباد



شكل 43 ـ تصميم القسم الغربي لقصر المنار



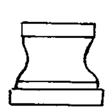
شكل 44 ـ خزف رواق صحن القسم الغربي لقصر المنـــار

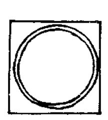


شكل 45 ـ القاعة الشرقية وصحن القسم الغربي لقصر المنار

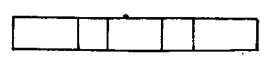
ببلاد الفرس[1] • ان هذه القاعة مفرشة بالخزف الاخضر والابيض حيث المربعات تتناوب مع صلبان القديس أندراوس (شكل 47) ولها مميزة أخرى وهي أنها تنقسم الى قسمين ليسا في مستوى واحــد اذ نمر من القسم الاول الذي يبلغ طوله 75ر10 م وعرضه 75ر2 م الى القسم الثاني بواسطة درجة ارتفاعها 7 سم واجهتها مزينة بالخزف الاخضر والابيض حيث المستطيلات تتناوب مع المربعات (شكل 48) وعلى حافة الدرجة نجد عمودين بينهما مسافة تبلغ 10ر2 م ومن الجــدير بالذكر هو أنــه لاول مرة من بداية الابحاث الاثرية وجدنا هذين العمودين كاملين (شكل 49) وقاعدتهما وأسفل ساقهما ما زالت في مكانها الاصلي • ان كل قاعدة مربعة يبلغ ضلعها 34 سم تعلو أشكال مختلفة وساق العمود يشتمل على ثلاث قطع قطرها 23 سم ارتفاع القطعة السفلى 55ر1 والوسطى 48ر1 والعليـــا 68ر0 م اذن ارتفاع الساق كله يبلغ 71ر3 أما التاجان اللذان يعلوان الساقين فهما أجمل تيجان وجدت بقلعة بني حماد (شكل 50) • ان كل تاج مزين بصفين من أوراق الاقنثة وصفين من المحالق وسطحية • يبلغ قطر الضفيرة 27 سم وارتفاعها 4 سم• فهـــي مؤثثة بزوايا منفرطة أفقية متوازية ملونة بالاحمر والازرق بالتناوب • وفوق الضفيرة نجد شريطا يماثلها في القـــطر ، ارتفاعه 5ر1 سم • ويعلوه الصف الاســـفل من أوراق الاقنثة فهو يتألف من ثماني أوراق ارتفاعها 13 سم • متلاحمة القاعدة مزينة في قسمها الاسفل بغصون تشكل قلوبا وزهورا ثلاثية الفصوص فصها الاوسط مخطط والآخران حلزونيا الشكل ، وفي قسمها الاعلى بثلاث أوراق مزدوجة متداخلة بعضها في بعض يعلوها فص أوسط على شكل مغزل • ونضيف الى ذلك أن أشكال بطن هذه الاوراق مرسومة على أرضية زرقاء وان ظهرها ملون بالاحمر ، أما الصف

(1) انظر نفس المرجع ، شكل 30 .

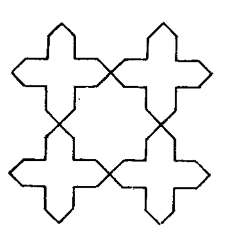




شكل 46
قاعة عمود باب
القاعة الشرفية



شكل 48
خزف درجـــة
القاعة الشرفية



شكل 47
خزف بلاط
القاعة الشرفية

شكل 49
عمود القاعة
الشرفية



شكل 50 — تاج عمود القاعة الشرفية

العلوي من الاقنثة فيشتمل على ثماني أوراق هو الآخر موضوعة بين أوراق الصف السفلي • ولا نرى الا الجبهة التي يبلغ عرضها 10 سم وارتفاعها 8 سم • ان بطن الجبهة مقوس بينما كان بطن جبهة أوراق الصف السفلي مسطحا • فهو مؤثث بساقين متلاصقين في قاعدتهما يتفرع كل واحد منهما الى غصنين غصن علوي وغصن سفلي ينتهي كل غصن سفلي بزهرة ثلاثيـــة الفصوص بينما الغصنان العلويـــان يتلاحمان ليشكلا زهرة ثلاثية الفصوص رأسها موجه نحو التحت وفصها الاوسط مخطط والآخران على شـــكل هلالين • هنا كذلك أشكال بطن الاوراق موضوعة على أرضية زرقاء بينما ظهرها ملون بالاحمر •

وفوق الصف الثاني من أوراق الاقنثة نجد الصف الاول من المحالق التي تنطلق من بين أوراق الاقنثة وتتألف من ساق عريض يتفلطح في قسمه العلوي مزين بخطوط حمراء تتناوب مع خطوط زرقاء وبورقة مزدوجة على شكل مروحـــة عديمة التعادل • أما الصف الثاني مـــن المحالق فيشتمل على ساقين مخططين يشكلان زاوية منفرجة تنتهي بحلزونتين •

يعلو الصف الثاني من المحالق سطحية مجـــوفة ارتفاعها 4 سم مزينة بصف من اللآلىء في وسطه مستطيل يبلغ عرضه 7 سم مؤثث بساقين متلاصقتي القاعدة ينتهي كل واحد منهما بورقة مزدوجة •

وعلى التاجين كانت ترتكز أقواس نجهل عددها وتوجيهها • يمكن أن تكون ثلاثة أقواس متوجهة من الشرق الى الغرب كما نراه في باب بيت الصلاة للجامع الاموي بدمشـــق أو قوسين متوجهتين من الجنوب الى الشمال مثلما نشاهده بقصر سارويستان أو خمسة ببلاد الفرس أقواس : ثلاثة شرقية غربية واثنتين جنوبيتان شماليتان ثلاثة منهـــا القوس الشرقية الغربية الوسطى والقوسان الجنوبيتان تشكل قاعدة قبة تعلو القاعة الشرفية •

وما يؤدينا الى تقديم هذا الافتراض الاخير هو ان ابن حماد أنشد في القصيدة التي خصصها لقلعة بني حماد القباب التي كانت تزين قصر المنـــار ، فقال :

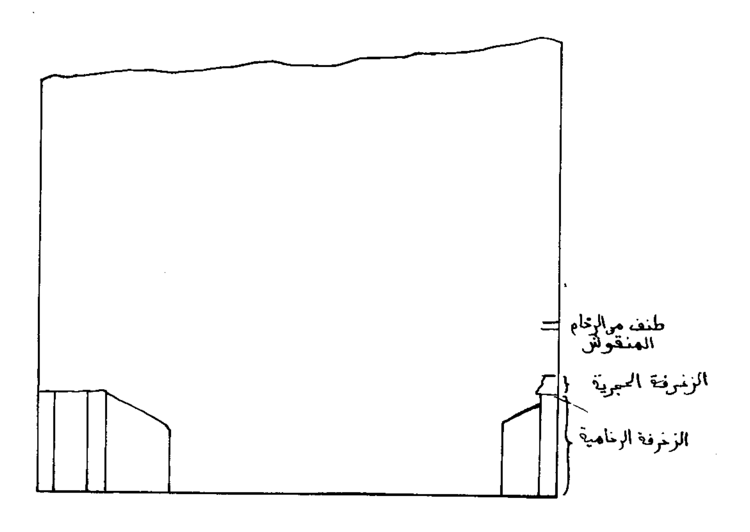
كــأن القبــاب المشرقات بأفقــه نجوم تبدت في ســعود المنــازل

هذا فيما يخص العمودين اللذين وجدناهما في القــاعة الشرفية لقصر المنار • أما الجدران فهي الاخرى تستحق أن نمعن النظر فيها لأنها احتفظت بشيء من الزخرفة التي كانت تزينها •

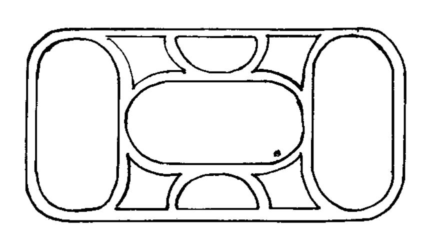
ان الجدار الشمالي (شكل 51) • في أحسن حالة من الجدران الاخرى فيتراوح ارتفاعه بين 4ر50 م و 5 م وكانت زخرفته تتألف من ألواح رخامية وعصابة ذات تنميق هندسي وطنف من الرخام وتزيين على الجص •

كانت الالواح الرخامية مختلفة في اللــون والعرض متساوية في الارتفاع الذي كان يبلغ 1ر15 م ما زالت ثلاث قطع منها قطعتان في الزاويتين وقطعة ثالثــة بينهما ، ان اللوحتين الموجودتين في الزاويتين تتألفان من قطع صغيرة من الرخام على شكل مثلثات ومستطيلات ومربعات منحرفة ومضلعات خماســية وسداسية يبلغ عرضها 4 سم تشــكل مربعات ثمانيــة الاسنان تتناوب مــع مضلعات ســداسية (شكل 52) •

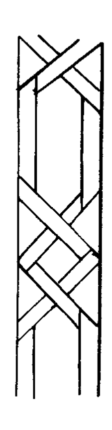
يعلو الالواح الرخامية عصابة مــن الحجر عرضها 21 سم بقيت قطعة منها ، فهي مزينة بشريط ناتىء يشكل حلقات أفقية تتناوب مع حلقات عمودية طولها 18 سم وعرضها 9 سم ، انصاف دوائر قطرها 9 سم مماسة للحلقات الافقية (شكل 53) • نجــد فوق العصابة الحجرية طنفا من الرخام ارتفاعه يختلف • ان الجزء الذي يدخل في الجدار يبلغ ارتفاعه 5 سم والوجه الظاهر 6 سم • فبقي منه قطعة



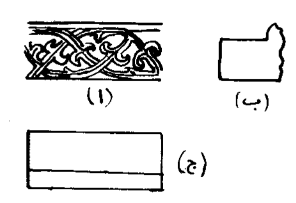
شكل 51 ـ الجدار الشمالي للقاعة الشرفية



شكل 53 ـ عصابة من الحجر المنقوش
للجدار الشمالي



شكل 52
قطع رخامية
للجدار السفلي

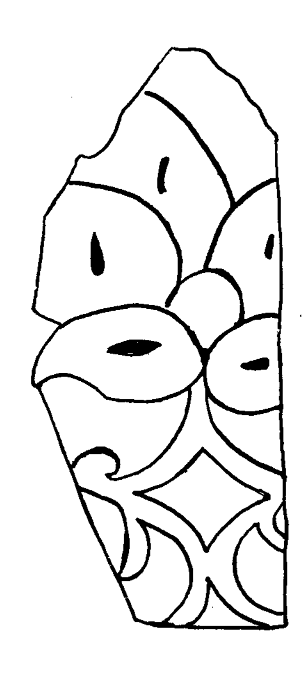


شكل 54 ـ طنف من الرخام للجدار الشمالي
(أ) الواجهة ، (ب) المقطع ، (ج) التصميم

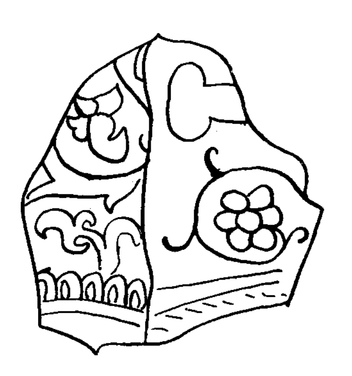
واحدة موجودة في مكانها الاصلي ولكننا وجدنا منه قطع عديدة في الردم • فهو مزين بسوق نباتية متشبكة تجري في وسطها خط أزرق وأوراق هلالية الشكل ذات عروق زرقاء موضوعة على أرضية حمراء (شكل 54) • أما الزخرفة على الجص فلم يبـق منها أي قطعة في مكانها الاصلي ولكننا وجدنا منها قطع عديدة في الردم • فرسمنا ثلاثة منها (شكل 55) احداها تمثل ساقا بشكل معين وثمرة على شكل جوز الصنوبر تذكرنا بجوز الصنوبر الموجود بمنبر الجامع الكبير بالجزائر العاصمة الذي يرجع صنعه الى عهـد المرابطين • والقطعة الثانية تشتمل على ساق مقوسة وزهرة ثلاثية الفصوص المنقطة • أما الثالثة فلها طابع أصيل • نجد فيها بجانب السوق والزهرة الثلاثية الفصوص زهرة رباعية الفصوص بفص على شكل علامة الاستفهام وزهيرة ذات ست تويجيات ورسم بشكل الفطر وافريز من الاقواس المعـلاة •

يتراوح ارتفاع الجدار الشرقي بين 5 م في الشمال و 1ر50 م في الجنوب ولا نرى فيه الا آثار الالواح الرخامية • حيث نجد الاشكال التي كانت تزين زاويتي الجدار الشمالي في الزاوية الشمالية ثم على الابعادالتالية: 1م و 2ر50م و 3ر70م و 5ر90 م و 6ر35م غير اننا شاهدنا استعمال اللون الخوخي بجانب الابيض والاسود • أما الالواح العادية الاخرى فعرضها : 17 سم و 70 سم و 10 سم و 10 سم و 60 سم و 25 سم و 20 سم و 70 سم وألوانها : الخوخي ثم الاخضر والاخضر والابيض والابيض والاخضر والابيض • ونذكر أخيرا بأننا ما زلنا نشاهد آثار تسع لوح كانت عروضها 47 سم و 35 سم و 20 سم و 25 سم و 60 سم و 50 سم و 50 سم و 20 سم و 35 سم •

يتراوح ارتفاع الجدار الغربي بين 4ر50 م في الشمال الى 2 م في الجنوب • ومثلما رأيناه في الجدار الشرقي لم يبق من الزخرفة







شكل 55 – قطع جصية منقوشة وملونة بالقاعة الشرفية

التي كانت تزينه الا اللـــوح الرخامية التي تتألف مـــن قطع مختلفة الشكل واللون والواح عادية ان الاولى توجد في الزاوية الشمالية وثم على الابعاد التالية : 30ر1 م و 80ر2 م و 60ر4 م و 30ر6 م • فهي تتألف من قطع تماثل قطع الجدار الشرقي في الشكل واللون • أما الالواح العادية فعروضها : 20 سم و 15 سم و 30 سم و 10 سم و 15 سم و 15 سم وألوانها : الخوخي والابيض والاخضر والابيض والخوخي والخوخي والابيض والاخضر والاخضر والخوخي •

أما الجدار الجنوبي فيتراوح ارتفاعه بين 2 م و 50ر2 م • فهو عديم الزخرفة •

ان القاعة الشرفية لقصر المنار بعظمتها التي تذكرنا بالاواوين الفارسية وفراشها الابيض والاخضـــر وعموديها المرتفعين وتاجيهـــا المنقوشين بدقة رائعة وعناصر زخرفتها تعتبر أحسن وأجمل قاعـــة اكتشفت بقلعة بني حماد الى أيامنا هـــذه •

د ـــ القسم الشمالي : (شكل 56) :

لم تكمل حفرية القسم الشمالي لقصر المنار • ان المباني التي اكتشفناها الى الآن تشتمل على ثلاث مجموعات مختلفة التوجيه •

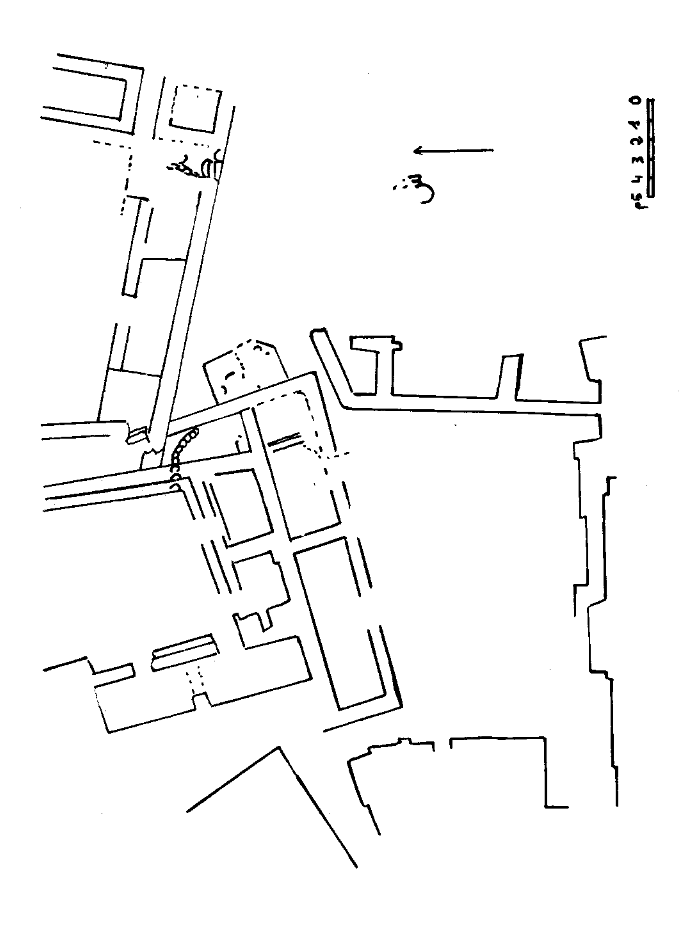
ـــ المجموعة الاولى :

انها متلاصقة بالقسم الجنوبي الاوسط وتتألف من ثلاث غرف مفتوحة نحو الشرق وقاعة كبيرة مفرشة ببلاط من الحجر •

ـــ المجموعة الثانية :

لها توجيه جنوبي غربي – شمالي شرقي تحتوي على :

1) قاعتين مستطيلتين عرضهما 40ر2 م : القاعـــة الاولى طولها 7 م لها حيط ضيق من الآجر يقسمها الى جزئين • في الجزء الشرقي وجدنا الرماد وقطع صغيرة من الفحم وقطع عديدة من الفخار والخزف



شكل 56 — القسم الشمالي لقصر المنار

وفي الجزء الغربي عثرنا على عدد كبير من الجص المنقوش وقطع من الزجاج تزين الجص وعددا كبيرا من المقرنصات •

2) ثلاث غرف متلاصقة بالقاعتين المذكورتين سابقا اثنتين منها مفتوحتين نحو الشمال على قاعة كبيرة أو صحن كبير يبلغ عرضها 8 م وينيف طولها على 10 م مفرشة ببلاط من الحجر • ان مقاسات هاتين الغرفتين هي : 2ر40 م × 4 م و 2ر4 م × 3 م • أما الغرفة الثالثة فهي على شكل مربع منحرف •

3) قاعتين مستطيلتين يبلغ طولهما 5 م وعرضهما 2ر4 م يفصلهما جدار من التراب • فهما مفتوحتان نحو الشرق على القاعة الكبيرة المذكورة سابقا •

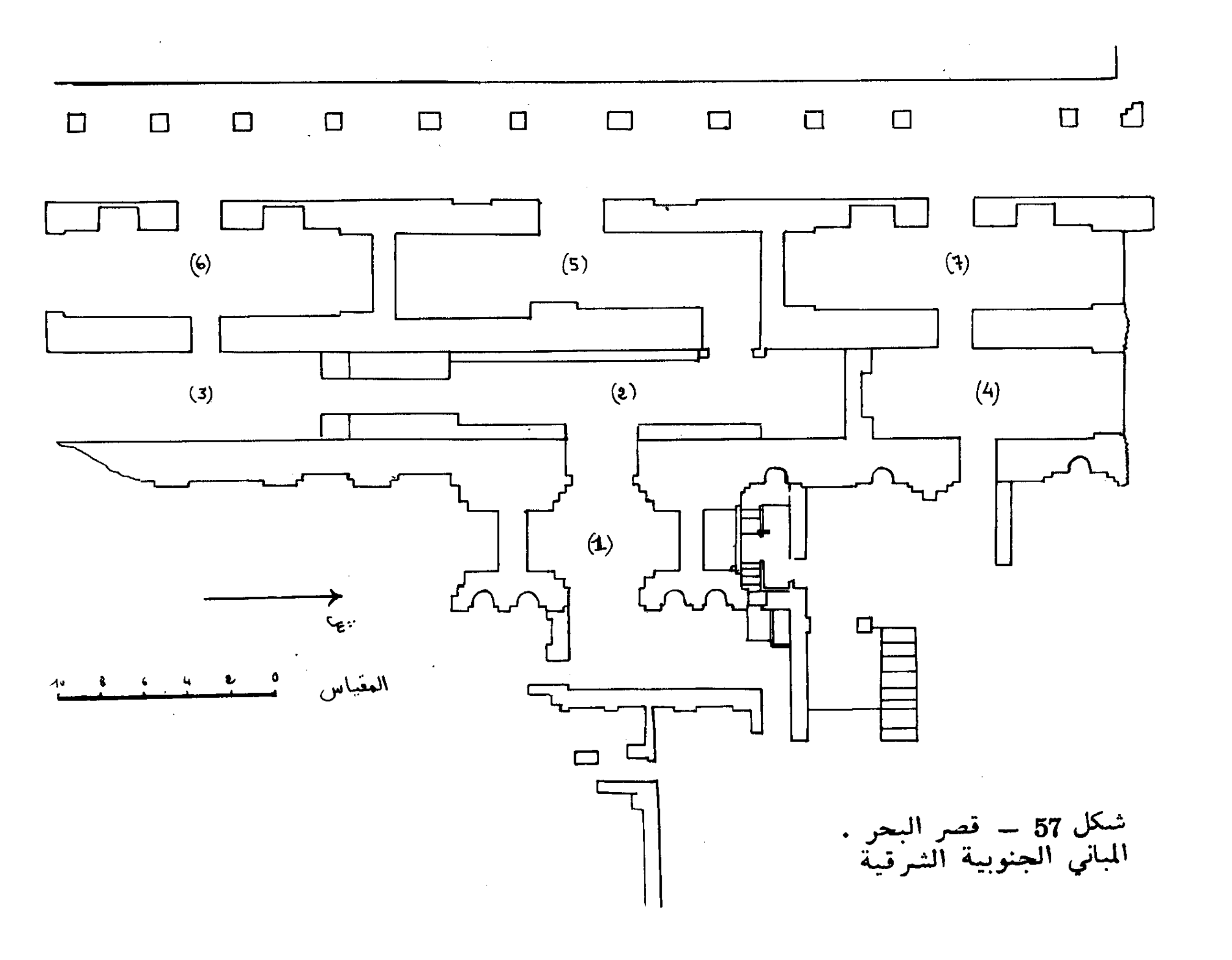
ـــ المجموعة الثالثة :

نرى فيها من الشرق الى الغرب :

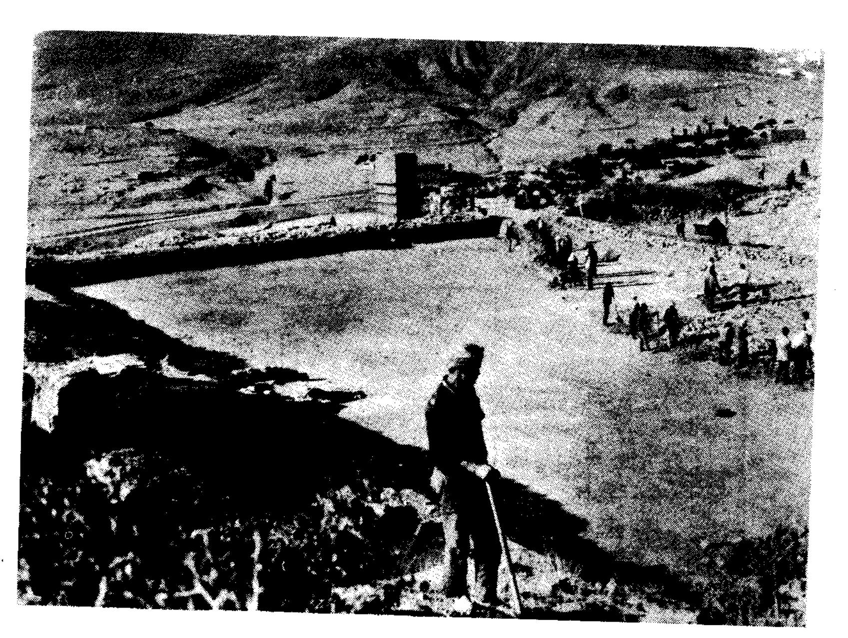
- غرفة صغيرة مستطيلة حيث وجدنا الرماد وقطع من الفحم والخزف والحديد •
- غرفتين مستطيلتين مفتوحتين على قاعة كبيرة لم تتم حفريتها •
- بلاط من الحجر •
- نوع من السطح على شكل مربع منحرف نصل اليه بعد صعود ثلاث درج •

2 ـــ **قصر البحر** : (الشكلان 57 و 57 مكرر) :

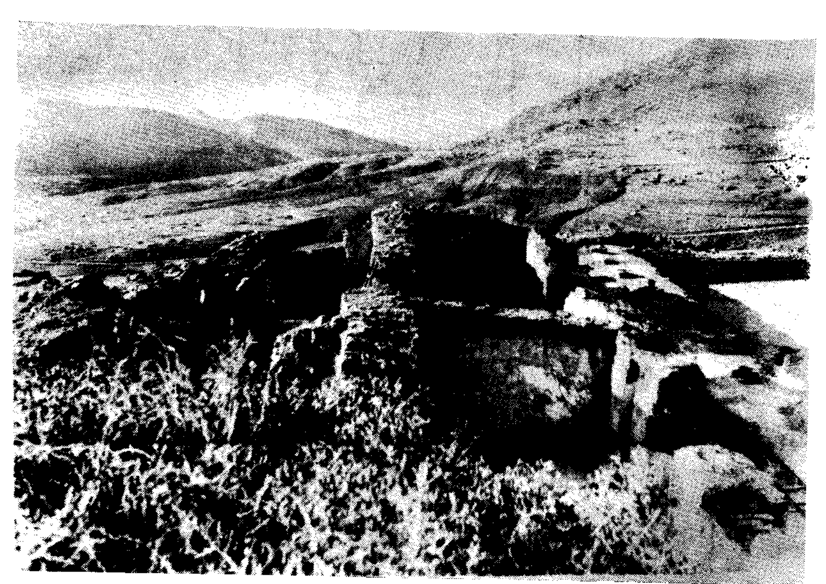
قام القائد دي بيلي ، بالبحث عن هذا القصر أثناء الحفريات التي أجراها سنة 1908 وأفادنا بتصميم القصر وبوصف بعض التحف التي حصل عليها ولكن يبدو أنه اقتصر على كشف القسم العلوي من الجدران وذلك نظرا الى المدة القصيرة التي بحث فيها والى عدة المباني التي بحث عنها • بعدما انتهينا من حفرية الجامع بدأنا العمل في قصر البحر • نظرا الى عظمة هذا القصر اقتصرنا في المرحلة الاولى



شكل 57 — قصر البحر .
المباني الجنوبية الشرقية



1 ـ القاعتان 5 و 6 والرواق



2 ـ القسم الشرقي للحوض

شكل 57 مكرر ـ قصر البحر

على اكتشاف الواجهة الشرقية للقصر وبابه الشرقي والغرف الموجودة بين هذا الباب والحوض الشرقي •

ا ـــ واجهة القصر الشرقية :

انها مزينة بمشكوات مسطحة القعر على يسار الباب وبمشكوات نصف دائرية القعر على يمينه •

ب ـــ الباب الشرقي :

لقصر البحر باب ناتىء مزين بأربعة مشكوات نصف دائرية الشكل في واجهته الشرقية : مشكاتان على اليمين ومشكاتان على اليسار وبمشكاة مسطحة القعر في واجهتيه الشمالية والجنوبية •

ج ـــ المدخل :

من مميزات قصر البحر هو ان مدخله (1) الشرقي يشكل قاعة صليبية الشكل من نوع خاص •

د ـــ القاعات :

ان جميع قاعات الجناح الشرقي لقصر البحر التي عثرنا عليها الى الآن هي موجهة من الجنوب الى الشمال ومفتوحة نحو الغرب منها مستطيلة (2 و 3) ومنها صليبية الشكل بمشكاتين مسطحتي القعر (6 و 7) أو بدون مشكوات (4) •

هـ ـــ الحوض :

من القاعات 5 و 6 و 7 نصل الى رواق مفرش بالآجر يحيط بالحوض الكبير للقصر • حيث ، حسب صاحب « كتاب الاستبصار » ، كانت تلعب الزوارق •

3 — **قصر السلام : (شكل 58)[1] :**

قام الاستاذ لوسيان قولفين بالبحث عنه أثناء الحفريات التي قام بها بقلعة بني حماد في سنة 1952 وبين 1960 و 1962 .

ان لهذا القصر : قسمان قسم علوي وقسم سفلي .

أ — **القسم العلوي :**

لهذا القسم سور من الحجر مربع محصن في زواياه الاربعة ببروج على شكل ثلاثة أرباع دائرة تذكرنا بالقصور التي شيدها الامويون في الشام وفي الاردن . وله باب ناتىء مثل القصرين اللذين درسناهما قبله وواجهة مزينة بمشكوات مسطحة القعر ومدخل مؤثث بمشكاتين نصف دائريتي القعر مثل قصر المنار ، ان المدخل يؤدي الى قاعة مستطيلة يبلغ طولها 17ر75 م وعرضها 2ر75 م ومنها الى صحن يبلغ طوله 16 م وعرضه 15 م نجد حوله قاعات مختلفة المقاسات والشكل منها قاعة شرقية طولها 8ر20 م وعرضها 2ر75 م وقاعة غربية طولها 10ر75 م وعرضها 2ر75 م وبالطرف الشرقي للقاعة الكبيرة الجنوبية نجد آثار سلم عرضه 0ر85 م يدور حول نواة مركزية مربعة يبلغ طول ضلعها 0ر65 م وكان هذا السلم يؤدي بدون شك الى الطابق الاول .

ب — **القسم السفلي :**

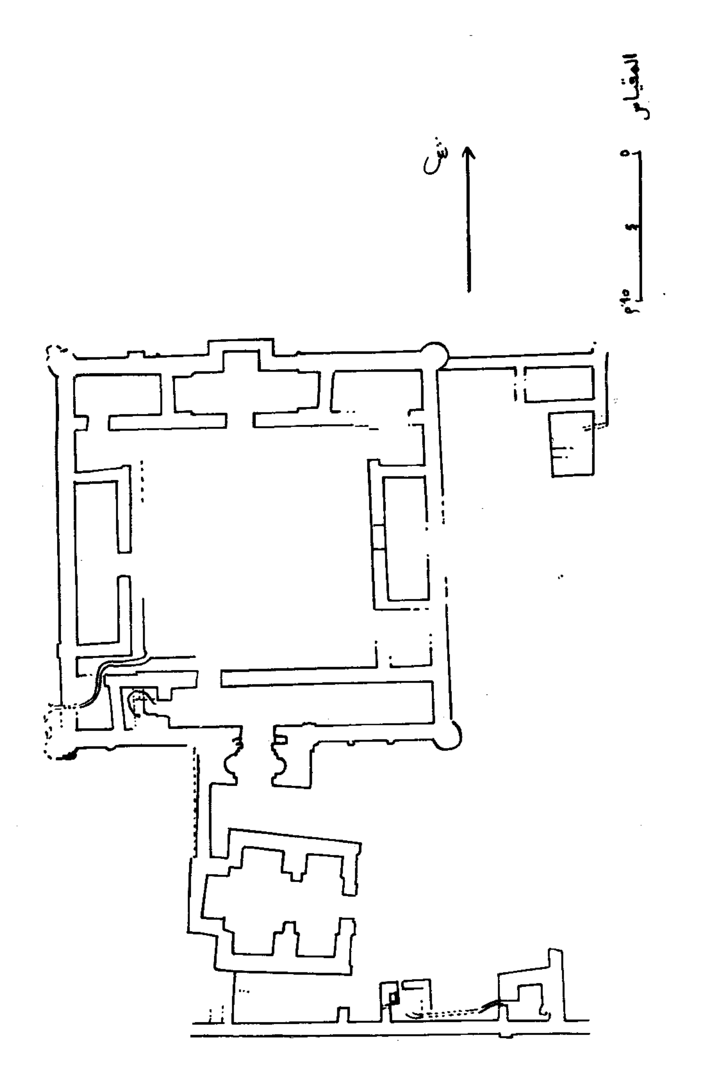
لم تكمل حفريته . فوجد به الاستاذ قولفين صحنا عرضه 15 م وغرف مختلفة الشكل والمقاسات ومطامير عديدة كما جاء في حديثنا عن الحياة الاقتصادية .

4 — **قصر الكوكب :**

يوجد بين قصر السلام وقصر البحر . لم تجر فيه حفريات الى أيامنا هذه .

---

(1) انظر نفس المرجع . ص 72—80 .



شكل 59 — قصر السلام (عن لوسيان قولفين)

3) **مباني مدنيـة أخـرى :**

ذكر الادريسي مباني شيدها الامير الحمادي الاخير يحيى بن العزيز منها قصر بجيجل وداران احداهما بتاكلات علـى الطريق التي تؤدي من بجاية الى قلعة بني حماد والثانية بمرسى الدجاج •

وبجانب القصور والدارين التي سبق ذكرهما ترك لنـا بني حماد جباب وصهاريج وجسورا •

ــ الجبـاب :

بالاضافة الى الجب الموجود بصحن الجامع الكبير هنـاك جبان آخران احدهما بقصر البحر والآخر بقصر المنـار •

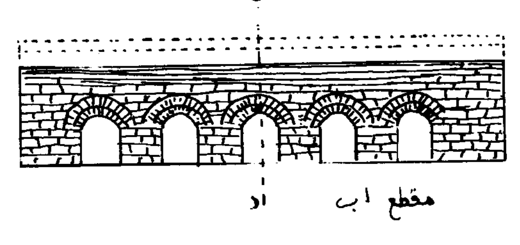
كما نستطيع أن نراه في التصميم الذي أفادنا به القائد دي بيلي يحتوي جب قصر البحر على حوض مستدير يبلغ قطـره الخارجي 16ر75 م وقطره الداخلي 11ر85 م • وثلاث غرف مبنية تحت الارض مسقفة بعقد نصف دائري يصل اليها المـاء من الحوض بواسطة قناة مبنية هي الاخرى تحت الارض •

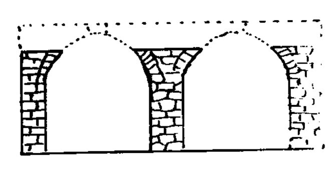
أما جب قصر المنار (شكل 59) • فاكتشفه الاستاذ قولفين ، ان هذا الجب موجود غربي القسم الجنوبي الاوسط لقصـر المنـار ، فيحتوي على قسمين متوازيين يبلغ طولهما 13ر85 م وعرضهما 3ر50 م وارتفاعهما 2ر50 م. بينهما جدار سمكه 1 م • وكاذ الماء يسيل من القسم العلوي الى القسم السفلي بواسطة خمس أبواب مسقفة بعقد ايراني وكانت قناة تصل الى أعلى الجدار الشمالي الشرقي وفي رأي الاستاذ قولفين كانت هذه القناة تجمع الميـاه المطرية التي تسيل من سقوف قصر المنار وتؤدي بها الى الجب •

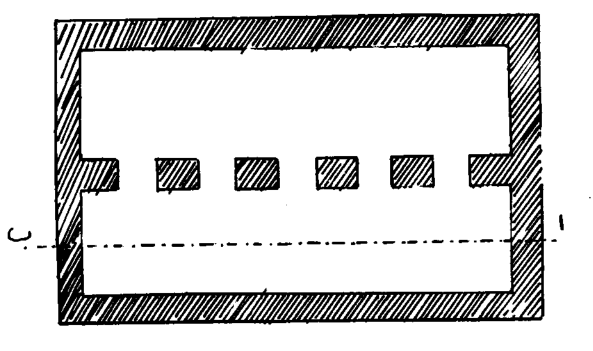
ــ الاحـواض :

عددها ثلاثة • فاكتشف الاستاذ قولفين اثنين منها قرب قصر المنار وعثر القائد دي بيلي على الثالث بجنوبي المدينة •







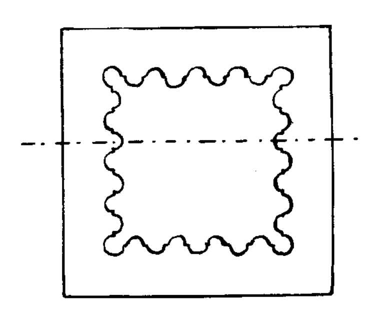




المقياس

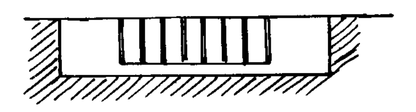
0 1 2 5م

شكل 59 ــ تصميم جب قصر المنار (عن لوسيان قولفين)





0 1 2 5م



شكل 60 ــ الحوض الجنوبي لقصر المنار (عن لوسيان قولفين)

ان الحوض العلوي لقصر المنار مستطيل الشكل يبلغ طوله 4,90 م وعرضه 1,30 م وعمقه 0,90 م تصل اليه قناة محفورة في الارض الى زاويته الشمالية الشرقية وتخرج منه قناة من الرصاص في وسط جداره الجنوبي الغربي • ويقع الحوض السفلي جنوبي غربي الحوض العلوي ومستواه أقل من مستوى الاول بمترين ، ان هذا الحوض مربع الشكل يبلغ طول ضلعه 6,65 م وهو مزين في داخله بمشكوات نصف دائرية القعر (شكل 60) •

أما الحوض الثالث الموجود جنوبي المدينة فهو على شكل مستطيل يبلغ طوله الداخلي 12 م وعرضه الداخلي 6 م وعمقه نحو 1 م وسمكه 1 م • وهو محصن بدعائم نصف دائرية يبلغ قطرها 1 م •

— الجسور :

كان لقلعة بني حماد عدة جسور بقيت آثار اثنين منها : أحدهما غربي المدينة على النهر الموجود بين قصر السلام وجبل القرين والثاني الذي يحمل اسم جسر سيدي عيسى موجود جنوبي المدينة وخارجها (شكل 61) •

4) — الخزف :

آ) خزف بجاية :

بفضل الدراسة التي قام بها جورج مارسي[1] • حول قطع من الفخار عثر عليها في بجاية نرى ان الحماديين كانوا يستعملون الفخار خصوصا لصنع الاواني • ومن هذه الاواني نذكر صحون كبيرة مسطحة القعر وصحافا وجرارا مزخرفة بزخارف مسحوبة أو مرسومة بالريشة أو مطبوعة ، ان الزخارف المسحوبة ترسم على الطين قبل أن ييبس بآلة حادة أو بآلة على شكل مشط أو قلم من القصب • فالآلة

(1) G. Marçais, Les poteries et faïences de Bougie



شكل 61 – آثار جسر سيدي عيســى

الاولى تحفر خطا مثل الخط الذي يحفره المحراث والمشط يرسم ثلاثة أو أربعة خطوط متوازية • أما القلم فيرسم خطا بارزا •

وكانت الزخرفة المطبوعة ترسم بخاتم يوضع على الطين قبل أن ييبس • وفي بعض الاحيان كانت الزخرفة المسحوبة والمطبوعة مغطاة بمينا أخضر أو أبيض أو أصفر أو أسمر •

وكانت الزخارف تشتمل على عناصر هندسية ونباتية وكتابية ومعمارية وحيوانية ، ان الاشكال الهندسية هي : الخط المنكسر والخط الحلزوني والمربع والمعين والمضلع الثماني والنجمة والدائرة • والاشكال النباتية تحتوي على الفرع الملتف والورقة والسعيفة والزهيرات ذات ثلاث أو ثماني أو عشر تويجيات • وفيما يخص العناصر الكتابية ما عثرنا الا على عبارة وهي : (الملك) مكتوبة بالخط الكوفي • ومن الاشكال المعمارية نذكر الاقواس المكسورة والمفصصة • وأما العناصر الحيوانية فهي قليلة وما وجدنا في القطع التي وصلت الينا الا قوائم دابتين •

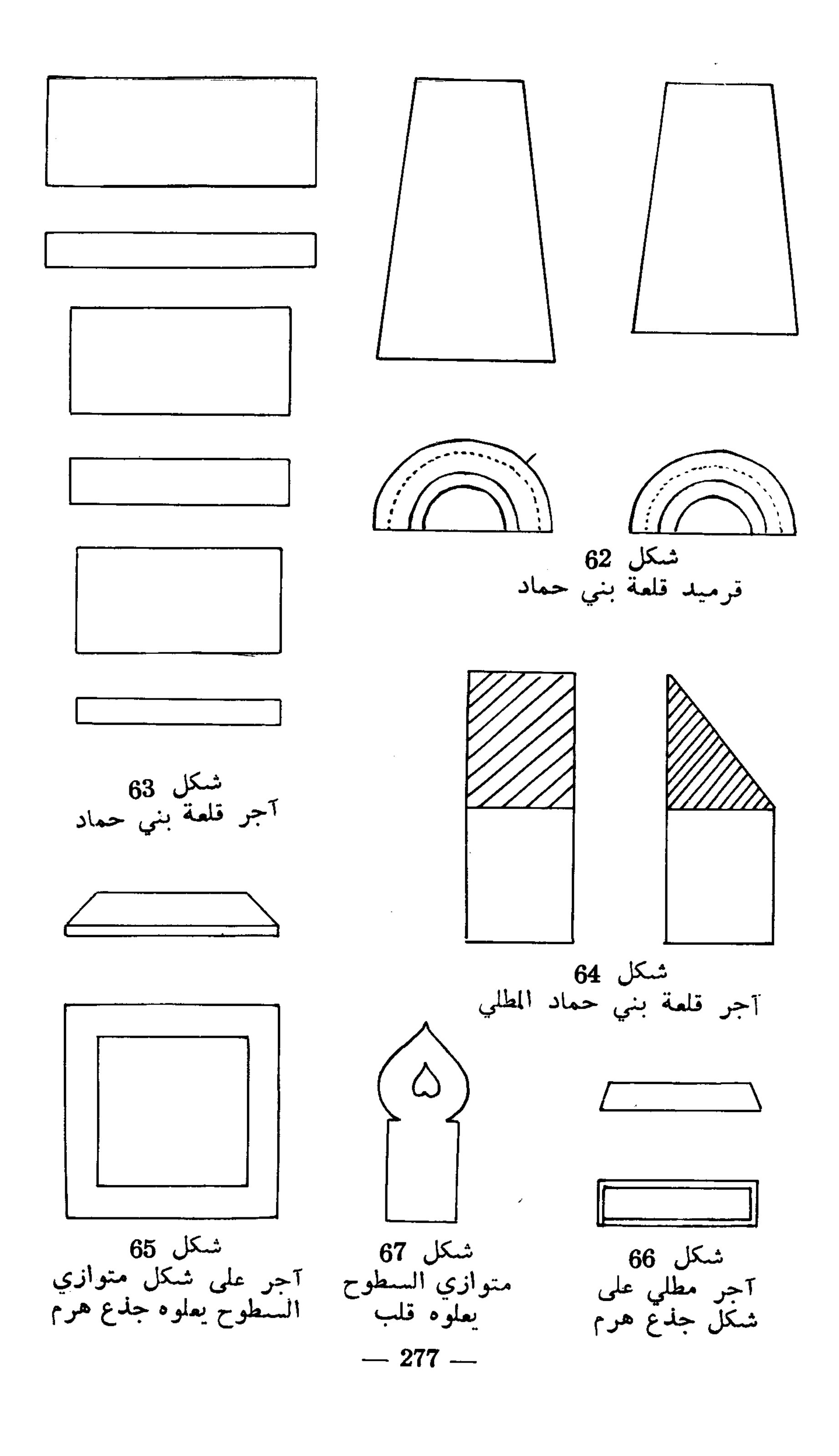
ب) خزف قلعة بني حماد :

أثناء الحفريات التي أجريت بقلعة بني حماد عثر الاثريون على قطع عديدة من الفخار والخزف من أنواع مختلفة فندرس في أول الامر الخزف المعماري ثم ننتقل الى الاواني الخزفية •

1 — الخزف المعماري :

أثناء الحفريات التي قمنا بها عثرنا على القرميد والآجر • ان القرميد على شكل نصف جذع مخروط • وان مقاسات القرميد الكبير كما يلي : الطول 380 مم قطر القاعدة الكبيرة 178 مم وقطر القاعدة الصغيرة 110 مم والسمك 14 مم • أما مقاسات القرميد الصغير فهي كما يلي : الطول 350 مم قطر القاعدة الكبيرة 165 مم وقطر القاعدة الصغيرة 108 مم والسمك 15 مم (شكل 62) •

ان الآجر نوعان : الآجر العادي والآجر المطلي • فوجدنا ثلاثة أنواع من الآجر المستطيل العادي مقاساتها كما يلي : الآجر الكبير 270 مم × 107 مم × 40 مم ، والآجر المتوسط 220 مم × 105 مم × 45 مم ، والآجر الصغير 205 مم × 105 مم × 24 مم (شكل 63) •



شكل 62
قرميد قلعة بني حماد

شكل 63
آجر قلعة بني حماد

شكل 64
آجر قلعة بني حماد المطلي

شكل 66
آجر مطلي على
شكل جذع هرم

شكل 67
متوازي السطوح
يعلوه قلب

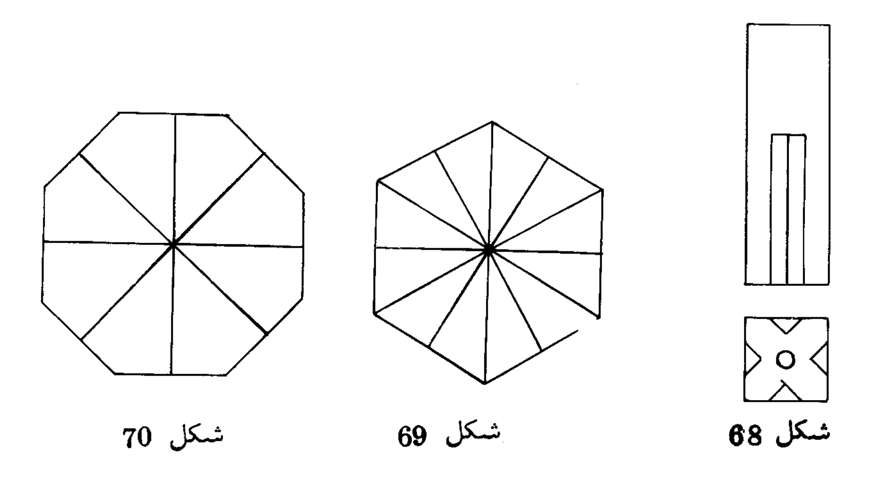
شكل 65
آجر على شكل متوازي
السطوح يعلوه جذع هرم

أما فيما يخص الآجر المطلي فوجدنا منه الاشكال التالية :

— متوازي السطوح ذو قاعدة على شكل مستطيل أو منحرف (شكل 64) مطلي في نصفه العلوي •
— متوازي السطوح يعلوه جذع هرم (شكل 65) •
— جذع هرم ذو قاعدة مستطيلة (شكل 66) •
— متوازي السطوح يعلوه قلب (شكل 67) •
— متوازي السطوح المزين بأخاديد مثلثة في قسمه الاسفل (شكل 68) •
— مثلثات موضوعة حول مركز واحد (شكل 69) •
— مربعات موضوعة حول مركز واحد (شكل 70) •
— نجم سداسي الاسنان (شكل 71) •
— مربع ثماني الاسنان يتناوب مع صليب (شكل 47) •
— مضلع سداسي يتناوب مع مربع (شكل 44) •
— صليب من نوعين يستعمل هو الآخر لتزيين النوافذ (شكل 75 وشكل 76) •
— مربع يتناوب مع نجم ذي أربعة فصوص ومضلع سداسي ذي أضلاع مجوفة (شكل 72) •
— نصف دائرة تتناوب مع معين ذي أضلاع مجوفة (شكل 73) •
— مضلع ثماني يستعمل لتزيين النوافذ (شكل 74) •
— أسطوان يستعمل لجمع المياه (شكل 77) •

2 — الاواني الخزفية :

عثر القائد دي بيلي والاستاذ قولفين على أواني مختلفة (شكل 79) واكتشفنا من جهتنا جرة بمسجد قلعة بني حماد (شكل 78) •



شكل 68

شكل 69

شكل 70

شكل 73

شكل 71

شكل 72

شكل 74

شكل 75

شكل 76

شكل 77

أ ـــ الزخرفة المسحوبة : (شكل 80) :

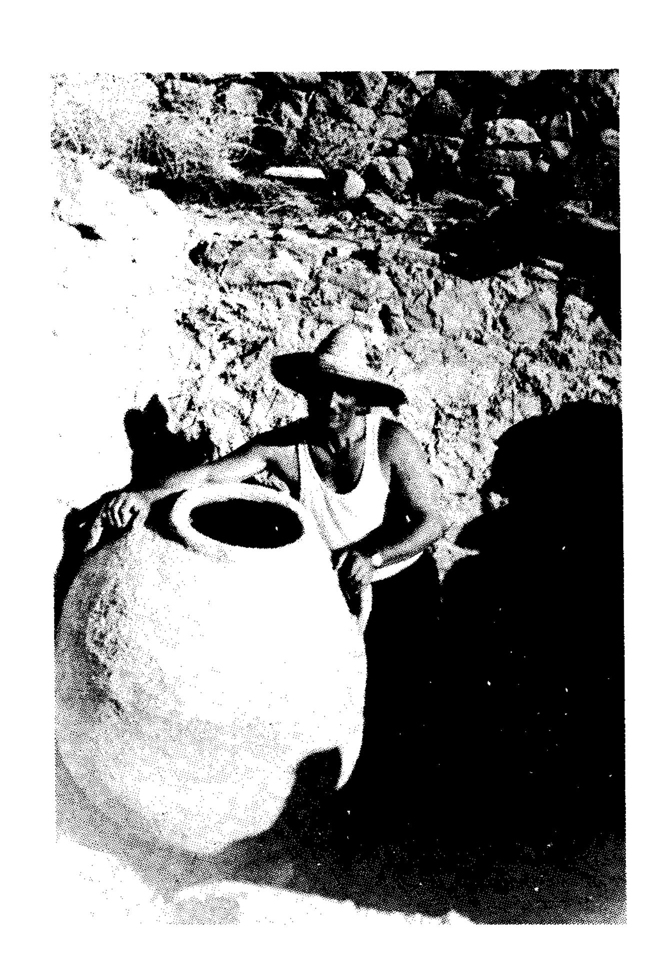
تحتوي الزخرفة المسحوبة على :

- خطوط مستقيمة أفقية (شكل 80 ، 1) ومائلة (شكل 80 ، 8) •
- مجوفة أفقية (شكل 80 ، و 13) ومائلة (شكل 80 ، من 13 الى 15) •
- جيبية أفقية متوازية (شكل 80 من 2 الى 5) تشكل في بعض الاحيان ضفيرة (شكل 80 ، 1 و 8) •
- حلزونية (شكل 80 ، 6) •

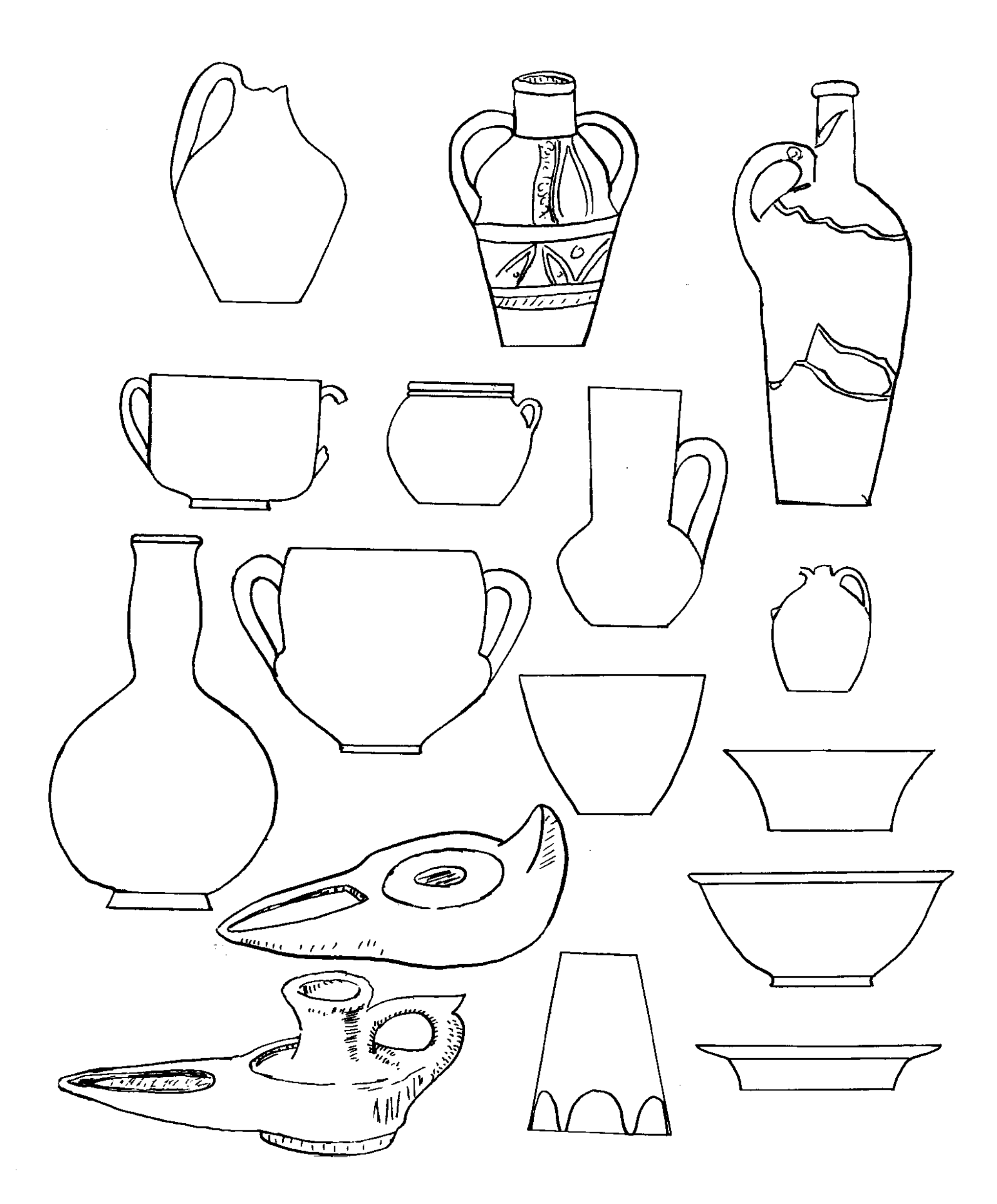
وتشتمل أيضا على مثلثات (شكل 80 ، 11) ومستطيلات (شكل 80 ، 12) ومعينات (شكل 80 ، 9) وزخارف نباتية تندرج في دائرة (شكل 80 ، 7) وزاويتين منفرجتين مندرجتين في مستطيل •

ب ـــ الزخرفة المطبوعة :

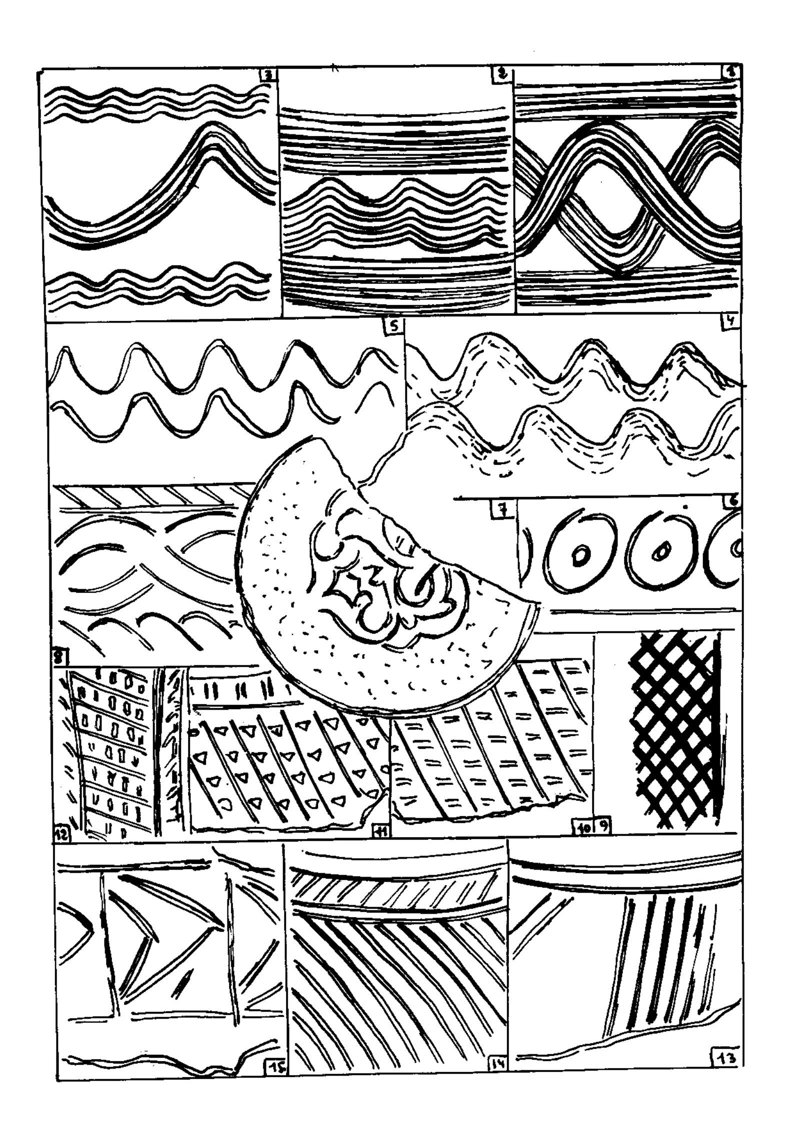
تحتوي الزخرفة المطبوعة على عناصر هندسية ومعمارية ونباتية وكتابية من العناصر الهندسية نذكر : المثلثات (شكل 81) والمغازل (شكل 82) والدوائر المربعات والمستطيلات والخطوط المتوازية (شكل 83) والمربعات الثمانية الاسنان والضفائر (شكل 84) وعدة عناصر تستعمل لملء الفراغ (شكل 85) • وتشتمل العناصر المعمارية على أقواس مفصصة (شكل 86 ، 1 ، 2 ، 3) وأقواس مكسورة متشبكة (شكل 86 ، 4) وتحتوي العناصر النباتية على فروع وأوراق وزهيرات ثلاثية الفصوص (شكل 86 من5 الى9 و11 و12) وفطر (شكل 86 ، 2) أما العناصر الكتابية فنجدها في قطعتين في قطعة نرى كلمة « الله » وفي الثانية كلمة « البركة » (شكل 86 ، 10 و 13) •



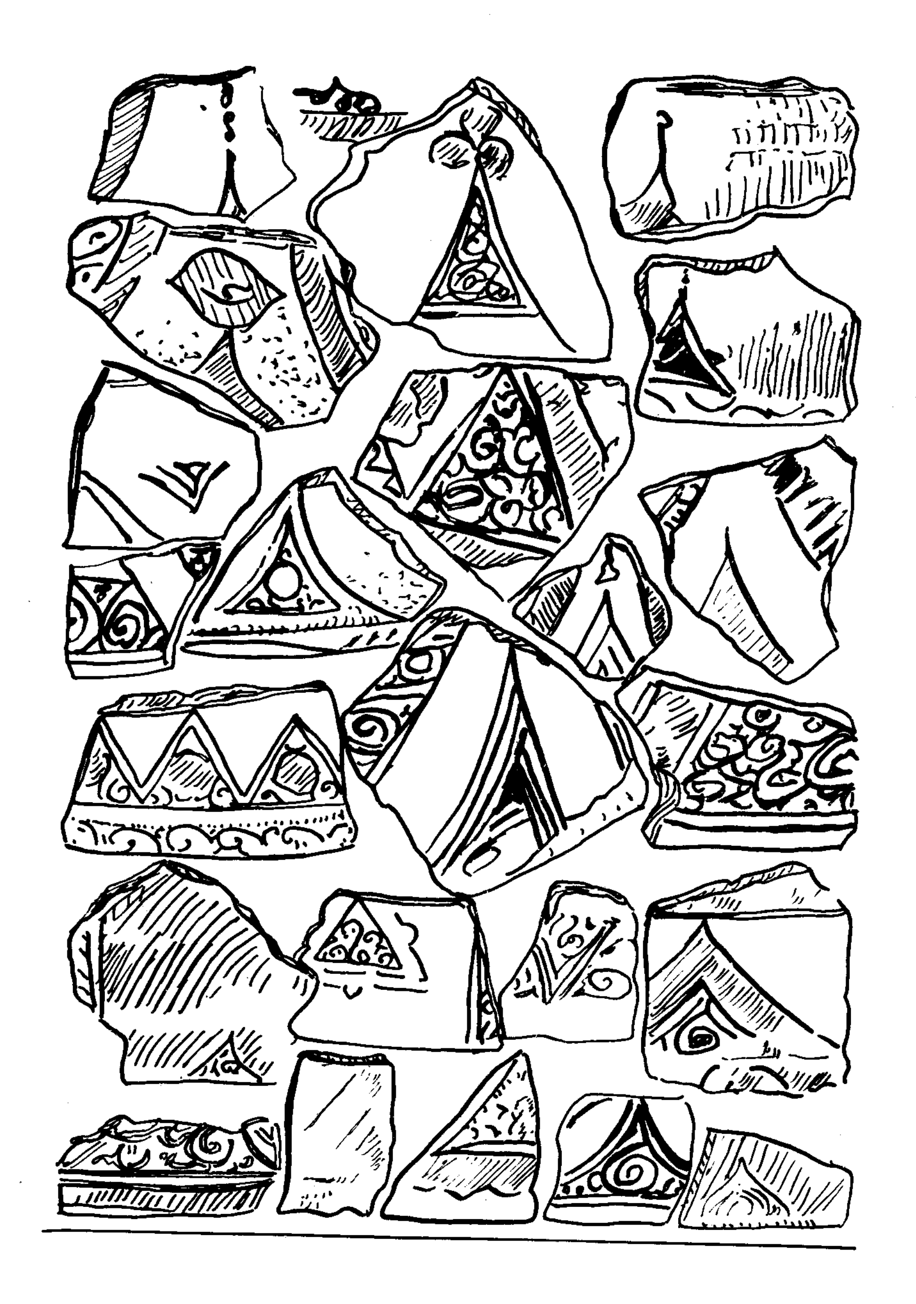
شكل 78 ـ جرة اكتشفت في صحن مسجد قلعة بني حماد



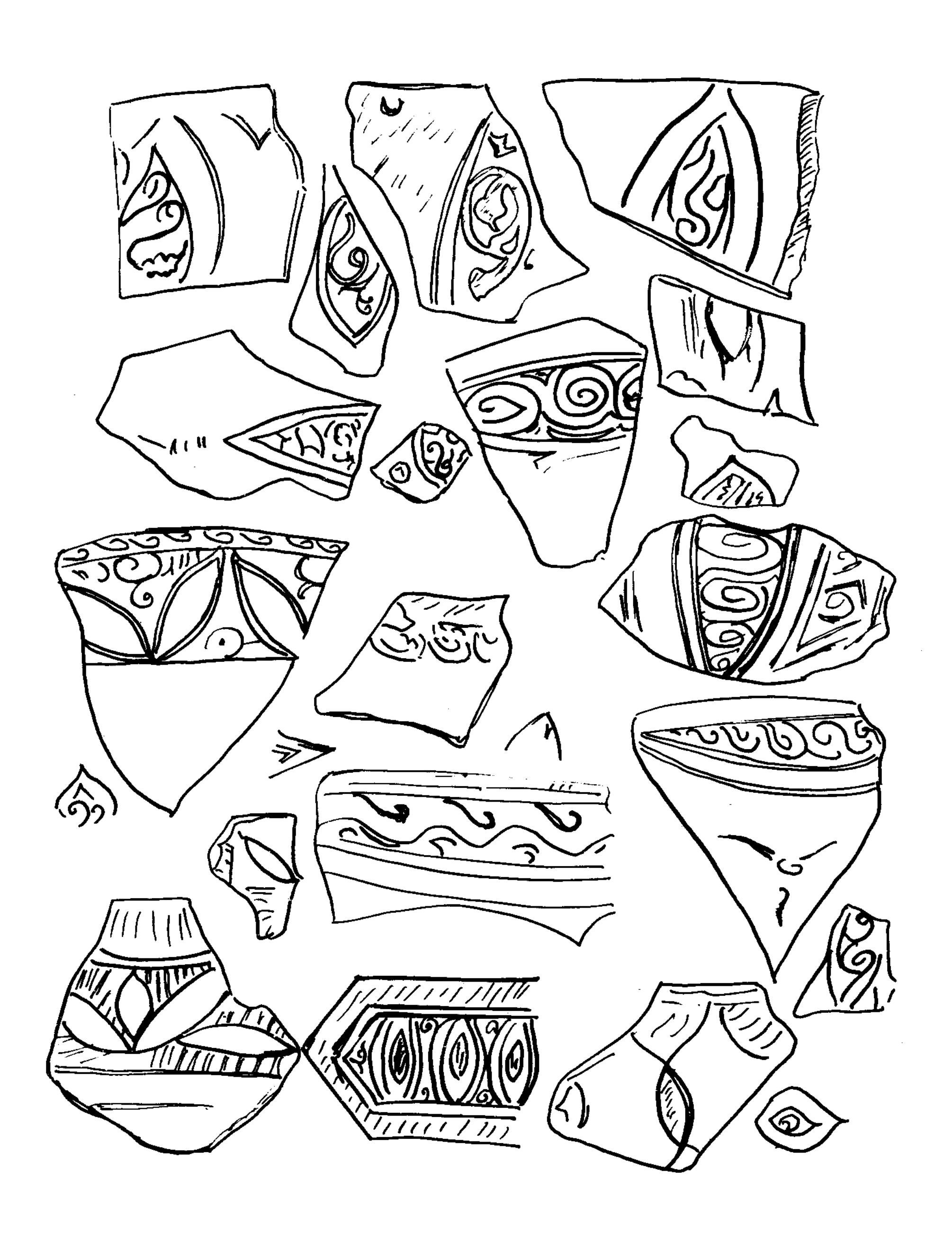
شكل 79 ـ أواني وادوات منزلية حمادية



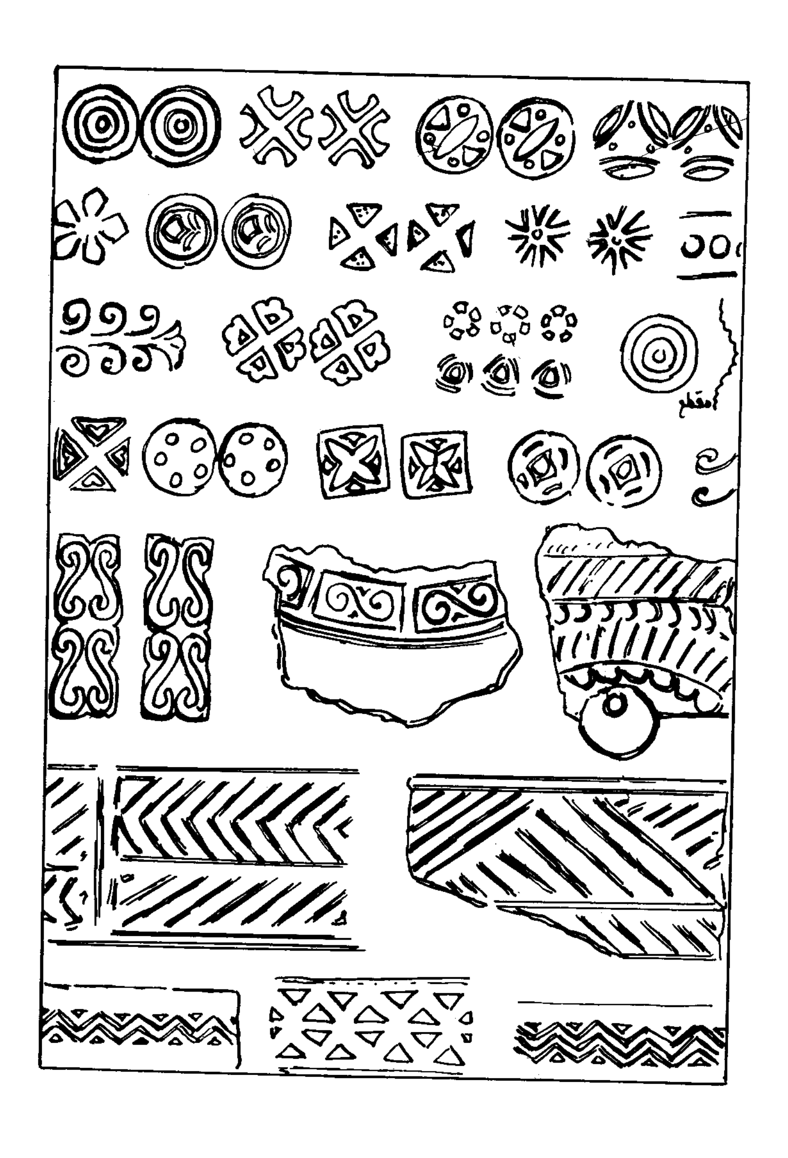
شكل 80 ـ الزخرفة المسحوبة



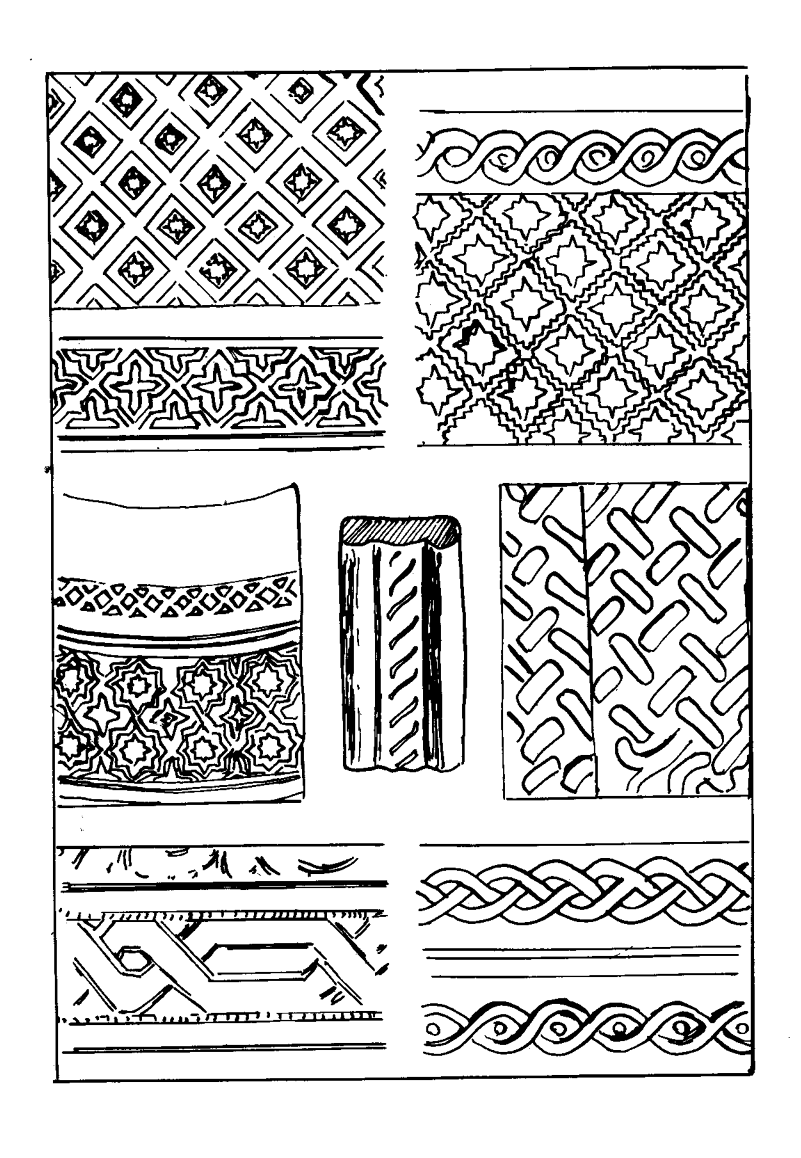
شكل 81 – الزخرفة المطبوعة . العناصر الهندسية . المثلثات



شكل 82 ـ الزخرفة المطبوعة . العناصر الهندسية . المغازل



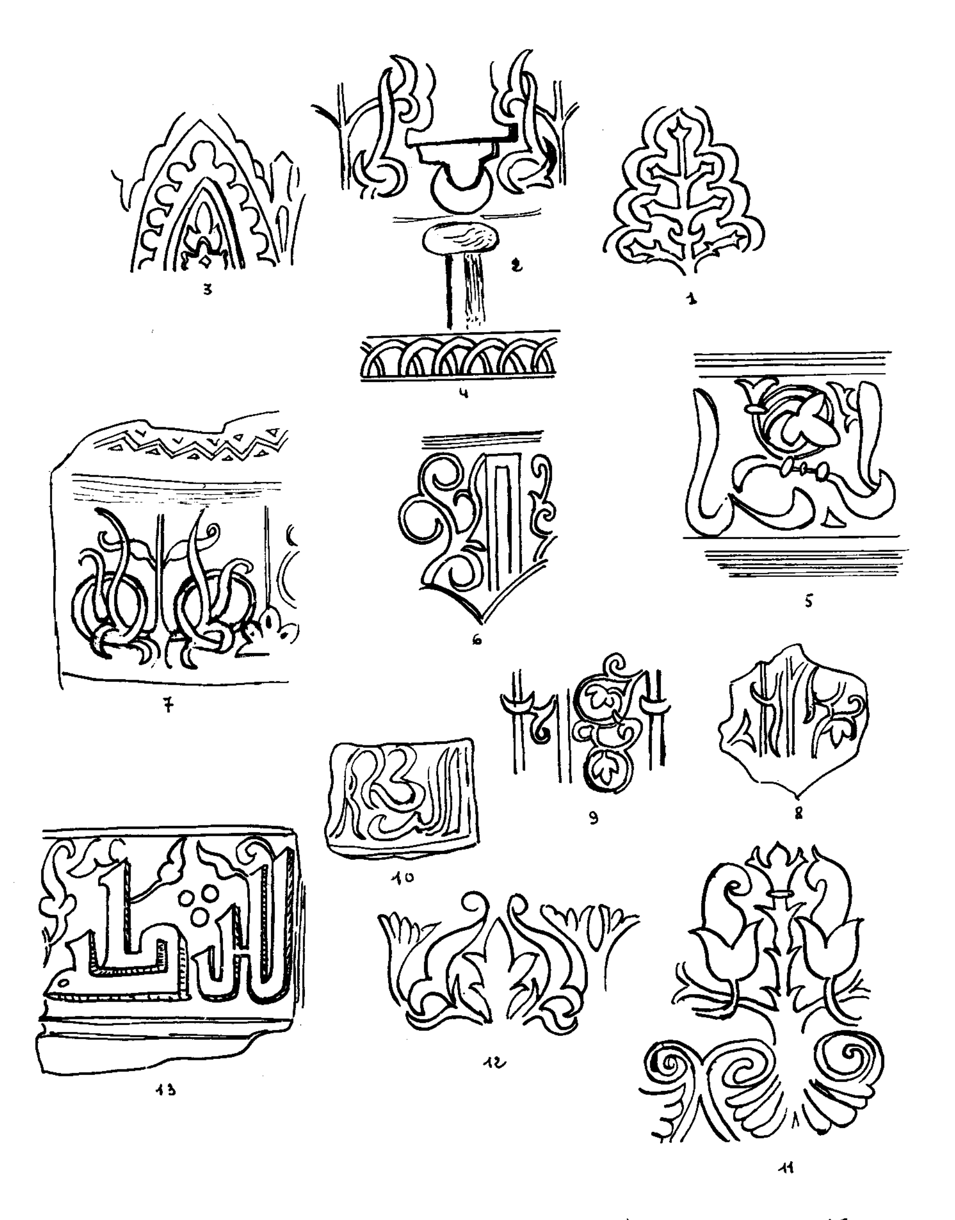
شكل 83 – الزخرفة المطبوعة . العناصر الهندسية . الدوائـــر والمربعات والمستطيلات والخطوط المتوازية



شكل 84 ـ الزخرفة المطبوعة . العناصر الهندسية . المربعات الثمانية الاسنان والضفائر



شكل 85 — الزخرفة المطبوعة . العناصر المستعملة لملء الفراغ



شكل 86 ـ الزخرفة المطبوعة . العناصر المعمارية والنباتية والكتابية

ج ـــ الزخرفـة المرسومة بالريشـــة :

تتألف من عناصر هندسية ونباتية وكتابية وبشرية وحيوانية •
من العناصر الهندسية نذكر الضفيرة والمغزل والمثلث (شكل 87)
والعناصر النباتية تحتوي على فروع وأوراق وزهيرات (شكل 88)
بينما العناصـر الكتابية تتألف مـن كلمتي « اليمن » و « الله »
(شكل 88) والصور البشرية تزين خمس قطع • في القطعة الاولى
نرى وجه طفل (شكل 89 ، 1) وفي الثانية والثالثة نشاهد ملاحين
يجذبون على حبل وفي الرابعة رجلين واقفين بجانب شجرة والاخيرة
فارس على حصانه (شكل 90 ؛ 3) أما العناصر الحيوانية فنذكر
منها الاسد (89 . 5) والحصان (شكل 89 من 6 الى 11 وشكل
90 ؛ 1 و 2) والجمل (شكل 89 ؛ 2) والحمار (شكل 90 ،
3 و 6) والغزال (شكل 90 . 4 و 5) والخروف (شكل 90 ، 7)
والطـير (شكل 90 . 5 و 8 و 10 و 11) وحيـوان ميثولوجي
(شكل 90 ، 9 و 12)

5) الاعمـــدة :

آ) القواعـد :

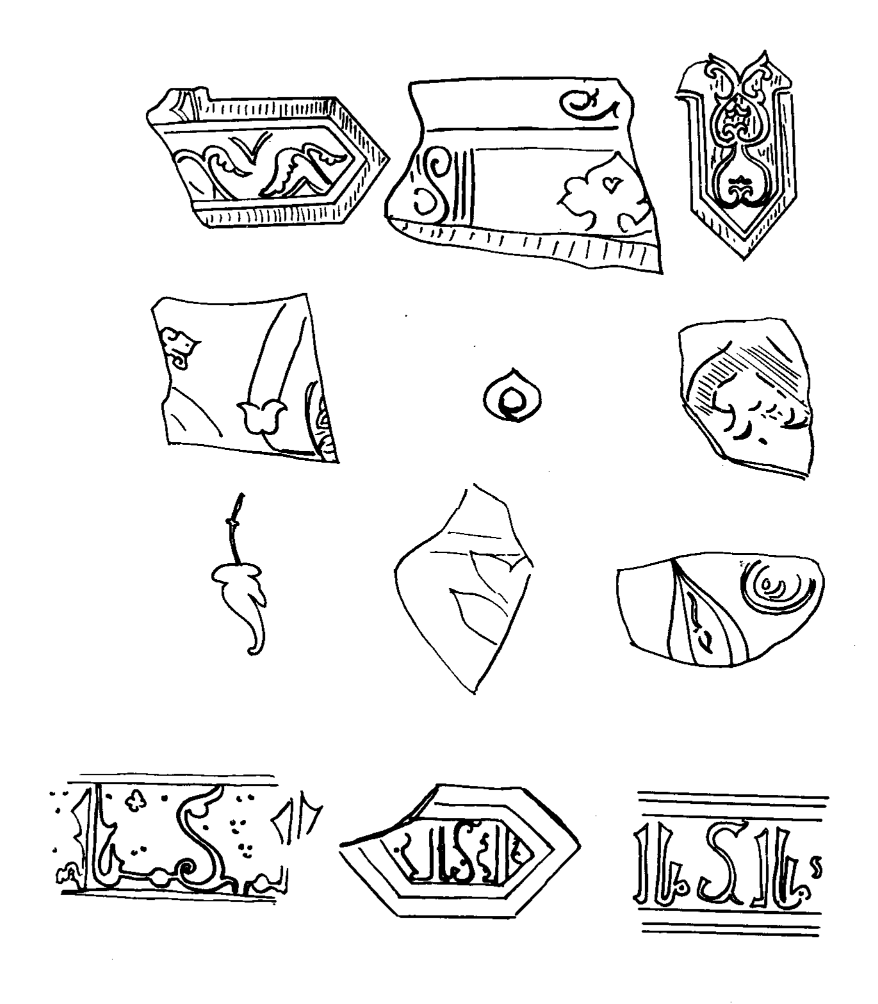
بجانب قواعد أعمدة القاعة الشرفية لقصر المنـار الذي تحدثنا
عنها فيما سبق نذكر قاعدتين من الحجر الاصفر عثر عليها الاستاذ
قولفين في برج المنار (شكل 91 ، 8) •

ب) السـوق :

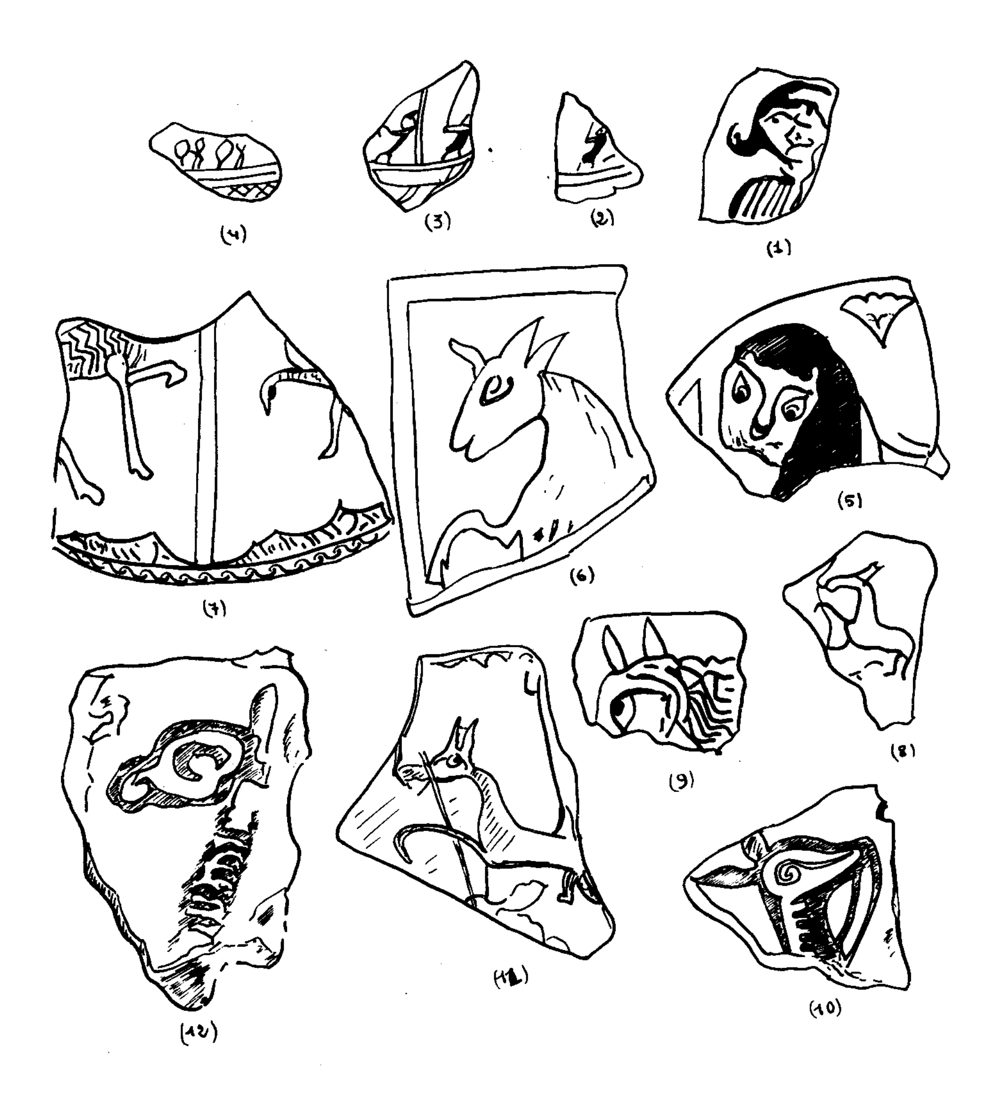
عثر الاثريون على سوق أعمدة عديدة من الرخام في برج المنار
وقصر المنار وسوق من الحجر في صحن مسجد القلعة وقطعة ملونة من
ساق الجص في القاعة الموجودة على يمين القاعة الشرفية وجزء من ساقي
عمودي محراب المسجد الصغير الذي وجدناه في قصر المنار •



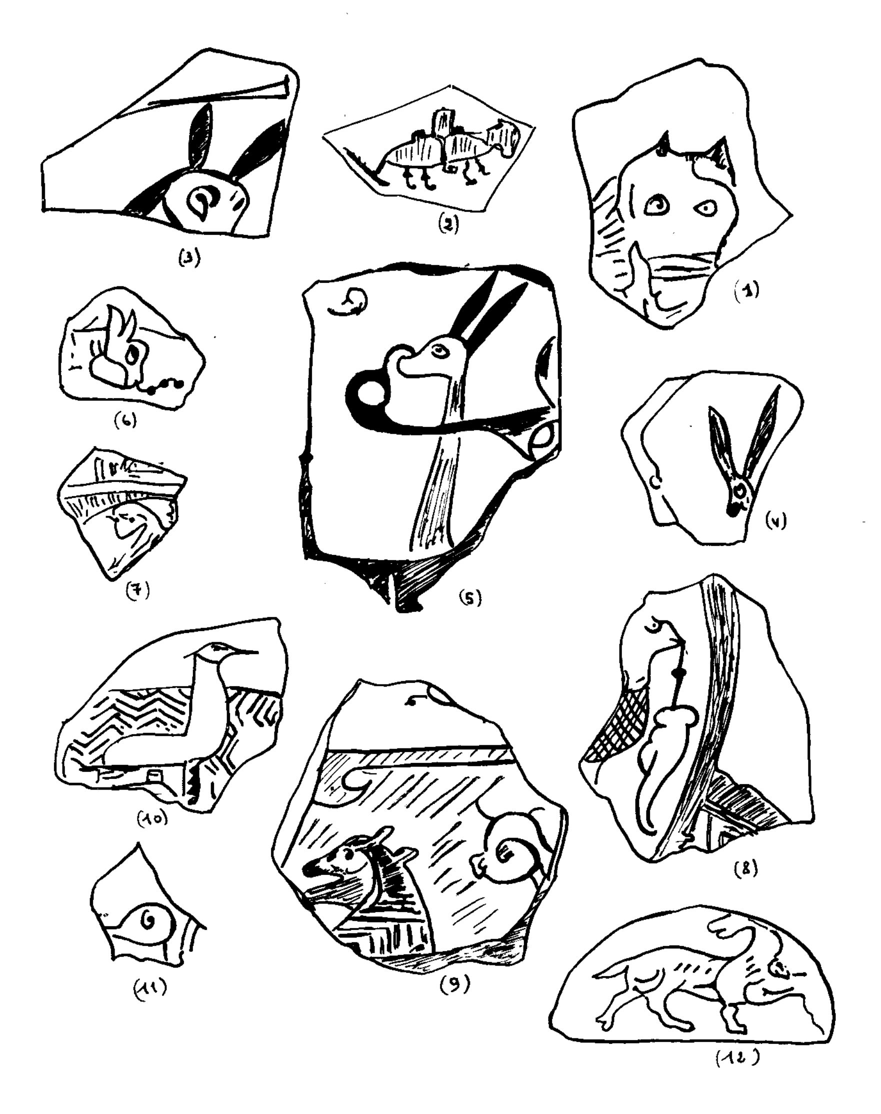
شكل 87 ــ الزخرفة المرسومة بالريشة . العناصر الهندسية



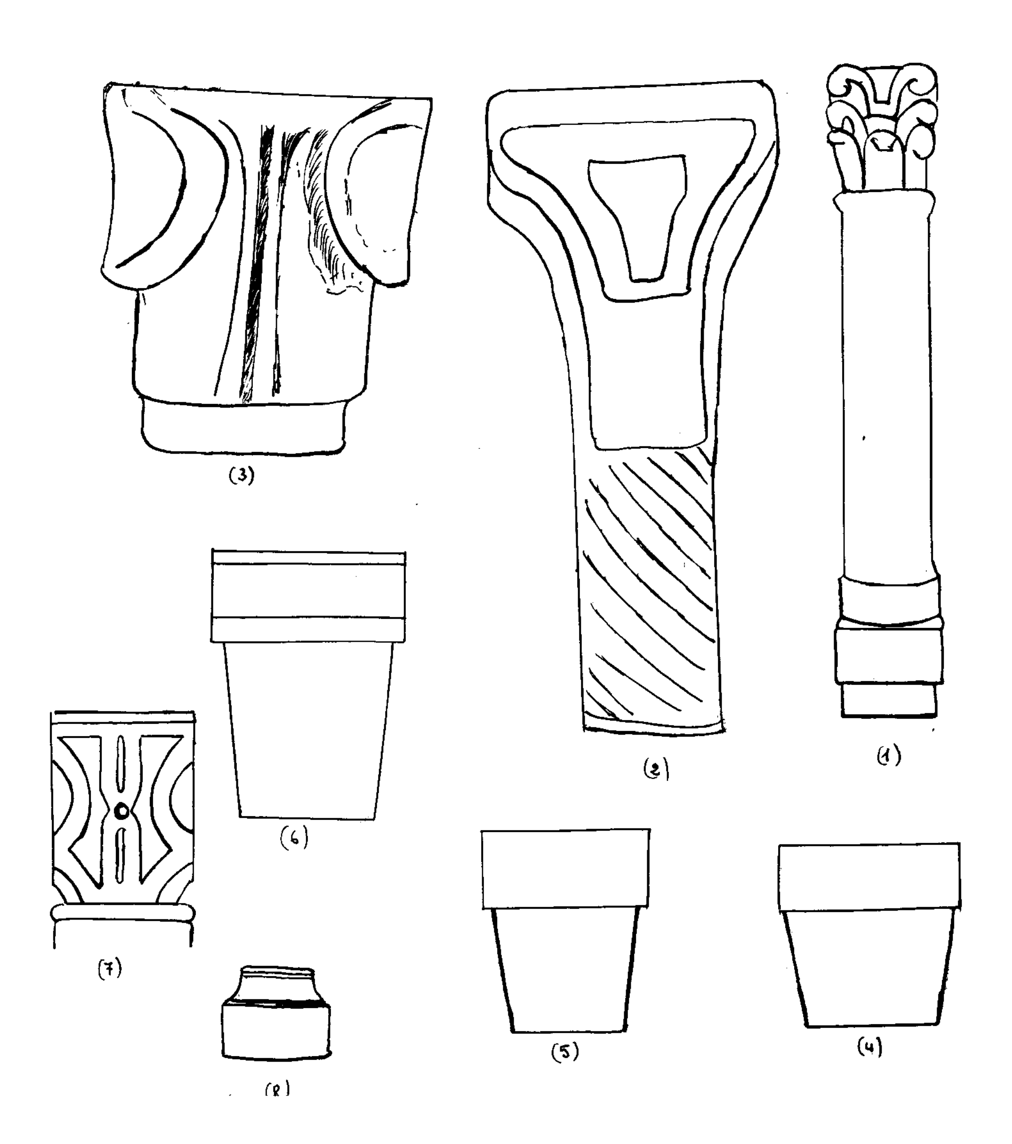
شكل 88 ـ الزخرفة المرسومة بالريشة . العناصر النباتية والكتابية



شكل 89 ـ الزخرفة المرسومة بالريشة . العناصر البشرية والحيوانية



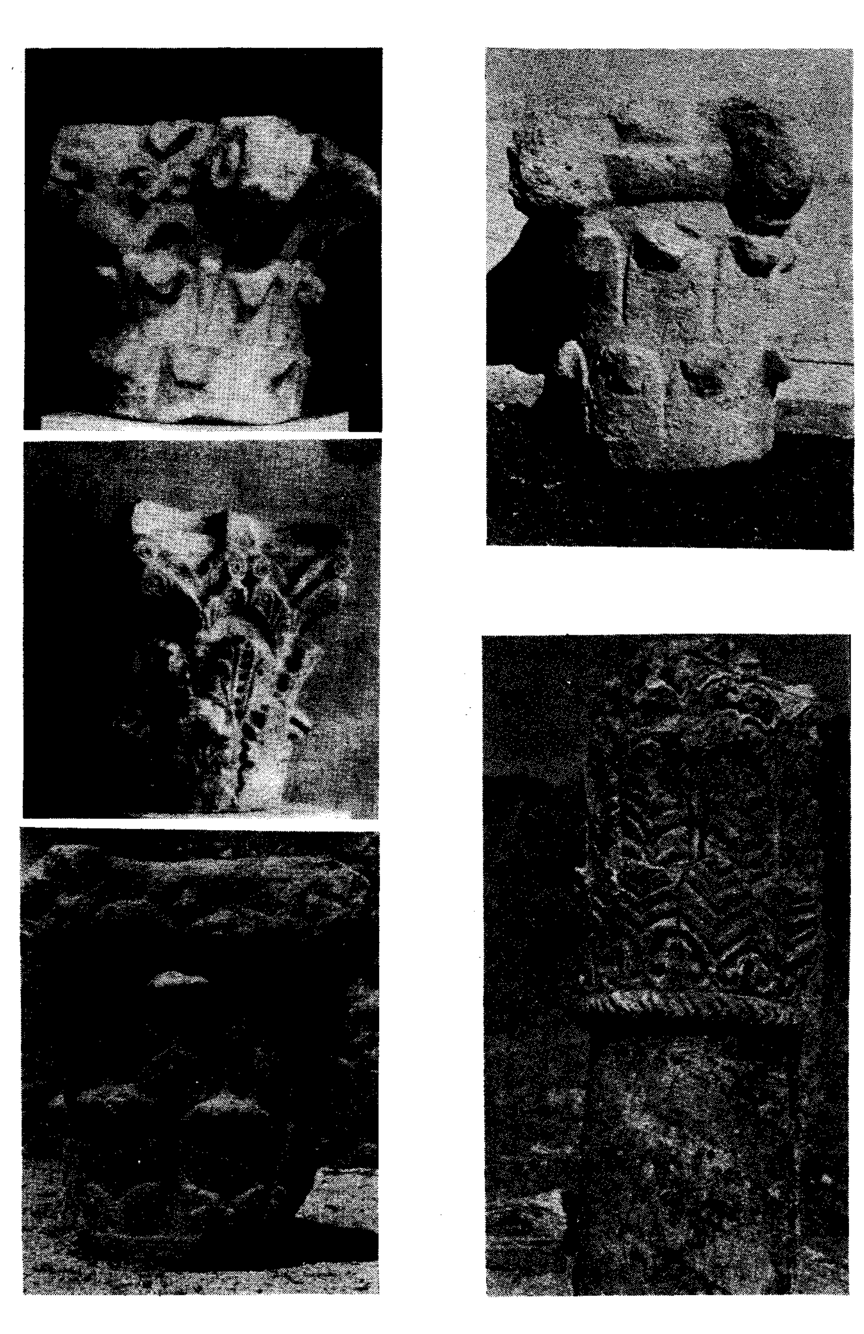
شكل 90 ـ الزخرفة المرسومة بالريشة . العناصر البشرية والحيوانية



شكل 91 ـ قاعدة وتيجان حمادية

ج) التيجـــان :

بجانب التاجين اللذين ذكرناهما عندما درسنا القاعــة الشرقية لقصر المنار هناك تيجان عديدة أخرى (شكل 91 ، 1 و 2) • منها خمسة تيجان عثر عليها القائد ديبلي اثنان من الرخام وثلاثة مــن الجص ، وتاج اكتشفه الاستاذ قولفين (شكل 91 ، 3) وأحد عشر تاجا عثرنا عليها أثناء الحفريات التي أجريناها بقلعة بني حماد فوجدنا أربعة منها في صحن المسجد • أحدها يشتمل على صفين من أوراق الاقنثة تعلوهما ربع دائرة موضوعة بين قرصين (شكل 92 ، 1)• والثلاثة الاخرى بسيطة جــدا (شكل 91 ، 4 ، 5 و6) واكتشفنا الخامس في برج المنار • فهو من الحجر الاصفر ويحتوي على جزئين ، الجزء السفلي على شكل جذع مخروط فهو مزين بصفين من الاقنثة • أما الجــزء العلوي فهو عــلى شــكل متوازي ومزين بحلزونيتين (شكل 92 ، 2) وعثرنا على التاج السادس في القاعة الموجودة على يمين القاعة الشرفية لقصر المنار • فهو من الجص ويعلو الساق التي تحدثنا عنها من قبل • فيحتوي على طوق مزين بزوايا منفرجة متوازية وصف من زهيرات ثلاثية الفصوص مندرجة في قلوب وصفين من أوراق الاقنثة مؤثثة بزوايا منفرجة وصفين مــن المحالق (شــكل 92 ، 3) ووجدنا التاج السابع في القاعة (2) من قصر البحر • فهو أول تاج من الآجر اكتشف بقلعة بني حماد • فيحتوي على طوق يعلوه متوازي السطوح مزين بشريط (شكل 91 ، 7) ووجدنا التاج الثامن في صحن القسم الغربي لقصر المنار • فهو من الرخام وتحتوي زخرفته على صفين من الاقنثة وصفين من المحالق (شكل 92 ، 4) • أما التاج التاسع فوجدناه بقصر البحر • فهو من الحجر الاصفر ويحتوي على صفين من أوراق الاقنثة وصفين من المحالق (شكل 92 ، 5) • أما التاجان الاخيران فهما من الحجر الاحمر ومزينان بثلاثة صفوف من أوراق الاقنثة يعلوها قرصان فهما معروضان في متحف مدينة سطيف •



شكل 92 ــ تيجان حمادية

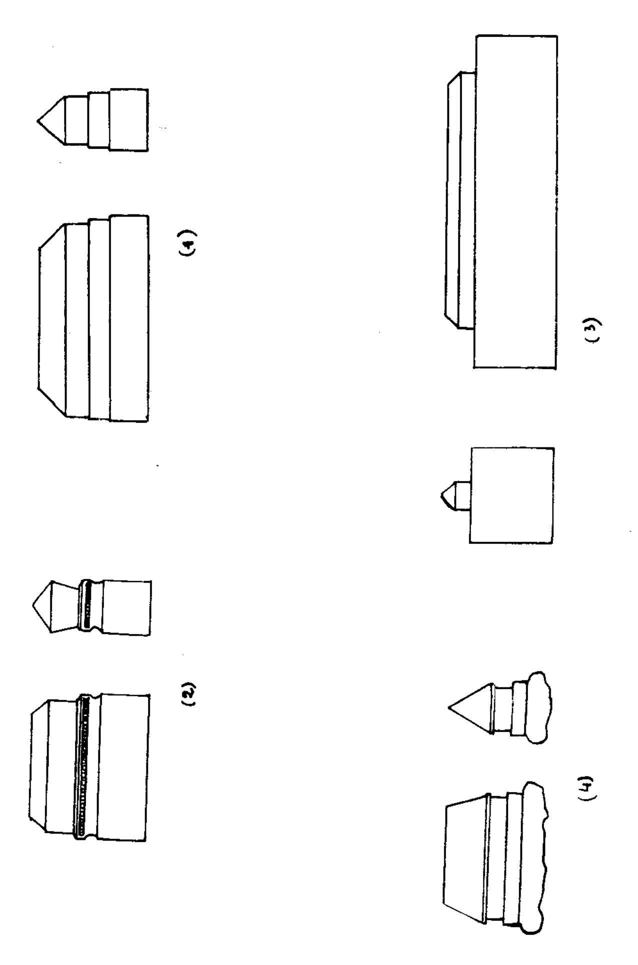
6) القبـــور :

عثر الاثريون على قبور عديدة مختلفة الشكل[1] :

يشتمل النوع الاول على ثلاثة أجسام متوازية السطوح يعلوها جذع هرم (93 ، 1) ان وجـوه جذع الهـرم والجسم المتوازي السطوح العلوي مزينة بكتابة كوفية • ويحتوي النوع الثاني عـلى جسمين متوازيي السطوح يعلوهما جذعا هرمين • أحدهما موضوع على قاعدته الصغيرة والآخر على قاعدته الكبرى (شكل 93 ، 2) ان المتوازي السطوح الثاني مزين بتجويف وصف من اللآلىء بينما جذعا الهرمين مؤثثان بكتابة كوفية ويتألف النوع الثالث من جسمين متوازيي السطوح يعلوهما جذع هرم (شكل 93 ، 3) ان الوجه الافقي للجسم الاول ووجوه الجسم الثاني وجذع الهرم مزينة بكتابة كوفية • ويشتمل النوع الرابع على قاعـدة وثلاثة أجسام متوازية السطوح يعلوها جذع هرم (شكل 93 ، 4) • ان في جذع هرم هذا القبر الوجهان الكبيران مزينان بكتابة كوفية والوجهان الصغيران مزينان بزهيرة • ويشتمل النوع الخامس على ثلاثة أجسام متوازية السطوح يعلوها جذع هرم (شكل 94 ، 1) في هذا الضريح متوازي االسطوح الثاني وجذع الهرم مزينان بكتـابة كوفيـة بينما متوازي السطوح الثالث مؤثث بصف من اللآلىء • ويحتوي النوع السادس على متوازي السطوح يعلوه موشور ذو قاعدة على شكل مربـع منحرف • ان وجوه الجسم المتوازي السطوح مزينة بزهيرات تندرج في قلوب بينما نرى في الموشور الزخرفة النباتية تتناوب مع الزخرفة الكتابية (شكل 94 ، 2) • أما النوع السابع والاخير فهو عـلى شكل جسم متوازي السطوح يعلوه نصف اسطوان (شكل 94 ، 3) • ويمتاز هذا القبر بالاسدين اللذين يزينان وجهاه الصغيران •

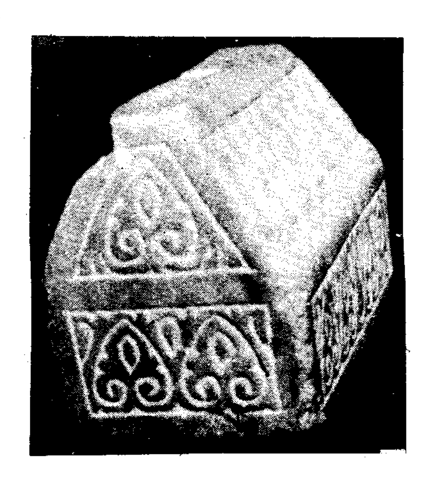
---

(1) انظر لوسيان قولفين • نفس المرجع • ص 157—182 •



شكل 93 — قبور حمادية







شكل 94 ــ قبور حمادية

7) الاحـــواض :

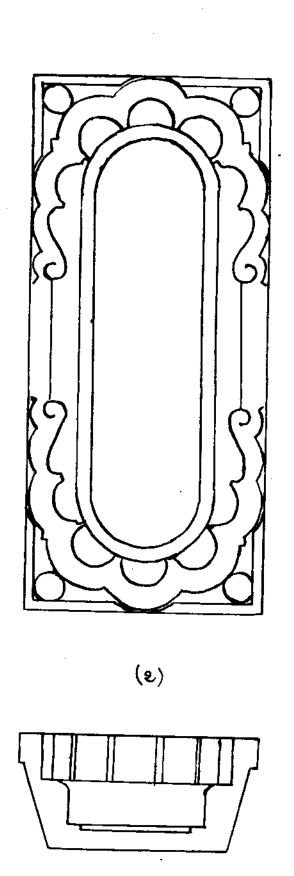
عثر الاثريون على ثلاثة أحواض ، أحدها وجده الاستاذ قولفين ببرج المنار ، فهو من الرخام الاشهب مربع ومزين بنصف قبيبةمندرجة في مربع ثماني الاسنان (شكل 95 ، 1) • واكتشف الحوض الثاني القائد دي بيلي في قصر البحر • فهو من الرخام الاشهب على شكل جذع هرم يعلوه جسم متوازي السطوح ، فله قاعدتان مستطيلتان وتزينه قوسان مستقيمتان منحنيتان وقوسان مفصصتان وقوسان على شكل نصف دائرة ، وأربع دوائر موضوعة في الزوايا الاربع (شكل 95 ، 2) • أما الحوض الثالث فعثرنا عليه في وسط صحن القسم الغربي لقصر المنار • فهو على شكل جذع هرم يعلوه جسم ذو قاعدة على شكل مربع مزين بأربعة أنصاف دوائر موضوعة في وسط الاضلاع (شكل 97) • وما يزيد في قمة هذا الحوض هو أنــه مزين بأربــع أسد مندرجة في أنصاف الدوائر وترمي الماء من أفواهها •

8) الشـــاذروانات :

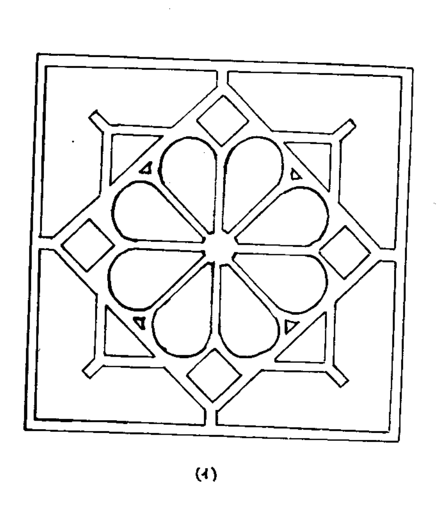
وجد الاستاذ قولفين قطع منها احداهابقصر البحر والاخرى بقصر المنار • ان القطعة الاولى من الرخام الاشهب المزين بحزوز متعرجة (شكل 98 ، 1) ومن القطع التي وجدت في قصر المنار نذكر قطعة مزينة بحزوز على شكل أقواس ثلاثية الفصوص وزهرة ذات خمس تويجيات وثلاثة أسماك متوازية (شكل 98 ، 2 و3) • وكانت هذه الشاذروانات توضع تحت العيون كما نشاهده في قصر العزيزة بمدينة بالرمو في صقلية •

9) قطع حجرية منقوشـة :

بجانب الالواح الذي ذكرناه عندما تحدثنا عن مئذنة جامع قلعة بني حماد نذكر ساكفا مزين من جهة بكتابة كوفية (شكل 98 ، 4)

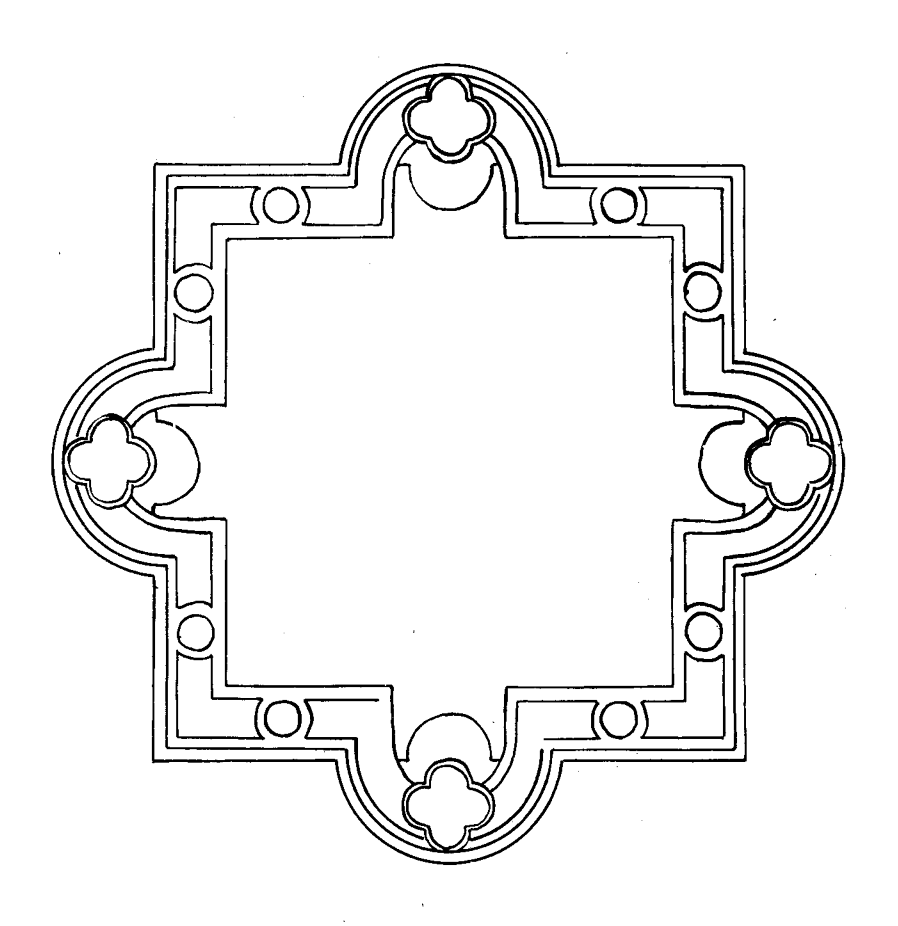


(٤)

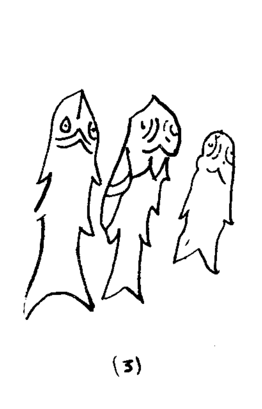


(٩)

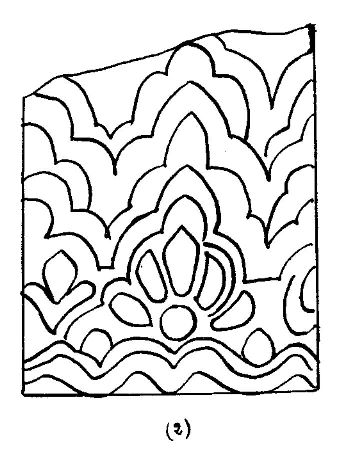
شكل 96 ـ حوضان حماديان



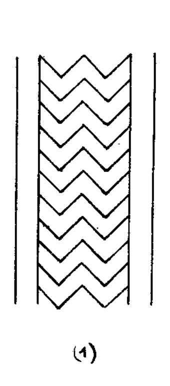
شكل 97 ـ حوض حمادي



(٣)



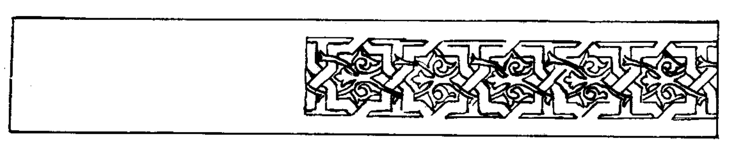
(٢)



(١)

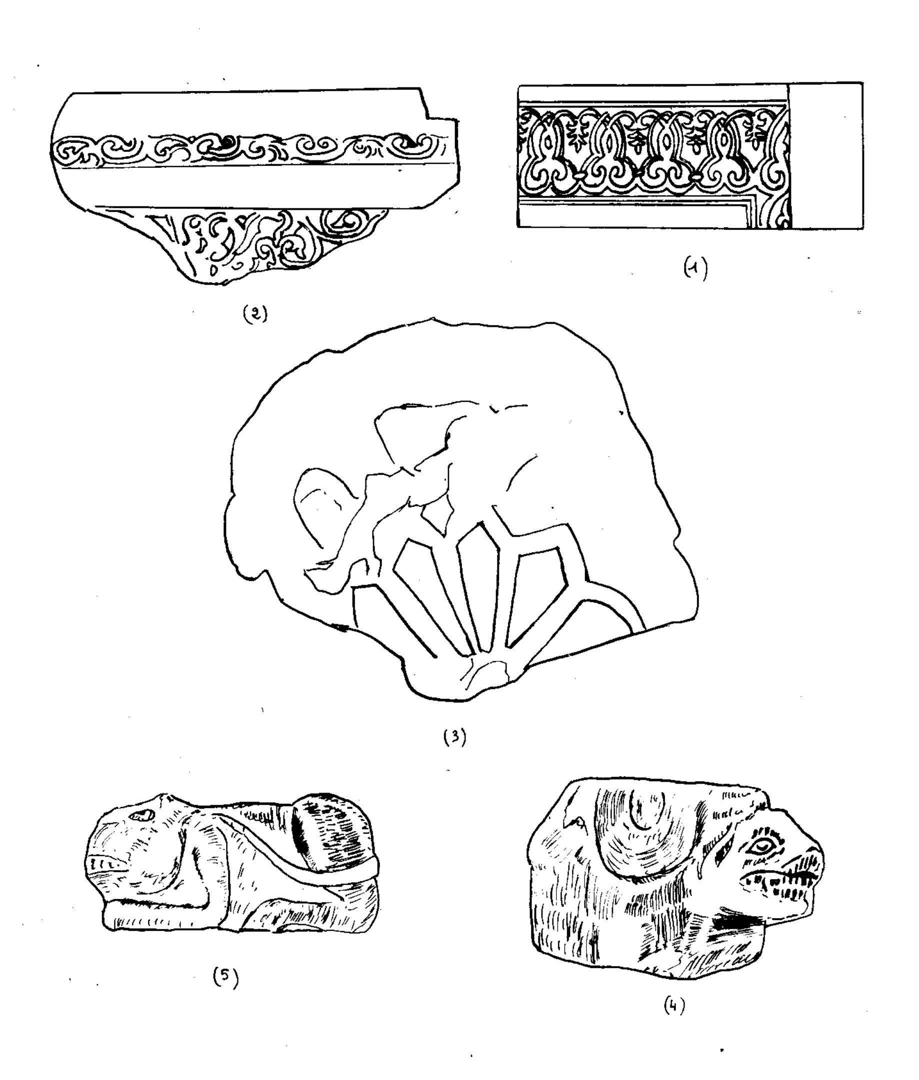


(٤)



(5)

شكل 98 ـ رسم شاذروانين وساكف



شكل 99 ـ قطع من الحجر المنقوش واسدان

ومن الجهة الاخرى بمربعات ثمانية الاسنان تندرج فيها أشكال نباتية (شكل 98 ، 5) وحجرتين منقوشتين مزينتين بعناصر نباتية (شكل 99 ، 1 و 2) وقطعة على شكل خشرم (شكل 99 ، 3) •

10) **الاسد المنقوشة في الرخام والحجر :**

عثر الاثريون على أسدين أحدهما من الرخام الاسود كان يعمد قوساً (شكل 99 ، 4) والآخر من الحجر الاصفر كان يرمي الماء من فيه (99 ، 5) •

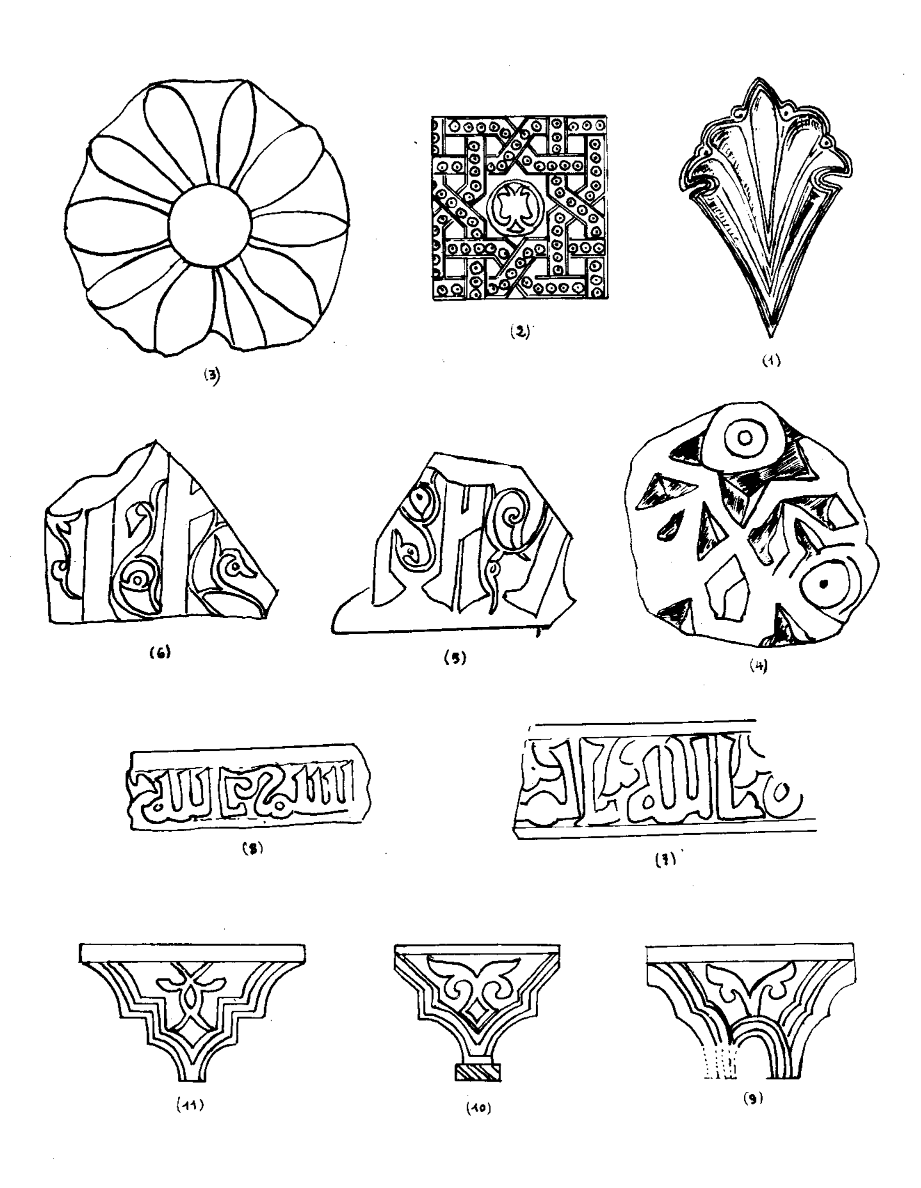
11) **النقش على الجص :**

بجانب الزخرفة الجصية التي تزين مسجد قصر المنار والجامع الكبير بقسنطينة وتاج القسم الغربي لقصر المنار عثر الاثريون على قطع جصية مزينة بعناصر مختلفة منها :

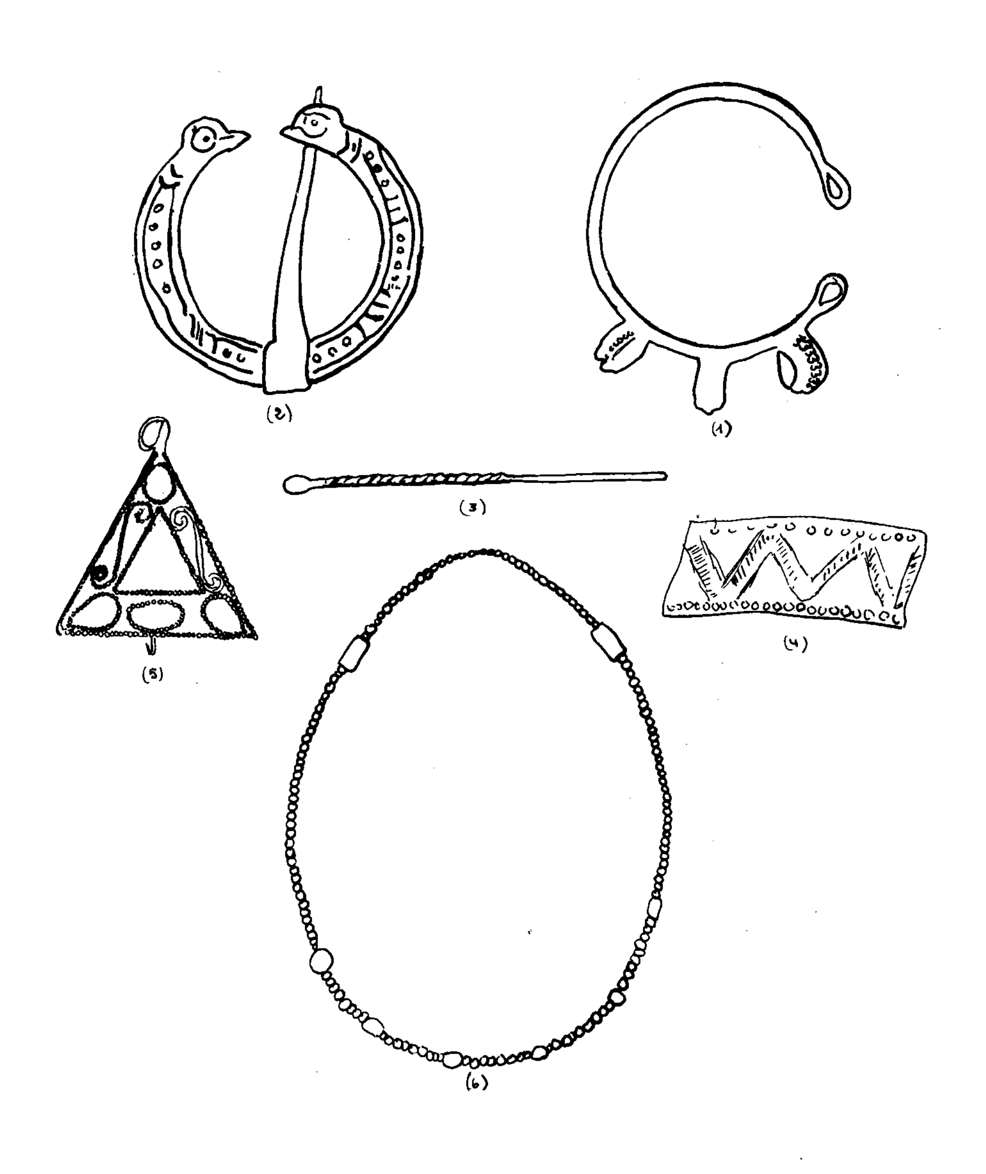
— صدفات كانت تكلل مشكاتي مئذنة قلعة بني حماد (شكل 19) • وقاعات قصر البحر (شكل 100 ، 1) •
— مشبكات مزينة بلآلىء ترسم مربعات ثمانية الاسنان في وسطها أشكال نباتية مندرجة في دائرة (شكل 100 ، 2) •
— ورود مختلفة الشكل (شكل 100 ، 3 و 4) •
— وأشكال نباتية (شكل 100 ، 5 و 6) أو كتابية (شكل 100 ، 7 و 8) •
— أشكال هندسية ونباتية (شكل 100 ، 9 و 10 و 11) •

12) **النقش على البرنز :**

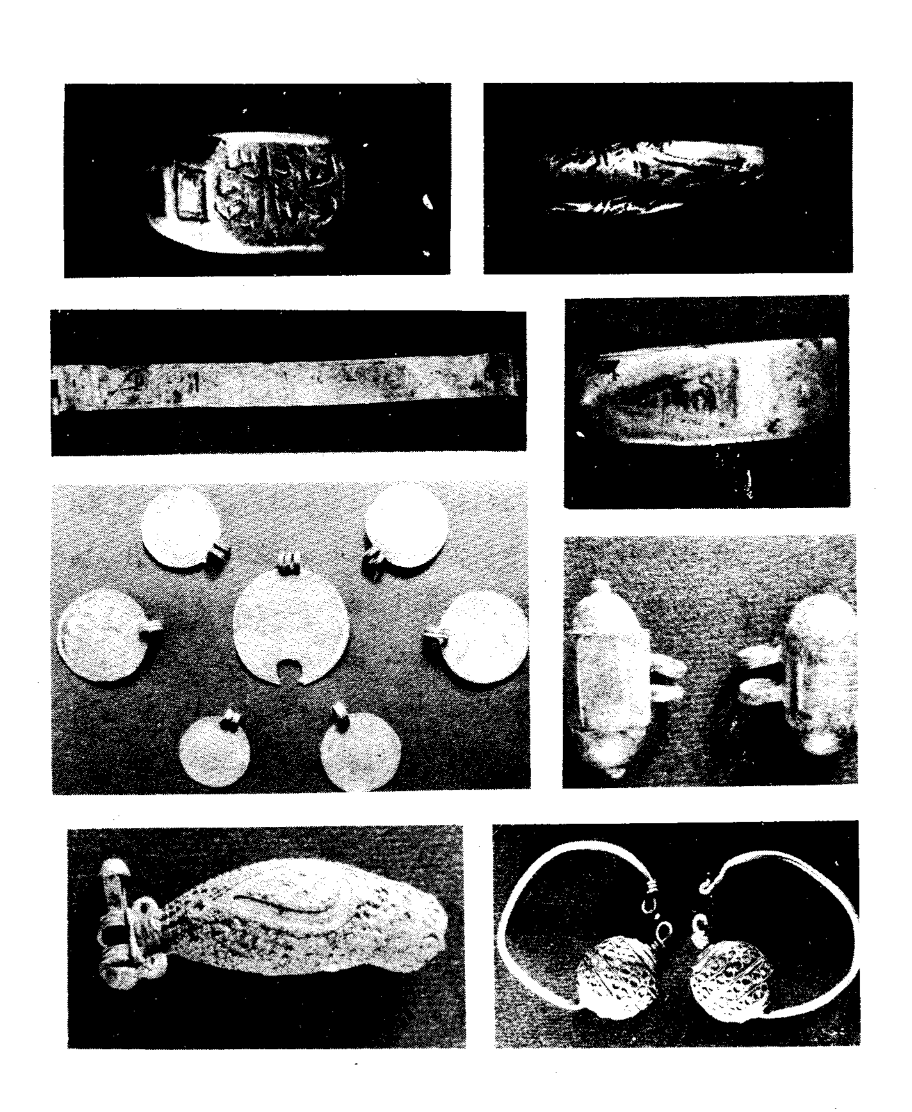
عثر القائد دي بيلي على تحف عديدة من البرنز منها : طيران (شكل 101 ، 1 و 2) وجزء من قفل (شكل 101 ، 3) ورجل اناء (شكل 101 ، 4) وشوكة ذات أسنان قصيرة (شكل 101 ، 5) وصفيحتان (شكل 101 ، 6 و 7) ورأس مسمار (شكل 101 ، 8) وقطعة مزينة بزخارف هندسية ونباتية وكتابية (شكل 101 ، 9) •



شكل 100 ـ النقش علـى الجص



شكل 102 ـ حلي متحف قسنطينة



شكل 103 ـ حلي متحف سطيف

الخلاصة

كما رأينا فيما سبق كان للدولة الحمادية دور هام في تاريخ المغرب وحضارته • ان مؤسسها حماد بن بلقين كان في أول الامر قائدا مشهورا في خدمة الامير الزيري باديس بن المنصور • فحارب الزناتي زيري بن عطية وابنه المعز ، ثم أعمامه الذين كانوا قد ثاروا على الامير الزيري وأسس عاصمته قلعة بني حماد قرب المسيلة • ثم ثار على باديس بن المنصور لان هذا الاخير كان قد طلب منه أن يتخلى عن قسنطينة وتيجس وقصر الافريقي • وبعد حرب شديدة بينه وبين باديس وابنه المعز أصبح أميرا مستقلا على المغرب الاوسط سنة 1018/408 • وبعد وفاته خلفه ابنه القائد ، لكننا لا نعرف الا الشيء القليل عن شؤون الدولة الحمادية في عهده ، لأن المؤرخين اهتموا بحدث هام الا وهو انقطاع العلاقات الزيرية ــ الفاطمية وزحف بني هلال على افريقية • وبعد وفاة القائد صعد ابنه محسن على العرش الحمادي ولكن بعد أشهر قليلة قتله ابن عمه بلقين بن محمد وتولى الامر في المغرب الاوسط وحارب زناتة وفتح مدينة فاس واتفق مع بني هلال عند وصولهم الى المغرب الاوسط وترك لهم الارياف وأدخلهم في صفوف جيشه ، ولكن وقع صراع بينه وبين ابن عمه الناصر بن علناس • فانتصر هذا الاخير على بلقين وقتله وصعد على العرش الحمادي فعرف المغرب الاوسط في عهده ازدهارا عجيبا • فنظم الدولة وأيدها ووسعها الى أن ثلاث مناطق من افريقية صفاقس وقسطيلية وتونس خضعت له • فأراد الناصر أن يفتح افريقية ولكنه لم ينجح في محاولته وانهزم في معركة سبيبة انهزاما شنيعا • ففهم أن المهدية عاصمة الامير الزيري تميم لا تفتح الا اذا هجم عليها عن طريق البحر وعن طريق البر في نفس الوقت ، لذلك أسس مدينة بجاية واتخذها دار ملكه ، فهجم مرة ثانية على افريقية وفتح القيروان ثم

رجع الى المغرب الاوسط وتصالح مع تميم وتزوج بابنته بلارة •
فحارب إذ ذلك زناتة وكلف ابنه المنصور بقتال بني هلال الذين كانوا
تحالفوا مع بعض القبائل الزناتية •

وبعد وفاة الناصر خلفه ابنه المنصور • ففي عهده بلغت الدولة
الحمادية أوجها وأصبحت بجاية قطب لتجار وعلماء العالم الاسلامي
فركز المنصور دولته بخمد ثورة بلبار وأبي يكني بقسنطينة وحارب
المرابطين وبني ومانو وتغلب عليهم •

وبعد وفاته خلفه ابنه باديس ولكنــه لم يبق على العرش الا
أشهرا قليلة • وجاء من بعده أخوه العزيز بن المنصور • فغزا افريقية
مرتين وأخرج بني هلال من قلعة بني حماد • وفي عهده وقع حدث
هام ألا وهو مرور ابن تومرت بالمغرب الاوسط واقامته ببجاية وملالة
واتصاله بعبد المؤمن •

أما الامير الحمادي الاخير يحيى بن العزيز فكان على قول ابن
خلدون « مستضعفا مغلبا للنساء مولعا بالصيد » فترك شؤون الدولة
بين أيدي كبار دولته • ولم يستطع أن يمنع الموحدين من فتح المغرب
الاوسط والقضاء على الدولة الحمادية •

تلك هي الخطوط العريضة لتاريخ بني حماد • أما فيما يتعلق
بحضارتهم فرأينا أن الدولة الحمادية اشتهرت في ميادين الاقتصــاد
والثقافة والفنون ، فكان المغــرب الاوسط غنيا بالحبوب والتمور
والزيتون والفواكــه والنباتات الطبية والنسيجية والغابات وتربيــة
الحيوانات وصيادة السمك والمرجان والمعادن وصناعة السفن والنسيج
والخزف • وكان له علاقات تجارية مع بلاد العالم كله •

أما في الميدان الثقافي شاهد العهد الحمادي نشاطا هاما سواء
كان في الشعر مع النهشلي والخشني وأبي الفضل النحوي وابن رشيق

وابن حمديس وغيرهم أو في النقد الادبي مع النهشلي صاحب « الممتع » وابن رشيق مؤلف « العمدة » والنثر الفني مع عمر بن فلفول والفلسفة والعلوم الدينية مع البوني وعبد الحق البجائي وشعيب أبي مدين وأبي القاسم البسكري وابن محمد الاشيري وابن الرمامة ويوسف الورجلاني وفي النحو واللغة مع ابراهيم النهشلي والخشني والتيهرتي وابن عبد المعطي .

أما في ميدان الفنون فشيد بنو حماد عدة مساجد أهمها جامع قلعة بني حماد والجامع الكبير بقسنطينة وقصورا غاية الجمال أنشدها ابن حمديس أو اكتشفها الاثريون بقلعة بني حماد وتركوا لنا عدّ تحف من الخزف والحجر والرخام والجص والزجاج والبرنز ونقودا مختلفة وحلي جميلة .

لذلك ليس عجيبا اذا رأينا ابن حماد يرثي قلعة بني حماد في هذه الابيات الخالدة :

أين العروسان لا رسم ولا طلال	وأين ما شاد منه القادة الاول
ومجلس النوم قد هب الزمان له	بحادث قل فيه الحادث الجلل
وما رسوم المنار الآن ماثلة	لكنها خير يجري بها المثل

وابن الفكون يمدح بجاية في قصيدته الجميلة المشهورة :

دع العراق وبغداد وشامهما	فالناصرية ما أن مثلها بلد
بر وبحر وموج للعيون به	مسارح بان عنها الهم والنكد
حيث الهوى والهواء الطلق مجتمع	حيث الغنى والمنى والعيشة الرغد
والنهر كالصل والجنات مشرقة	والنهر والبحر كالمرآة وهو يد
فحيثما نظرت راقت وكل نوا	حي الدار للفكر للابصار تنتقد
ان تنظر البر فالازهار يانعة	أو تنظر البحر فالامواج تطّرد
يا طالبا وصفها ان كنت ذا نصف	قل جنة الخلد فيها الاهل والولد

فهرس أسماء الرجال والنساء والشعوب والدول والقبائل والاسر

(أ)

(ج)

(ح)

(خ)

(غ)

(ف ، ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ ، و ، ي)

■ ■ ■

فهرس البلدان والامكنة الجغرافية

(أ)

(ت)

(ج)

(ح ، خ ، د)

(ر ، ز ، س ، ش)

(ص ، ض ، ط)

(ع ، غ ، ف)

(ك ، ل م.)

(ن ، هـ ، و ، ي)

المراجع والمصادر باللغة العربية

— ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار افريقيا وتونس ، تحقيق محمد شمام ، المكتبة العتيقة ، نهج جامع الزيتونة ، تونس ، 1967

— ابن أبي زرع الفاسي : كتاب الانيس المطرب بروض القرطاس ، فاس 1303 هـ

— ابن بسام : الذخيرة في محاسن الجزيرة ، القسم الاول ، المجلدان 1 و 2 القاهرة 1939—1942 ، القسم الرابع ، المجلد 1 ، القاهرة ، 1945 .

— ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي ، 1387/1967 .

— ابن حماد : أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، مطبعة جول كازبونل بالجزائر ، 1346 هـ .

— ابن حوقل : كتاب صورة الارض ، ترجمة : Kramers و Wiet باريس 1964 .

— ابن حمديس : ديوان الفاضل الاديب الكامل الاريب الشيخ عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حمديس الصقلي السراقسي ، وقف على طبعه وتصحيحه الفقير الى الله : belestino Schiaparelli ، دار الكتاب اللبناني ، الطبعة الثانية 1921 .

— ابن الخطيب : (لسان الدين) كتاب أعمال الاعلام ، تقديم رابح بونار ، الاصالة عدد خاص ببجاية الحمادية ، ص 89—95 .

— ابن خلدون (عبد الرحمن) : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1961 .

— ابن خلكان : وفيات الاعيان وأبناء الزمـــان ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1948 •

— ابن رشيق : ديوان ابن رشيق القيرواني ، جمعه ورتبه الدكتور عبد الرحمن باغي ، دار الثقافة ، بيروت •

العمدة في صناعة الشعر ، القاهرة ، 1925 •

— ابن الصيرفي : الاشارة الى من نال الوزارة ،

Bulletin de l'Institut d'Archéologie Orientale, XXV, le Caire, 1924.

— ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار المغرب ، مكتبة صادر بيروت ، 1950 •

— ابن القطان : كتاب نظم الجمان ، تحقيق الدكتور محمود علي مكي ، المطبعة المهدية ، تيطوان •

— أحمد حماني : عباقرة تزهى بهم عواصمنا الصنهاجية ، الاصالة ، عدد خاص ببجاية عبر العصور •

— الادريسي (الشريف) وصف افريقية الشمالية والصحراوية ، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، وقد اعتنى بتصميمه ونشره ، هنري بيريس ، الجزائر ،1957/1376 •

— اسماعيل العربي : سياسة الناصر بن علناس تجاه بلاط المهدية ، الاصالة ، عدد خاص ببجاية عبر العصور ، ص 19 — 30 •

عبد الجبار بن حمديس شاعر بني حماد ، نفس المرجــع ، ص 317 — 326 •

العمران والنشاط الاقتصادي في الجزائر في عصر بني حماد ، نفس المرجع ، ص 331 — 361 •

— البكري (أبو عبيد) : كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من أجزاء الكتاب المعـــروف بالمسالك والممالك ، باريس 1965 •

— البيذق (أبو بكر الصنهاجي) : كتاب أخبار المهدي ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين ، اعتنى باخراجه من الخزانة الاسكريالية ، وتصحيحه وترجمته لافي بروفنسال .
— البيذق (أبو بكر الصنهاجي) : كتاب أخبار المهدي ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين ، تحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات تحت الطبع .
— توفيق المدني : جغرافية الجزائر ، الجزائر ، 1953 .
— الحسن بن محمد الوزاني الفاسي : أنظر : Léon l'Africain
— التجاني : رحلة ، المطبعة الرسمية 1378/1958 .
— حسن حسني عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، الطبعة الثانية ، تونس ، 1344 هـ .
— الشهيرات التونسيات ، تونس ، 1353/1934 .
المنتخب المدرسي من الآداب التونسي ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، 1944 .
— رابح بونار : تاريخ بني حماد ، للسان الدين بن الخطيب ، الاصالة ، عدد خاص ببجاية عبر العصور ، ص 89—96 .
عبد الحق الاشبيلي البجائي ، نفس المرجع ، ص 259—271 .
— رشيد بورويبة : الجامع الكبير بقسنطينة ، الاصالة ، العدد الخامس ، شوال ، 1391— نوفمبر 1971 ، ترجمة حنفي بن عيسى .
الفن المعماري الصنهاجي وأثره في صقلية ، الثقافة العدد 19 ، محرم — صفر 1394 هـ . فيفري مارس 1974 م ، ترجمة حنفي بن عيسى .
اقامة ابن تومرت ببجاية وملالة ، الاصالة ، عدد خاص ببجاية عبر العصور ، ص 273—286 .

الحياة الاقتصادية والفنون ببجـاية الحمادية ، الملتقى الثامن للفكر الاسلامي ، بجاية ، 1394—1974 .

— رشيد مصطفاي : الحركة الادبية في بجاية ، الاصالة ، عدد خاص ببجاية عبر العصور ، ص 373—386 .

— سليمان بن داود بن يوسف : مساهمة بجايـة الحمادية وآل زيري في الحضارة الاسلامية على نطاق واسـع داخل المغرب وخارجه ، الملتقى الثامن للفكر الاسـلامي ، بجاية ، 1394/ 1974 .

— عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ، المطبعة العربية الجزائرية ، 1373/1954 .

— عبد المنعم ماجد : سجلات مستنصرية ، القاهرة ، 1954 .

— العماد الاصفهاني : خريدة القصر وجريدة العصر ، القسم الرابع ، الجزء الاول ، تحقيق الاستاذين عمر الدسوقي وعبد العظيم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة ، مصر .

— عمار طالبي : الحياة العقلية في بجايـة ، الاصالة ، عدد خاص ببجاية عبر العصور ، ص 153—172 .

— الغبريني : عنوان الدراية فيمن عرف من علماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق الاستاذ رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيـع .

كتاب الاستبصار في عجائـب الامصـار ، نشـرة : Kremer فيينا ، 1852 .

كتاب الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية ، اعتنى بنشره وتصحيحه يس علوش ، المطبعة الاقتصادية ، رباط الفتح ، 1936 .

— لقبال موسى : ميزات بجايــة وأهمية دورها في مسيرة تاريخ المغرب الاوسط في العصور الوسطى •

— المراكشي (عبد الواحد) : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، 1943/1368 •

— المقريزي : الخطط المقريزية ، القاهرة ، 1324—1326 هـ •

— المهدي بوعبدلي : ماضي بجاية وولايتها عبر التاريخ ، الملتقى الثامن للفكر الاسلامي ، بجاية ، 1974/1394 •

— مولاي بلحميسي : بجاية في حدائق الكتب ، الاصالة ، عدد خاص ببجاية ، ص 97—132 •

دور بجايــة في البحر الابيض المتوســط في عهــد الحماديين والحفصيين ، الملتقى الثامــن للفكــر الاسلامي ، بجاية ، 1974/1394 •

— مولود قاسم نايت قاسم : كلمة افتتاح الملتقى الثامن للفــكر الاسلامي ، بجاية ، 1394—1974 •

— النويــري : تاريخ المسلمين في الاندلس وافريقيا ، وهو جزء من نهاية الارب ، اعتنى بنشره وترجمته : Gaspar Remiro في المجــلة :

Revista del Centro de Estudios historicos de Granada y su Reino.

غرناطة ، 1917—1919 •

— ياقــوت : معجم البلدان ، ج 2 ، مطبعة السعادة مصر •

— يحيى بوعزيز : جهود الجــزائر الفكــرية في موكب الحضارة العربية ، الاصالة ، عــدد خاص ببجــاية عبر العصــور ، ص 287—301 •

المراجع باللغـة الاجنبيــة

L. de Beylié, *La Kalaa des Béni Hammad, une capitale berbère de l'Afrique du Nord au XIe siècle,* Paris, 1909.

P. Blanchet, *La Kalaa de Béni Hammad,* Recueil des Notices et Mémoires de la Société Archéologique de Constantine, 1898, pp. 97 ss.

— *Communication,* Comptes-rendus de l'Académie des Inscriptions et des Belles Lettres, 3 sept. 1899.

R. Bourouiba, *Rapport préliminaire sur la campagne de fouilles de septembre 1964,* Bulletin d'Archéologie Algérienne, 1962 - 1965, pp. 243 - 261.

— *Sur six dinars almohades trouvés à la Qal'a des Bani Hammad,* Bulletin d'Archéologie Algérienne, t. II, 1966 - 67, pp. 271 - 291.

— *Note sur un petit oratoire mis au jour à la Qal'a des Bani Hammad,* Bulletin d'Archéologie Algérienne, t. IVI, 1970, pp. 419 - 434.

— *Sur six chapiteaux trouvés à la Qal'a des Bani Hammad,* Bulletin d'Archéologie Algérienne, t. IV, 1970, pp. 435 - 444.

— *Monnaies et bijoux trouvés à la Qal'a des Bani Hammad,* Actes du II[e] Congrès international d'études nord-Africaines, Revue de l'Occident et de la Méditerranée, Numéro spécial pp. 67 - 78.

— *Mihrabs hammadides,* Revue des Etudes Islamiques, XL/2 pp. 329 - 344.

— *L'influence de l'art sanhadjien du Maghrib sur l'art des Normands de Sicile,* Actes du Premier Congrès d'études des cultures méditerranéennes d'influence arabo-berbère, pp. 182 - 198.

— *L'art religieux musulman en Algérie,* S.N.E.D., Alger, 1974.

Cherbonneau, *Recueil des Notices et Mémoires de la Société Archéologiques de Constantine,* 1856 - 1857, pp. 89 - 90.

C. Courtois, *Remarques sur le commerce maritime en Afrique*

*au XI*e *siècle,* Mélanges d'histoire et d'archéologie musulmane, t. II, pp. 51 - 60.

K. A. C. Creswell; *Early Muslim Architecture, Umayyads, early Abbassids and Tulunids,* Oxford, Clarendon Press, 1952.

— *The Muslim Architecture of Egypt,* Oxford, Clarendon Press 1952.

Féraud, *Histoire des villes de la province de Constantine, Bougie,* Constantine, 1869.

H. R. Idris, *La Berbérie Orientale sous les Zirides,* Adrien Maisonneuve, Paris, 1962.

L. Golvin, *Le Maghrib Central à l'époque des Zirides,* Recherches d'Archéologie et d'histoire, Arts et Métiers graphiques, Paris, 1957.

— *Note sur quelques fragments de plâtre trouvés récemment à la Qal'a des Béni Hammad,* Mélanges d'Histoire et d'Archéologie de l'Occident musulman t. II, pp. 75 - 93.

— *Note sur les entrées en avant-corps et en chicane dans l'architecture musulmane d'Occident,* Annales de l'Institut d'Etudes Orientales d'Alger, 1958, pp. 121 - 145.

— *Note sur le décor des façades en Berbérie orientale à la période sanhagienne,* Extrait des Etudes d'Orientalisme dédiées à la mémoire de Lévi Provençal, G. P. Maisonneuve et Larose, 1962.

— *Recherches Archéologiques à la Qal'a des Banu Hammad,* G.P. Maisonneuve et Larose, 1965.

Léon l'Africain, *Description de l'Afrique,* tierce partie du monde, trad. J. Temporal, ed. Shefer.

Lévi-Provençal, *Documents inédits d'histoire almohade,* Geuthner, Paris, 1928.

— *Trente-sept lettres almohades,* Collection des textes arabes publiés par l'Institut des Hautes Etudes Marocaines, X, 1941.

A. Lézine, *Le minaret de la Qal'a des Bani Hammad,* Bulletin d'Archéologie Algérienne, t. II, 1966 - 1967, pp. 261 ss.

G. Marçais, *L'Architecture Musulmane d'Occident,* Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne et Sicile, Arts et Métiers Graphiques, Paris 1957.

— *La Kalaa des Béni Hammad,* Recueil des Notices et Mémoires de la Société Archéologique de Constantine, 1908, pp. 161 ss.

— *Les poteries et faïences de Bougie,* Constantine, 1916

— *Les poteries et faïences de la Kalaa des Béni Hammad,* Constantine, 1918.

— *Sur deux stèles funéraires hammadides du Musée Stéphane Gsell,* Bulletin de la Société Historique et Géographique de Sétif, 1941, pp. 171 - 178.

— *Sur un lion de marbre trouvé à la Qal'a des Béni Hammad,* Revue Africaine, No. 379, 2e trimestre 1939.

Mas-Latire, *Traité de paix et de commerce concernant les relations des Chrétiens avec les Arabes de l'afrique septentrionale au Moyen Age,* Plon, Paris, 1868.

A. Méquesse, *Notice sur la Kalaa des Béni Hammad,* Revue Africaine, No. 178, Juillet Août 1886, pp. 294 ss.

Mercier, *Corpus des inscriptions arabes et turques de l'Algérie* II Départment de Constantine, Leroux, Paris 1902.

Robert, *La Kalaa et Tihamamine,* Recueil des Notices et Mémoires de la Société Archéologique de Constantine, 1903, pp. 217 ss.

— *La Kalaa des Béni Hammad,* même Recueil, 1910 - 1911, pp. 97 ss.

— *Note sur la céramique, les marbres, les stucs et objets divers de la Kalaa des Béni Hammad,* Recueil 1922 - 1923, pp. 199 ss.

Saladin, *Note sur la Kalaa des Béni Hammad,* Bulletin Archéologique; 1904, pp. 243 ss.

— *Deuxième note sur les monuments arabes de la Kalaa des Béni Hammad,* Bulletin Archéologique, 1905, pp. 185 ss.

فهرس الصــور والرسوم والخرائط

فهرس الموضوعات

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الــتنضيــض : المطبعة الجديدة ـ دمشق
الطبــع : ديوان المطبوعات الجامعية
1397 هـ ـ 1977 م

انجز طبعه على مطابع
ديوان المطبوعات الجامعية
29 - نهج ابو نواس - حيدرة
الجزائر العاصمة